



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي  
كلية العلوم الإسلامية  
قسم الحضارة الإسلامية



# دراسات في البلاغة العربية

مطبوعة بيداغوجية وفق المقرر الدراسي لسنة أولى ماستر  
تخصّص اللغة العربية والدراسات القرآنية  
السداسي الأول

الدكتور: علي زواري أحمد

الموسم الجامعي: 1447هـ - 1448هـ / 2025م - 2026م

## محتوى المادة في المقرّر

- المحاضرة (01): مفاهيم البلاغة في القديم والحديث
- المحاضرة (02): مراحل نشأة البلاغة العربية وتطور مباحثها
- المحاضرة (03): البلاغة ومصادر اللغة (البلاغة والقرآن/البلاغة والحديث النبوي/ البلاغة والشعر/ البلاغة والكلام العربي)
- المحاضرة (04): هيكل الدرس البلاغي: أقسامه ومباحثه وأهدافه (انطلاقاً من شروط الفصاحة وشروط الكلام البليغ).
- المحاضرة (05): علم المعاني: مفهومه وأبوابه، وصلته بالدرس النحوي وعلاقته بمصطلحي المقام ومقتضى الحال ومفهوم السياق.
- المحاضرة (06): الخروج عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربية وعلاقته ببناء التراكيب والصور البيانية.
- المحاضرة (07): أسلوب القصر (01): مفهومه وأنواعه وطرقه القائمة على الأداة
- المحاضرة (08): أسلوب القصر (02): طرقه القائمة على التركيب والفروق المعنوية بين تلك الطرق
- المحاضرة (09): الفصل والوصل (01): مفهومه وعلاقته بنحو النص ومواضع الوصل
- المحاضرة (10): الفصل والوصل (02): مواضع الفصل مع دراسة الفصل والوصل في نص من النصوص.
- المحاضرة (11): التشبيه: المعنى البلاغي في التشبيه، التشبيه والتمثيل، أنواع خاصة من التشبيه (تشبيه السلب، المقلوب)، التشبيه والتخييل.
- المحاضرة (12): القرينة في البلاغة العربية: تعريفها وأنواعها ووظيفتها وأثرها في توجيه المعنى.
- المحاضرة (13): البديع بين المتقدمين والمتأخرين
- المحاضرة (14): الأنواع البديعية ودورها في تصوير المعنى: (اللف والنشر/المزوجة/الجناس/التصدير/.....)
- المحاضرة (15): امتحان (تقييم المعارف المكتسبة)

# المحاضرة الأولى

## مفاهيم البلاغة قديماً وحديثاً

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - وصف البلاغة عند العرب.
- 3 - مصطلح البلاغة في تراثنا البلاغي.
- 4 - تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح.
- 5 - رؤية المحدثين للبلاغة العربية.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

البلاغة جزء مهم لا يتجزأ من اللسان العربي الفصيح، فهي السبيل الذي من خلاله يؤدي المتكلم المعنى في أجمل صورته ويضع اللفظ في أحسن مواضعه، مراعيًا مقتضى الحال الذي فيه، لذا تعتبر البلاغة من مكونات لغة العرب التي بها نزل القرآن الكريم.

وقد كان العربي في جاهليته - وقبل تدوين علوم البلاغة - يمارسها بسليقته، ويحسها بفطرتة، ويندوّقها بطبعه، كيف لا وهي وسيلة إبداعه في شعره، ومناط وسيلته في تخاطبه، ومحمل رسالته في نثره، وطريقة عيشه في يومه، ولذا يعلم كلّ مطلع على كلام العرب أنّهم اشتهروا في جاهليتهم بفصاحة اللسان، وقوة البيان وبلاغة التعبير، والقدرة العالية على التفنن في القول من غير تكلف ولا تصنع، ومكّنهم من ذلك فطرتهم التي نشأوا عليها.

فالعرب البلغاء الذين أخذت البلاغة من كلامهم، وعُرفت في أساليبهم قبل أن تُعرف في حدود المؤلفين وتعريفات المصنّفين، كانوا ينظرون إلى البلاغة على أنّها هي الوسيلة إلى الإعراب عمّا في النفس بصورة تمنع من سوء التعبير وسوء الفهم وتصل بالمعنى إلى القلب، ولا شك أنّ ذلك يعني أنّهم جعلوها في منزلة مساوية لمنزلة اللغة، إن لم تكن هي نفسها منزلتها، لأنّه إذا كانت اللغة هي وسيلة التفاهم بين الناس فإنّ كلّ ما يؤدي إلى هذه الغاية أو يعين على بلوغها

فهو جزء من اللغة متمم لها وقيمته من قيمتها، وكذلك كانت البلاغة عند أصحابها من البلغاء المطبوعين<sup>1</sup>.

وبهذا الصدد سوف نسوق جملة من المفاهيم المتعلقة بالبلاغة، والتي من خلالها تتضح رؤيتنا للبلاغة في القديم والحديث، وقد صغناها في العناصر التالية:

## 2 - وصف البلاغة عند العرب

البلاغة وإن كانت غير مدونة عند العرب قبل التأليف فيها، إلا أنها مطبوعة في أذهانهم، ومدركون لها، وقادرون على التعبير عنها، وعندهم البصيرة بمعرفة من تحلى بها في أعلى مقاماتها، لذا نجد كتب البلاغة قد سجلت وصفهم لها وبدقة كبيرة، فالجاحظ مثلا في كتابه الشهير "البيان والتبيين" يعقد بابا لبيان مفهوم البلاغة عند العرب، وهو يريد وصفهم لها، جاء فيه<sup>2</sup>:

قال ابن الأعرابي: قال معاوية بن أبي سفيان لصُحَّار بن عياش العبدى ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بالبسر والرطب، أبصر منهم بالخطب. فقال له صحَّار: أجل والله، إنا لنعلم أنّ الرّيح لتلقّحه، وأن البرد ليعقده، وأن القمر ليصبغه، وإن الحرّ لينضجه.

وقال له معاوية: ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحَّار: أن تجيب فلا تبطيء، وتقول فلا تخطيء.

فقال له معاوية: أو كذلك تقول يا صحَّار؟ قال صحَّار: أقلني يا أمير المؤمنين، ألا تبطيء ولا تخطيء.

قال لي ابن الأعرابي: قال لي المفضل بن محمد الضبي: قلت لأعرابي منّا: ما البلاغة؟ قال لي: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل. قال ابن الأعرابي: فقلت للمفضل: ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.

قال ابن الأعرابي، قيل لعبد الله بن عمر: لو دعوت الله لنا بدعوات.

فقال: اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا! فقال له رجل: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن. فقال: نعوذ بالله من الإسهاب.

1 - ينظر مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة. دون تاريخ، دار الفكر، القاهرة، ص:31.

2 - عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، اللّيثى، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423هـ، 98/1.

فهكذا هي البلاغة عندهم، تراهم عارفون بها وصفا وقادرون عليها أداء، ثم يرجع الجاحظ مرّة أخرى وفي موطن آخر لينقل لنا وصفهم للبلاغة، فكان من ذلك ذكره لقول العتّابي - وهو من شعراء العباسيين - وعمرو بن عبيد وابن المقفع<sup>1</sup>.

يقول الجاحظ حدّثني صديق لي قال: قلت للعتّابي: ما البلاغة؟ قال: كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كلّ خطيب، فإظهار ما غمض من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة الحقّ. قال: فقلت له: قد عرفتُ الإعادة والحُبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا، ويا هيه، واسمع منّي واستمع إليّ، وافهم عنيّ، أو لست تفهم، أو لست تعقل. فهذا كلّه وما أشبهه عيٌّ وفساد.

قال عبد الكريم بن روح الغفاريّ، حدّثني عمر الشّمريّ، قال: قيل لعمر بن عبّيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنّة، وعدل بك عن النّار، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيِّك. قال السّائل: ليس هذا أريد. قال: من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول. قال: ليس هذا أريد. قال: قال النّبّي صلّى الله عليه وآله: «أنا معشر الأنبياء بكاءً» أي قليلو الكلام. ومنه قيل رجل بكى. وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرّجل على عقله. قال: قال السّائل: ليس هذا أريد. قال: كانوا يخافون من فتنة القول، ومن سقطات الكلام، ما لا يخافون من فتنة السّكوت ومن سقطات الصّمت. قال السّائل: ليس هذا أريد. قال عمرو: فكأنك إنّما تريد تخير اللفظ، في حسن الإفهام، قال: نعم. قال: إنّك إن أوتيت تقرير حجّة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المرّيدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشّواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسّنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثّواب. قلت لعبد الكريم من هذا الذي صبر له عمرو هذا الصبر؟ قال: قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال: ومن كان يجترئ عليه هذه الجرأة إلّا حفص بن سالم.

قال عمر الشّمريّ: كان عمرو بن عبّيد لا يكاد يتكلّم، فإذا تكلم لم يكذب يطيل. وكان يقول: لا خير في المتكلّم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه. وإذا طال الكلام عرضت للمتكلّم أسباب التّكلّف، ولا خير في شيء يأتيك به التّكلّف.

1 - ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، 112/1.

وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يُسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك<sup>1</sup>.  
تلكم هي البلاغة عندهم، سجية من غير تكلف، وسليقة من غير تصنع، قليل الكلام منها يكفي عن كثيره، وما أبلغ المعنى هو مرادهم وعن غيره هم أغنى، يتورعون عن المعاني الدنيئة، ويتعففون عن الألفاظ الوضيعة، ينتقون من المعاني أشرفها، ويتخيرون من الألفاظ أحسنها، وهذا ما جعل حاستهم اللغوية عالية، وبصيرتهم بمعاييب الكلام شافية.

### 3 - مصطلح البلاغة في تراثنا البلاغي

مصطلح البلاغة كغيره من المصطلحات العلمية مرّ بمراحل مختلفة حتى تبلور في قالبه المصطلحي النهائي الذي إذا أُطلق انصرف لعلوم البلاغة المعروفة؛ المعاني، البيان، البديع، ولهذا نلاحظ أنّ مصطلح البلاغة رغم تداوله على السنة اللغويين والبلاغيين إلا أنه كان في بداياته متداخلاً مع غيره، ويتعاوره أربعة مصطلحات؛ البلاغة، والبيان، والفصاحة، والبديع، وقد كان جلّ التركيز في بدايات الأمر على المباحث البيانية والبديعية أكثر منه على مباحث المعاني؛ إذ هذا الفن يشترك مع علم النحو فتناول الدرس النحوي أهمّ مباحثه بالبحث والبيان، وكذا لاهتمام البلاغيين بمواطن الإبداع والتجديد، وبقي الأمر على ذلك التداخل حتى استقرت علوم البلاغة على حالتها التي هي عليها الآن.

فأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: 255هـ) أورد العديد من مصطلحات البلاغة في كتابه الشهير: "البيان والتبيين" غير أنه لم يكن يقصد بها ما قصده المتأخرون من البلاغيين، فقد استعمل ألفاظ الفصاحة والبيان والبلاغة مترادفات تدلّ على معنى واحد<sup>2</sup>.

وبعد ألف ابن المعتز (المتوفى: 296هـ) كتابه المسمّى: "البديع" ولكنّه لم يقصد البديع قسم البلاغة، بل يقصد به الجديد في بلاغة الشعر، وضمّته الصّور البيانية المختلفة التي هي من علم البيان اليوم، والذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة.

وهكذا سار من بعده حتى جاء أبو هلال العسكريّ وعبد القاهر الجرجانيّ وغيرهما، فأصبح لفظ البديع كأنّه مرادف للبلاغة بمفهومها العامّ والواسع، وبقي مصطلح البديع يتّسع ليشمل العديد

1 - ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، 113/1.

2 - ينظر: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحيّ (المتوفى: 1429هـ): النظم البلاغيّ بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمّدية القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 10. وينظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، سنة: 2005م، ص: 11 - 12.

من مباحث البيان إلى أن جاء يوسف بن أبي بكر، أبو يعقوب السكاكي ففصل البديع عن المعاني والبيان<sup>1</sup>.

ومن المصطلحات التي بقيت لصيقة بالبلاغة وترادفها أو تشاركها؛ مصطلح الفصاحة، وذلك أن كلمة البلاغة من الكلمات التي شاع استعمالها في كتب الأدب، وكانت هي والفصاحة صنوين تستعملان معا أو تستعمل الواحدة في موضع الأخرى<sup>2</sup>، وفي هذا يقول أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) في أحد أقواله: «الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له»<sup>3</sup>.

وهذا إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ) تلميذ القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى: 392هـ) نجد البلاغة عنده مازالت مرادفة للفصاحة، حيث يجعل الفصاحة في ترتيب الألفاظ حسب المعاني، وهذا هو معنى البلاغة عنده<sup>4</sup>.

ولهذا الكثير من البلغاء القدامى لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها استعمال الشيين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما، كما ذكر ذلك فخر الدين الرّازي في كتابه نهاية الإيجاز.

ونجد في أحيان أخرى أن الفصاحة والبلاغة يختلفان ويفتسمان علوم البلاغة، فمباحث علم البيان يعبر عنها بعلم الفصاحة، ومباحث علم المعاني يعبر عنها بعلم البلاغة<sup>5</sup>. وفي هذا يقول أبو هلال العسكري في موضع آخر: «فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى؛ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى. ومن الدليل على أن الفصاحة

- 
- 1 - ينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللّسانيّات النّصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، سنة: 1998م، ص: 15 - 22 - ومنير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، منشأة معارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، 1986م، ص: 12 - 22. وعبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م، ص: 17.
  - 2 - ينظر: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصّيادي الرّفاعي: أساليب بلاغية، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة: الأولى، 1980م، ص: 51.
  - 3 - الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): الصّناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام النّشر: 1419هـ، ص: 7.
  - 4 - ينظر: الجناحي: النّظم البلاغي، ص: 12.
  - 5 - ينظر: يحيى بن حمزة العلوي (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 1/15.

تتضمّن اللَّفْظ، والبلاغة تتناول المعنى أنّ الببغاء يسمّى فصيحاً، ولا يسمّى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤدّيه»<sup>1</sup>.

على أنّ أوّل من فرّق بين الفصاحة والبلاغة تفریقاً لا يزال موجوداً إلى اليوم هو ابن سنان الخفّاجيّ (المتوفّى: 466هـ) فقد قصر الفصاحة على الألفاظ والبلاغة لا تكون إلاّ للألفاظ مع المعاني<sup>2</sup>.

كما أنّ لمصطلح البيان تداخل وتشارك مع مصطلح البلاغة، وذلك قبل أن يصير البيان قسماً من أقسام علوم البلاغة، كما هو عنوان كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وقد أشرنا له في بداية كلامنا، بل نجد ضياء الدّين بن الأثير (المتوفّى: 637هـ) الذي عاصر السّكّاكّي يجعل علم البيان شاملاً للفصاحة والبلاغة، فقد عرفه بقوله: «وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظيّة والمعنويّة، وهو والنّحويّ يشتركان في أنّ النّحويّ ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللّغويّ، وتلك دلالة عامّة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدّلالة، وهي دلالة خاصّة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النّحو والإعراب، ألا ترى أنّ النّحويّ يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة، ومن ههنا غلط مفسّر الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللّغويّة، وتبيين مواضع الإعراب منها، دون شرح ما تضمّنته من أسرار الفصاحة والبلاغة»<sup>3</sup>.

ولكن عندما نرجع إلى أبي يعقوب السّكّاكّي (المتوفّى: 626هـ) فإنّنا نجد البلاغة عنده قد اتّضحت معالمها وتميّزت مسائلها، حيث جعلها شاملة لعلمي المعاني والبيان، وفصل عنهما علم البديع فجعله من المحسنات - وسنذكر ذلك عند تعريفنا للبلاغة في الاصطلاح - ولما انتهى الأمر إلى الخطيب القزوينيّ (المتوفّى: 739هـ) وجدنا البلاغة عنده تأخذ وضعها النّهائيّ؛ فقد فرّق تفرقة واضحة بين كلّ من الفصاحة والبلاغة، واستقرّ البيان والبديع في أقسام علم البلاغة.

وبهذا القدر من البيان نكتفي في تجلية مسمّيات مصطلح البلاغة، أو توضيح الألفاظ ذات الصّلة، والبحث في هذه المصطلحات التي ذكرناها يحتاج لبحث مستقل حتّى لا يتشعب الأمر من

1 - أبو هلال العسكريّ: الصّناعتين، ص: 8.

2 - ينظر: الجنائيّ: النّظم البلاغيّ، ص: 12.

3 - نصر الله بن محمّد الشّيبانيّ، أبو الفتح، ضياء الدّين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفّى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، المحقّق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر - بيروت، عام النّشر: 1420هـ، 26/1.

بين أيدينا وينفرط عقده، ولذا يكفيننا ما أوردنا؛ لأنّ هذا الكلام ضروريّ ومهمّ للدّخول إلى تعريف البلاغة ونشأتها ومعرفة علومها والغرض منها.

#### 4 - تعريف البلاغة في اللّغة والاصطلاح

نتكلّم عن البلاغة في اللّغة أولاً، ثمّ بعدها نتكلّم عن البلاغة في الاصطلاح.

##### أ - البلاغة في اللّغة

البلاغة في اللّغة من مادّة (بلغ) وتعني الوصول والانتهاء، جاء في اللّسان: بلغ الشّيءُ يبلُغُ بلوغاً وبلاغاً وصل وانتهى<sup>1</sup>. وبلُغَ المكان، بلُوغاً: وصل إليه وانتهى<sup>2</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾<sup>3</sup>. بالغيه: واصلين إليه. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَأَيْتِ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾<sup>4</sup>. بمعنى بلغت منتهى الحلقوم من شدّة الخوف.

يقول يحيى بن حمزة العلويّ في الطراز: «اعلم أنّ البلاغة في وضع اللّغة، هي الوصول إلى الشّيء والانتهاء إليه، فيقال بلغت البلد أبلغ بلوغاً، والاسم منه البلاغة، وسمّي الكلام بليغاً لأنّه قد بلغ به جميع المحاسن كلّها في ألفاظه ومعانيه، وهو في مصطلح النّظار من علماء البيان عبارة عن الوصول إلى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة. وإن شئت قلت هي عبارة عن حسن السّبك مع جودة المعاني، والمقصود من البلاغة هو وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني، وعن الإطالة المملة للخواطر»<sup>5</sup>.

إذا فالبلاغة في اللّغة: «هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد»<sup>6</sup>. والتّقييد بالفصاحة مهمّ حتّى لا يتداخل تعريف البلاغة مع تعريف علم المعاني - وخاصة في تعريفات المتأخّرين - والمقصود بالفصاحة أن يكون الكلام سليماً؛ بمعنى سلامته من العيوب التي تُخلّ بالكلام وتؤثّر على المعنى، وقد أشار لها علماء البلاغة في حديثهم عن الفصاحة، كالتّنافر والتّعقيد والغرابة، ومخالفة القياس، والألفاظ المهجورة والوحشيّة، وغيرها.

1 - ينظر: محمّد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطّبعة الأولى، 419/8.

2 - ينظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الرّبيديّ (المتوفّى: 1205هـ): تاج العروس، المحقّق: مجموعة من المحقّقين دار الهداية، 444 / 22.

3 - النّحل:7.

4 - الأحزاب:10.

5 - العلويّ: الطراز، 1 / 66.

6 - عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 1 / 128.

ولهذا لا توصف الكلمة بالفصاحة وإنما يوصف بها الكلام والمتكلم<sup>1</sup>، وهذا على القول الذي يقول بالتفريق بين الفصاحة والبلاغة، وهو ما عليه الجمهور من المتأخرين، أما على القول الذي لا يفرق بينهما فإن الكلمة توصف بالفصاحة والبلاغة، وقد ذكرنا سابقاً أن أول من فرق بين الفصاحة والبلاغة تفريقاً لا يزال موجوداً إلى اليوم هو ابن سنان الخفاجي (المتوفى: 466هـ) فقد قصر الفصاحة على الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا للألفاظ مع المعاني، وعلى هذا فكل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح يكون بليغاً<sup>2</sup>. وهذا بحث لا يسعه هذا المقام.

### ب - البلاغة في الاصطلاح

وأما في الاصطلاح فإن البلاغة تدرجت في تعريفها بين شيئين؛ أولهما: الغاية من الكلام، والتي تتمثل في التأثير في المتلقي بإيصال المعنى إليه في صورة حسنة، وثانيهما: خصائص الكلام ذاته، أو خواص التركيب الذي يمثل تلك الصورة الحسنة.

ونبدأ في ذكر تعريفاتنا من صاحب البيان والتبيين - الجاحظ (المتوفى: 255هـ) - الذي ذكر العديد من التعريفات للبلاغة - وقد سبق ذكر بعضها - ثم اختار منها تعريفاً، فقال: «وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»<sup>3</sup>.

أي وصول المعنى إلى قلب السامع تلو وصول اللفظ إلى سمعه، معنى ذلك أن الكلام البليغ هو الكلام الذي يبليغ المعاني التي في فكر المتكلم إلى عقل السامع مع بلوغ اللفظ مباشرة من غير تأخر. ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان واضحاً والألفاظ وعلى أقدار المعاني.

وعرفها أبو هلال العسكري (المتوفى: 395هـ)، بقوله: «البلاغة كل ما تبليغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»<sup>4</sup>.

فهذا التعريف يشير إلى غاية البلاغة، والأثر الذي تحدثه في نفس السامع، كما يركز على حسن الصورة، فليست البلاغة إفهام المعنى فقط؛ لأن العيب يفعل ذلك، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وبذلك يتفاضل القائلون، ويعلو بعض الكلام على بعضه في درجات البلاغة.

1 - أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773 هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م، 1/ 56.

2 - الجفاجي: النظم البلاغي، ص: 12.

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، 1/ 113.

4 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص: 10.

ومنتهى الأمر فإنّ كلّ التعريفات - تقريبا - وإنّ اختلفت ألفاظها طيلة هذه الفترة؛ أي إلى القرن الخامس أو نهاية القرن الرابع الهجريين تركّز في تعريف البلاغة على المتكلم البليغ الذي يحسن توصيل المعنى من خلال كلامه للمتلقّي.

ومع القرن الخامس الهجري بدأ تعريف البلاغة يرتكز على خصائص الكلام الذي من خلاله يمكن أن نصفه بالبلاغة، وبدأ هذا التّغير مع عبد القاهر الجرجانيّ (المتوفّى: 471هـ)، حيث يقول عن البلاغة، هي: «...خصوصيّة في كيفية النّظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض»<sup>1</sup>. فكما نرى لم يركّز على المتكلم وإنّما ركّز على النّظم الذي يشمل اللفظ والمعنى ومعنى المعنى الناتج عن التّركيب وما تحويه مفرداته من تعلق ووظائف.

ويقول السّكّائيّ (المتوفّى: 626هـ): «البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التّراكيب حقّها، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز والكناية على وجهها»<sup>2</sup>. فقد ركّز التّعريف على خصائص التّركيب الذي يكون به بليغا مع قصره البلاغة على علمي المعاني والبيان، وأمّا البديع فإنّه لم يدخله في البلاغة<sup>3</sup>.

وجاء بعده القزوينيّ (المتوفّى: 739هـ) فقد عرّف البلاغة بقوله: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها»<sup>4</sup>.

وتعريف القزوينيّ هذا تناقله أغلب البلاغيّين بعده وإلى زمننا هذا. والمراد بالحال: الأمر الدّاعي إلى التّكلم على وجه مخصوص مع فصاحتها، أي فصاحة الكلام<sup>5</sup>. بمعنى أنّ الحال أو المقام هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التّركيب. والمقتضى ويراد به الاعتبار المناسب، وهو الصّورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة. ومقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصّورة.

- 
- 1 - عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد، أبو بكر الجرجانيّ الدّار (المتوفّى: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقّق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 34.
  - 2 - يوسف بن أبي بكر السّكّائيّ الخوارزميّ الحنفيّ أبو يعقوب (المتوفّى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانيّة، 1407هـ - 1987م، ص: 415.
  - 3 - الجناحيّ: النّظم البلاغيّ، ص: 13.
  - 4 - محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزوينيّ الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفّى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثّالثة، 1/ 41.
  - 5 - علي بن محمّد بن عليّ الزّين الشّريف الجرجانيّ (المتوفّى: 816هـ)، التّعريفات، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 46.

ومفاد ذلك أنّ الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى: يسمّى "حالا" وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمّى "مقتضى" والبلاغة: هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

فإذا جاء الكلام فصيحاً، خالياً من التنافر والغرابة ومخالفة القياس الصرّفي، بريئاً من التعقيد اللفظي والمعنوي، جارياً على المشهور من آراء النحاة، وكان مناسباً للموضوع الذي يقال فيه ولأحوال السامعين، معيّراً عن مشاعر قائله أصدق تعبير، فإنّه يعدّ كلاماً بليغاً، لأنّ قائله يبلغ به غايته، ويصل إلى مراده من نفوس سامعيه، فيؤثّر فيهم، ويسيطر على مشاعرهم، ويملك به أئمة قلوبهم<sup>1</sup>.

## 5 - رؤية المحدثين للبلاغة العربيّة

منذ حلّ عصر النهضة العربيّة في العصر الحديث جاءت الدّعوات إلى إعادة قراءة بلاغتنا العربيّة وفق مستجدّات العصر، وقد كثرت وامتدّت تلك الدّعوات من خلال الكتب والمؤلّفات والمجلّات والندوات والمؤتمرات، وقد سعى أصحاب تلك الدّعوات إلى نشر فكرتهم لإقناع المستمعين بمشروعهم التّجديديّ، فاتبعهم أناس وعارضهم آخرون، ولكلّ وجهة نظره، وما يهمننا هنا هو ذكر لمحة عن تلك الدّعوة التّجديديّة من جهة غاياتها ومن جهة اتجاهاتها وأهم روّادها.

### 1 - غايات الدّعوة إلى تجديد البلاغة

لقد توسّعت الدّعوة إلى التّجديد واختلّفت وجهات أصحابها، فمنهم من يرى التّجديد من داخل تراثنا البلاغيّ، ومنهم من يرى التّجديد من خارجه بإلغاء تراثنا ويحلّ محلّه التّأليفات المحدثّة وفقاً للمناهج الحديثة، ولذا تفاوتت المرامي، وتباينت المقاصد، ولو صنّفنا تلك الوجّهات لوجدناها تصبو إلى عدّة غايات، منها:

أولاً - التّجديد في دراسة علوم البلاغة بالرّبط بينها كعلوم متكاملة وليست منفصلة، وتكون تحت اسم الصّورة البلاغيّة أو الصّورة الفنّيّة أو الصّورة الأدبيّة أو الصّورة الجماليّة.

ثانياً - التّجديد في درس تاريخ البلاغة وتطوّره من حيث ظواهرها، وصلة هذه الظواهر بالأعلام والتّيّارات البلاغيّة واتجاهاتها، وفي دراسة القضايا البلاغيّة التي تناولتها البلاغة من خلال العصور أو من خلال الأعلام، فالعصور تدرّجت فيها الظواهر البلاغيّة، والأعلام كانت لهم اسهامات مختلفة، منها ما يعتبر صاحبه هو أساسه وركيزته كحال النّظم مع الجرجانيّ.

1 - ينظر إسماعيل الجناحيّ (المتوفّى: 1429هـ): البلاغة الصّافية، المكتبة الأزهرية للتّراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م، ص: 82.

ثالثاً - التّجديد في دراسة العلوم البلاغيّة وصلتها بالعلوم الحديثة، مثل علوم اللّسان (الدّراسات اللّغويّة الحديثة) والنّصّ الأدبيّ، وعلوم الإنسان والنّفس والاجتماع والتّربية ونظريّة المعرفة.

رابعاً - التّجديد في دراسة المصطلحات البلاغيّة وتدرّجها، وقضايا البلاغة من خلال عصورها.

خامساً - تيسير البلاغة من خلال السّعي إلى تخليصها من النّقسيّات والنّقريّات الكثيرة، ومن تلك الزّيادات والحواشي، ومن الفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم، والاقتصار على المستوى البلاغيّ والفنّي فحسب.

وهذه الغايات التّجديدية لها أسبابها الدّاعية لذلك، نلخصها في النقاط التّالية<sup>1</sup>:

- جمود البلاغة العربيّة وتعقيدها.
- النّظرة الاجتزائيّة للبلاغة العربيّة.
- علميّة البلاغة العربيّة وابتعادها عن تحليل النّصوص الأدبيّة.
- الإغراق في الانفصاليّة في البحث البلاغيّ جملة.
- معيارية البلاغة العربيّة.
- عدم تمييز البلاغة العربيّة بين الأجناس الأدبيّة.
- كثرة النّقسيّات والنّقريّات في الفنون البلاغيّة.
- قضيّة قدم الشّاهد البلاغيّ.

## 2 - الاتجاهات التّجديدية وأهمّ روادها

أولاً - الاتجاه التعليميّ في تجديد البلاغة العربيّة<sup>2</sup>: هذا الاتجاه يسعى لتجديد العرض والترتيب وتوزيع الشّواهد ووفرته (قرآنيّة، شعريّة، حديثيّة، نثريّة) والتّركيز على النّظريّات وتيسير المصطلحات وتذليلها، والتّخلّص من المسائل الفلسفيّة والمنطقيّة الموجودة في المؤلّفات التّراثيّة.

ومن رواد هذا الاتجاه أحمد الهاشمي صاحب كتاب "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، وأحمد مصطفى المراغي صاحب كتاب "علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع"، وعلي

1 - نوال جاسم محمّد منصور: جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربيّة، رسالة دكتوراه، تخصص، فلسفة في اللّغة العربيّة، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الحسين علك المبارك، كليّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، جامعة البصرة، العراق، 1434هـ - 2013م، ص: 4، 6، 8، 9، 10، 11، 12.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 13 - 38.

الجارم ومصطفى أمين، فقد ألفا كتاب "البلاغة الواضحة"، وألقاه بملحق تحت عنوان "دليل البلاغة الواضحة"، ومن هؤلاء عبد العليم إبراهيم مؤلف كتاب "الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية"، وأحمد مطلوب وكامل حسن البصير، فقد ألفا كتاب "البلاغة والتطبيق"، ومصطفى صافي الجويني، صاحب كتاب "البلاغة العربية تأصيل وتجديد"، والأزهر الزناد، صاحب "دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة"، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني صاحب موسوعة "البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد"، وقد قامت هذه الجهود بتجديد البلاغة من داخلها بعيدة عن التغيرات النقدية والفنية التي صاحبت التطورات التي أحدثتها المناهج الحديثة.

ثانياً - الاتجاه الأدبي في تجديد البلاغة العربية<sup>1</sup>: هذا الاتجاه يسعى لإخضاع البلاغة للمنهج الأدبي الفني، الذي يعتمد في تحليله للنصوص الأدبية على الذوق الفني والأدبي والجمالي البعيد عن القواعد المعيارية الفنية، كما كان في بدايات التأليف البلاغي، وفي ذات الوقت التخلص من سيطرة الفلسفة والمنطق على الدرس البلاغي، بما في ذلك من التقريعات والتقسيمات، واللجوء لكثرة التطبيقات لتنمية الذوق الفني عند القارئ وإحياء الجانب الوظيفي للبلاغة، وإخراج البلاغة من دراسة الجملة إلى دراسة النص الأدبي.

ومن رواد هذا الاتجاه أمين الخولي، من خلال مقالاته وبحوثه التي كان ينشرها في المجالات العربية، صاحب كتاب "فن القول" وكتاب "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب"، وحنفي محمد شرف، صاحب كتاب "الصور البيانية بين النظرية والتطبيق"، ومبارك المازن، صاحب كتاب "الموجز في تاريخ البلاغة"، وأحمد مطلوب، من خلال مقالاته في تيسير البلاغة العربية وتجديدها وفي كتبه أيضاً، ككتاب "أساليب بلاغية"، وكتاب "البلاغة والتطبيق"، ومن هؤلاء أيضاً محمد أبو موسى، صاحب كتاب "خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني"، وسناء البياتي، لها كتاب بعنوان "نحو منهج جديد في البلاغة والنقد دراسة تطبيق".

ثالثاً - الاتجاه النفسي في تجديد البلاغة العربية<sup>2</sup>: هذا الاتجاه يسعى لوصل البلاغة بعلم النفس في عملية التحليل والتعليل، حيث يرون أنّ لهذا الوصل أثراً في إصلاح الحياة الأدبية والدراسات البلاغية، وإبعاد البلاغة عن الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، والتخفيف من ثقل القواعد

1 - ينظر نوال جاسم: جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربية، ص: 39 - 93.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 94 - 123.

والتفريعات والتقسيمات، والتقليل من خلافات الآراء، وربط البلاغة بالحياة الاجتماعية حتى لا تعزل اللغة عن خواطر النفس وحركة العقل.

ومن رواد هذا الاتجاه أمين الخولي من خلال كتابه "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب"، وبحثه "البلاغة وعلم النفس"، وأحمد مطلوب في عدد من أبحاثه وكتبه، والتي منها "آراء في البلاغة العربية"، و"تيسير البلاغة"، ومجيد عبد الحميد ناجي في دراسته "الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية"، وهناك غيرهم كعزّ الدّيم اسماعيل في كتابه "التفسير النفسي للأدب"، ومحمد خلف الله في كتابه "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده"، ومصطفى سويف في كتابه "الأسس النفسية في للإبداع الفني في الشعر خاصة"، وحامد عبد القادر في كتابه "دراسات في علم النفس الأدبي"، وغيرهم.

رابعا - الاتجاه الحدائثي الألسني في تجديد البلاغة العربية<sup>1</sup>: هذا الاتجاه يسعى إلى تطبيق المنهج التحويلي على البلاغة العربية قصد تجديدها على وفق البنية العميقة والسطحية، ومن رواد هذا الاتجاه محمد عبد المطلب صاحب كتاب "البلاغة العربية قراءة أخرى"، وعلي فرج صاحب كتاب "تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح"، وقد حاول فيه تطبيق اللسانيات الحديثة؛ التحويلية، والشعرية، والأسلوبية على البلاغة العربية.

خامسا - الاتجاه الأسلوبية في تجديد البلاغة العربية<sup>2</sup>: ظهر هذا الاتجاه في الدراسات اللغوية الحديثة، ويرى أصحابه أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، وأنها بمثابة البلاغة الحديثة، وهي القادرة على جبر التقص الحاصل في البلاغة، وتتجاوز حالة الضعف الحاصل فيها.

ومن رواد هذا الاتجاه أحمد الشايب في كتابه "الأسلوب دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية" حيث وضع منهجاً كاملاً للبلاغة العربية الجديدة، وعبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوبية والأسلوب"، الذي أشار فيه إلى أن الأسلوبية هي البديل عن البلاغة العربية، وشكري محمد عياد في كتابه "مدخل إلى علم الأسلوب"، وكتابه "مبادئ علم الأسلوب العربي"، وقد اعتمد على الموروث البلاغي مع الإفادة من الدراسات اللغوية الحديثة خوفاً من الاتهام بقراءة التراث من منظور حديث، وحامد صالح خلف الربيعي له دراسة موسومة بـ: "مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء"، تحدّث فيها عن علم البديع وفق المستويات الثلاثة للأسلوبية؛ الصوتي والتركيبي

1 - ينظر نوال جاسم: جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربية، ص: 124 - 151.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 152 - 183.

والدَّلاليّ، ومحمّد عبد المطّلب صاحب كتاب "البلاغة والأسلوبية"، وصلاح فضل الذي يعدّ من كبار رواد الأسلوبية العرب، ومن أشهر كتبه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته"، وسعد مصلوح صاحب كتاب "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة"، وفاضل عبود خميس في كتابه "البدیع في الدرس البلاغيّ والنقديّ العربيّ من الرّؤية البلاغية إلى الرّؤية الأسلوبية".

سادسا - اتجاه الشعريّة في تجديد البلاغة العربيّة<sup>1</sup>: الشعريّة من المفاهيم الحديثة، ويقصد بها السمة الأدبية التي يكون بها النّصّ الأدبيّ مفارقا للكلام العاديّ أو العلميّ، بمعنى يحمل سمة الجمال والإبداع الفنّيّ، ويدعو هذا الاتجاه إلى تطبيق بعض معطيات الشعريّة اللسانية الحديثة على مباحث البلاغة العربيّة قصد تجديدها.

ومن رواد هذا الاتجاه عبد الواحد الشّيخ صاحب كتاب "البدیع والتّوازي"، وعلي فرج صاحب كتاب "تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح"، الذي درس فيه علم البيان وفق نظرية معنى المعنى التّراثية ونظرية الانزياح التي استمدّها من الشعريّة الحديثة.

سابعا - الاتجاه النّصيّ في تجديد البلاغة العربيّة<sup>2</sup>: يرى أصحاب هذا الاتجاه الخروج بالبلاغة من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّصّ، أو بمعنى من الجزئية التي هي الجملة إلى الكلية التي هي النّصّ، ومن رواده أمين الخولي وأحمد مطلوب وسعد مصلوح، وقد سبق الكلام عنهم، وعبد العزيز البشري له بحث بعنوان: "ثورة على علوم البلاغة"، فهو يرى أنّها قاصرة ولاستدراك هذا القصور لا بدّ أن تشملّ دراستها كلّ النّصّ، ومن هؤلاء شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطوّر وتاريخ"، وجميل عبد المجيد في كتابه "البدیع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّية".

وقبل كلّ هؤلاء جبر بن ميخائيل ضومط في كتابه "الخواطر الحسان في المعاني والبيان" وكتابه "فلسفة البلاغة" وفيهما دعوة صريحة إلى نظرة بلاغية شمولية تهّم النّصّ الأدبيّ بدل الإقتصار على بلاغة الجملة.

وكثير ممّن لم نذكرهم في أصحاب هذه الاتجاهات وقد حملوا راية التّجديد في مجال البلاغة العربيّة، وكانت لهم وجهات نظر تجديديّة، منهم عبد الله العلايلي له كتاب بعنوان "مقدمة لدرس لغة العرب"، وسلامة موسى في كتابه "البلاغة العصرية واللّغة العربيّة"، وبكري شيخ أمين من خلال كتابه "البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد"، وأحمد مصطفى المراغي في كتابه "تاريخ علوم

1 - ينظر نوال جاسم: جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربيّة، ص: 184 - 195.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 196 - 284.

البلاغة والتعريف برجالها"، وأنيس المقدسي في بحثه "المسوّغات العقلية للبلاغة"، وأحمد إبراهيم موسى في كتابه "الصّبغ البديعيّ في اللّغة العربيّة"، وفتحي فريد في كتابه "المدخل إلى دراسة البلاغة"، وعبد العزيز عبد المعطي عرفة في كتابه "قضية الإعجاز القرآنيّ وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة"، ومحمّد عيد في كتابه "قضايا معاصرة في الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة"، ومحمّد حسين علي الصّغير في كتابه "علم المعاني بين الأصل النّحوي والموروث البلاغيّ"، وعبد المنعم خفّاجي وعبد العزيز شرف في كتابهما "البلاغة العربيّة بين التّقليد والتّجديد"، فقد أشارا في الكتاب إلى تغيير البلاغة تغييراً شاملاً، ومحمّد رفعت أحمد زنجير في كتابه "مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن"، ومحمّد إقبال عروي في بحثه "آليات منهجيّة لاستثمار الدّرس البلاغيّ في تحليل النّصوص"، ومحمّد بركات حمدي أبو علي في كتابه "دراسات في البلاغة"، وكتابه "البلاغة العربيّة في ضوء منهج متكامل".

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- إسماعيل الجناحيّ (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافية، المكتبة الأزهرية للتّراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م.
- أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدّين السّبكيّ (المتوفى: 773هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: الدّكتور عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
- أحمد مطلوب أحمد النّاصريّ الصّيادي الرّفاعي: أساليب بلاغية، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطّبعة: الأولى، 1980م.
- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجناحيّ (المتوفى: 1429هـ): النّظم البلاغيّ بين النّظريّة والتّطبيق، دار الطّباعة المحمّديّة القاهرة - مصر، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكريّ (المتوفى: نحو 395هـ): الصّناعتين: الكتابة والشّعر، المحقّق: علي محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصريّة - بيروت، عام النّشر: 1419هـ.
- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، سنة: 1998م.

- عبد الرَّحْمَنِ بن حَسَن حَبَنَكَةَ المِيدَانِيّ الدَّمَشْقِيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبده عبد العزيز قفيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربيّ، الطّبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م.
- عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَنِ بن محمّد، أبو بكر الجرجانيّ الدّار (المتوفى: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقّق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، اللّيثي، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النّشر: 1423هـ.
- علي بن محمّد بن علي الزّين الشّريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ)، التّعريفات، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- فضل حسن عبّاس: البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، سنة: 2005م.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيديّ (المتوفى: 1205هـ): تاج العروس، المحقّق: مجموعة من المحقّقين دار الهداية.
- محمّد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطّبعة الأولى.
- محمّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزوينيّ الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة.
- مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة. دون تاريخ، دار الفكر، القاهرة.
- منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، منشأة معارف بالإسكندرية جلال حزبي وشركاه، 1986م.
- نصر الله بن محمّد الشّيبانيّ، أبو الفتح، ضياء الدّين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، المحقّق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر - بيروت، عام النّشر: 1420هـ.

- نوال جاسم محمد منصور: جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربيّة، رسالة دكتوراه، تخصص، فلسفة في اللّغة العربيّة، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الحسين علك المبارك، كليّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، جامعة البصرة، العراق، 1434هـ - 2013م.
- يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.
- يوسف بن أبي بكر السّكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ أبو يعقوب (المتوفّى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانيّة، 1407هـ - 1987م.

## المحاضرة الثانية

### مراحل نشأة البلاغة العربيّة وتطوّر مباحثها

#### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التّالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - البلاغة في العصر الجاهليّ.
- 3 - البلاغة في صدر الاسلام.
- 4 - البلاغة في عصر بني أمية.
- 5 - البلاغة في العصر العباسيّ.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

#### 1 - توطئة

البلاغة كغيرها من العلوم الأخرى لم تنشأ دفعة واحدة، بل تدرّجت عبر مراحل مختلفة، تلك المراحل كان لكلّ واحدة منها اسهام في بناء صرح علوم البلاغة، حيث بدأت البلاغة من عمليّة ابداعية في مجال الشعر والنثر، يضبطها طبيعة العربيّ وذوقه الفطريّ السليم، ثمّ تطوّرت إلى ملاحظات مختلفة ومتنوّعة جادت بها قريحة الشعراء والنّوابع من النقاد، لتتحوّل بعدها إلى أفكار تتداخل وتتفارق مع بعض العلوم اللّغويّة الأخرى، وهكذا تجمّعت تلك الأفكار والملاحظات لتشكل نواة تأليفيّة تخصّ البلاغة، ومن ثمّة نمت وترعرعت وازدادت تلك الابداعات حتّى تكاملت فنون البلاغة واستقلّت بحالها وظهرت على حثّتها التي هي عليها.

ونحن في هذه المحاضرة سنتحدّث عن مراحل نشأة البلاغة العربيّة وتطوّر مباحثها بشيء من التفصيل، وفق العناصر التّالية: البلاغة في العصر الجاهليّ. والبلاغة في صدر الاسلام. والبلاغة في عصر بني أمية. والبلاغة في العصر العباسيّ.

#### 2 - البلاغة في العصر الجاهليّ

المراد بالعصر الجاهليّ الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، وتحدّ بقرن ونصف تقريبا قبل البعثة النّبويّة، وسمّيت بهذا الاسم لانتشار الجهل بين العرب، بما في ذلك عبادة الأصنام والجهل بالكتابة والقراءة.

لم تكن العرب في العصر الجاهليّ تفخر بالفصاحة والبلاغة فحسب، بل لا يتسبّد الفرد قومه، ولا يصبح من الكبراء والوجهاء حتّى تكتمل له عدّة خصال، مثل البيان والتّواضع والحلم والصّبر والسّخاء، كما عرف عندهم أنّ البيان شرط من شروط السيّادة، وقد وصف الله تعالى ذلك في عدّة مواضع، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>1</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>2</sup>. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾<sup>3</sup>.

ومن ذلك ما يروى أنّ الوليد بن المغيرة أحد مشركي مكّة ممّن لم يؤمن بالإسلام، جاء ذات يوم إلى النّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأثاه فقال: يا عمّ إنّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال الوليد: لم؟ قال أبو جهل: ليعطوكه، فإنّك أتيت محمداً لتعرض لما قبله. قال الوليد: قد علمت قريش أنّي من أكثرها مالاً. قال أبو جهل: فقل فيه قولاً، يبلّغ قومك أنّك منكر له. قال الوليد: وماذا أقول، فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار منّي، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة منّي، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يعلى، وإنّه ليعظم ما تحته<sup>4</sup>.

فهذا الكلام من الوليد بن المغيرة فيه دلالة على ما كان لهم من الفصاحة وبلاغة الكلام، لذلك تحدّاهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وقد عجزوا عن ذلك، ولو لم يكونوا من الملكة ما هم أهل للتحدّي لما تحدّاهم، وفي هذا يقول الجاحظ: "لم يقل: إنّ القوم قد تركوا مساءلته في القرآن والطّعن فيه، بعد أن كثرت خصومتهم في غيره. وبدلّك على ذلك قوله عزّ وجل: "وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة" وقوله عزّ ذكره: " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بدله"، وقوله تعالى جلّ ذكره: "وقال الذين كفروا إنّ هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون". وبدلّك كثرة هذه المراجعة، وطول هذه المناقلة، على أنّ التّقرّيع لهم بالعجز كان فاشياً، وأنّ عجزهم كان ظاهراً. ولو لم يكن النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحدّاهم بالنّظر والتّأليف، ولم يكن أيضاً أزاح علّتهم، حتّى قال تعالى: "قل فأتوا

1 - المنافقون: 4.

2 - البقرة: 204.

3 - الرّخرف: 58.

4 - محمّد بن حمد، أبو عمر الصّوياني: السيرة النّبويّة كما جاءت في الأحاديث الصّحيحة، مكتبة العبيكان، الطّبعة: الأولى،

بعشر سور مثله مفتريات" وعارضوني بالكذب، لقد كان في تفصيله له وتركيبه، وتقديمه له واحتجاجه، ما يدعو إلى معارضته ومغالبته وطلب مساويه. ولو لم يكن تحدّاهم من كلّ ما قلنا، وقرعهم بالعجز عمّا وصفنا، وهل هذا إلّا بمديحه له، وإكثاره فيه لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه، إذ كان كلامهم هو سيّد عملهم، والمثونة فيه أخفّ عليهم، وقد بذلوا النفوس والأموال. وكيف ضاع منهم، وسقط على جماعتهم نيفاً وعشرين سنة، مع كثرة عددهم، وشدة عقولهم، واجتماع كلمتهم؟! وهذا أمر جليل الرأى، ظاهر التدبير<sup>1</sup>.

فالعرب في الجاهليّة كانوا أرباب فصاحة وبيان، وقد تميّزت أشعارهم التي ألفت في العصر الجاهليّ باعتماد كبير، جعلهم يفتقون على انتقاء الألفاظ، وتخيير المعاني، ورسم الصّور البلاغيّة في أجمل حلّها، فكانت قصائدهم مملوءة بالتشبيّهات والاستعارات والكنائيات والطّباق والمقابلة والجناس،... وغيرها.

فهم وإن لم تكتب البلاغة في زمنهم مدوّنة، ولم تكن عندهم قد بدأت نشأتها إلّا أنّ عنايتهم بقرص الشّعْر في هذه المرحلة يعدّ من الفصاحة والمكنة البلاغيّة، والقدرة على حكاية الكلام، كما يروى أنّ زهير بن أبي سلمى كان يدقّق وينقح قصائده، لأنّ النقاد لن يتركوا القصيدة دون غرلة، فتمرّ السنّة قبل أن يشرع في قصيدة أخرى، وفي هذا يقول زهير:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مَعَارًا... أَوْ مُعَادًا مِنْ قَوْلِنَا مَكْرُورًا<sup>2</sup>

وهذا دليل يوضّح أنّ العرب في الجاهليّة عرفوا البلاغة وتمكّنوا منها، وأنهم كانوا يهتمون بها في أشعارهم، ومن كثرة شعرهم أصبح الواحد منهم يكرّر المعاني والألفاظ المختلفة ممّا قاله سابقوه، ولا عجب في ذلك بالنسبة إليهم، فشعراء العرب أكثر من أن يعدّهم عادّ أو يحصيهم محصي، يقول ابن قتيبة: "والشّعراء المعروفون بالشّعْر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهليّة والإسلام، أكثر من أن يحيط. بهم محيط. أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره في التّنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال. ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتّى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلّا عرفه، ولا قصيدة إلّا رواها"<sup>3</sup>.

1 - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، اللبّثي، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): الرّسائل للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النّشر: 1384هـ - 1964م، 276/3.

2 - شهاب الدّين أحمد بن محمّد، أبو عمر، المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (المتوفى: 328هـ): العقد الفريد، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1404هـ، 186/6.

3 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمّد الدّينوري (المتوفى: 276هـ): الشّعْر والشّعراء، دار الحديث، القاهرة، عام النّشر: 1423هـ، 61/1.

وكذلك كان الحطيئة يهتم بتتقيح شعره، ولعل في هذا التتقيح ما يدفع بالشعراء للتناز على نيل أعلى المراتب بين كبار الشعراء، يقول الحطيئة في ذلك: "خير الشعر الحولي المنقح المحكك"<sup>1</sup>. وبالتالي فهذا المنقح يعطي ثمرة يانعة للسامع، إذ به يستغني الشاعر عن الأبيات التي لا تستجيب لضوابط معينة، ولا ترقى معانيها للسليقة القويمة واللغة السليمة.

ولقد بلغ اهتمام العرب بالشعر في جاهليتهم - الذي هو مصدر بلاغتهم وسر فصاحتهم - أن عمدوا إلى مختارات من شعرهم الزائق البليغ فعلقوها على ظهر الكعبة، وهي أقدس بقعة وأول بيت وضع للناس، جاء في العقد الفريد: "إذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها، والمقيّد لأيامها، والشاهد على حكامها، حتى لقد بلغ من كلف العرب به، وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبت بها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة أمرئ القيس، ومذهبة زهير. والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات"<sup>2</sup>.

فالتأظر في شعر الجاهليين يلحظ أنّ العرب كانوا مطبوعين على السليقة، والدليل على هذا كلّهم أنهم في جميع أزمنتهم اعتنوا بفصاحة اللفظ وجزالته، ورقة الأسلوب ومثانته، ووقد اختاروا من الألفاظ أحسنها، واهتموا بالموافقة بين كلمة وكلمة أخرى، فهذا ما يجعل الوقع أقوى على السامع، وكان للغة قريش أوفى نصيب من ذلك، وقد اختارها العرب لغة لأسواقهم الأدبية ولغتهم الموحدة التي نزل بها القرآن الكريم.

فالعرب كانت لهم أسواق<sup>3</sup> كثيرة في نجد والحجاز واليمن وحضرموت، وأشهر تلك الأسواق ثلاثة كانوا يجتمعون فيها في أوقاتهم الصعبة؛ وهي سوق عكاظ وهي أشهرها، وكانت بين نخلة والطائف شرقي مكة، وكانت تستمرّ عشرين يوماً من أول ذي القعدة إلى العشرين منه، ولم تقتصر على التجارة وحدها؛ بل كانت سوقاً للشعر والخطابة يتعاكظ فيه العرب، أي يتفاخرون ويتناشدون، وقد استمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قس بن ساعدة الأيادي، وهو يخطب في الناس بسوق مجنة، وكانت على مقربة من عكاظ، وكانت تعقد في العشرة الأخيرة من ذي القعدة، وسوق ذي المجاز كانت تعقد في أوائل ذي الحجة وتستمرّ إلى الحج، وهي على مقربة ينبع.

1 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، 78/1.

2 - ابن عبد ربه: العقد الفريد، 186/6.

3 - ينظر في هذه الأسواق كتاب: "أسواق العرب في الجاهلية والإسلام" لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (المتوفى: 1417هـ).

وقد صارت هاته الأسواق محفلاً للمسجلات الشعريّة وإلقاء القصائد، ومن هنا أصبح الشاعر صاحب رسالة، وأخذ مكانة رفيعة وسط القبيلة والعرب، وإذا ظهر فيها شاعر وأصبحت له حظوة أتت إليه القبائل مهنئة، وأقيمت له الأفراح، وكانوا لا يهتنون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج.

يقول صاحب العمدة: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشرون الرجال والولدان؛ لأنّه حماية لأعراضهم، وذبح عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهتنون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"<sup>1</sup>.

وقد كان يضرب للنايعة قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وحدث ذات مرّة أن أنشده الأعشى، ثمّ حسان بن ثابت، ثمّ أنشدته الشعراء، ثمّ أنشدته الخنساء بنت عمرو ابن الشريد:

وإنّ صخرًا لتأتّم الهداة به... كأنّه علمٌ في رأسه نارٌ

فقال: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني أنّفًا لقلت إنّك أشعر الجنّ والإنس. فقام حسان فقال: والله لأنّا أشعر منك ومن أبيك!. فقال له النايعة: يابن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنّك كالليل الذي هو مدركي... وإنّ خلت أنّ المنتأى عنك واسعٌ

خطاطيفٌ جحّن في جبال متينة... تمّدّ بها أيدٍ إليك نوازعٌ

قال: فخنس حسان لقوله<sup>2</sup>.

وفي رواية أخرى أن حسان بن ثابت غضب، فقال: أنا أشعر منك ومن أبيك!. قال له النايعة: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفّات العرّ يلمعن بالضّحى ... وأسيافنا يفطرن من نجدٍ دما

ولدنا بني العنقاء وابنّي محرّقٍ ... فأكرم بنا خالاً واكرم بنا ابناً

فقال له النايعة: إنّك لشاعر لولا أنّك قلّلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنّك قلت: "الجفّات" فقلّلت العدد ولو قلت "الجفان" لكان أكثر. وقلت: "يلمعن في الضّحى" ولو قلت: "بيرقن بالدّجى". لكان أبلغ في المديح؛ لأنّ الضّيف بالليل

1 - الحسن بن رشيق أبو على القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م، 65/1.

2 - ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف - مصر، الطبعة: الأولى، 1960 - 1995م، 274/1.

أكثر طروقاً. وقلت: "يقطن من نجدة دماً" فدلت على قلة القتل ولو قلت: "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً<sup>1</sup>.

فهذا النقد الجاهلي السليبي الفطري مبعثه الذوق السليم الذي ينم عن حس بلاغي رفيع يجعل من صاحبه يتذوق مواطن الحسن، ويلتمس مواقع البيان، ويقع على فصاحة الإنسان، ولو لم تكن البلاغة في قلوبهم وعقولهم، والفصاحة في فطرتهم وعلى ألسنتهم بمكان لما استطاع هؤلاء الشعراء النقاد كالتابغة وغيره أن يميزوا بين شعر وآخر.

كما أن النقد في الجاهلية كان موجّها إلى جمهور يعرف من الفصاحة والبلاغة ما يعرف، حيث يأخذ الشاعر والخطيب في تنميق خطبته وقصيدته، ينظر فيها، كما كان مع زهير وقصائده الحولية. لهذا تجد النقاد الجاهليين، يحكمون على الشعراء بمقدار جودتهم في الصياغة، ويصفونهم حسب أسلوبهم تصويرهم، فيقولون: إن ربيعة بن عدي كان يسمّى المهلهل؛ لأنه أول من هلهل الشعر وأرقه، وكذلك المرقش لتحسينه شعره وتنميته، وكذلك قالوا: الأفوه، والمتقّب، والمنخل، وسموا القصائد الحوليات والمقدّات والمنقّحات والمحكّات<sup>2</sup>. ليصير قائلها فحلاً خنديذاً (تاماً) وشاعراً مقلّماً<sup>3</sup>.

إن تلك الملاحظات التي كان الشعراء يسوقونها لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية، وذلك لما في شعر الجاهليين من استعارة وتشبيه وجناس ومقابلة،... ما يدل على اعتنائهم بحسن الكلام وفنون التعبير البليغ، يقول شوقي ضيف: "الشعراء حينئذٍ - أي في العصر الجاهلي - كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصّور، وكانوا يسوقون أحياناً ملاحظات لا ريب أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية"<sup>4</sup>.

### 3 - البلاغة في صدر الإسلام

عصر صدر الإسلام هو عصر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ويبدأ بنزول القرآن الكريم وينتهي بسنة (40هـ - 660م)، لذا فإنّه بمجيء الإسلام ونزول القرآن باللسان العربي المبين، صار القرآن مفخرة للعرب، وصدر عزّهم، فقد عزّز لغتهم، ورفع من شأنها بين الأمم، وكتب لها البقاء والخلود، ونظراً لما فيه من بلاغة وبيان، وفصاحة وإعجاز فقد بهروا

1 - ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، 274/1.

2 - ينظر علي علي صبح: الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، دط، ص: 13.

3 - ينظر عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، اللبثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423هـ، 8/2.

4 - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الطبعة: 11، عام: 2000م، ص: 13.

بجمال لفظه ولطف معناه ومثانة نظمه، وهم أهل الخطابة والبيان، وكان قد شهد فيه من هو عالم بالشعر والخطابة، وهو الوليد بن المغيرة، حيث قال حين سمع القرآن: "والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّ له ليحطم ماتحته، وإنّ له ليعلو، وما يعلى عليه". وهذه شهادة أهل البلاغة واللّسن الذين يمتلكون قدرات التّفريق بين البليغ والأبليغ، وقريش بالذّات كانت قبيلة مشهود لها بذلك، فالعرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولاً، وماردوه منها كان مردوداً.

ولعلّ أهمّ العوامل التي ساعدت على تطور البلاغة العربيّة وازدهارها هو القرآن الكريم الذي استحوذ الوجه البلاغيّ فيه على بقيّة وجوه الإعجاز، فالقرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثمّ صار بعدهم بلاغة هذا العلم<sup>1</sup>، بل ذهب الرّافعيّ إلى أنّ جميع ما يُستشهد به في مباحث البلاغة احتواها القرآن الكريم بأجمل التّمثيل وأبدع الإظهار، وأنّ كلّ مبحث لا تمثيل له في القرآن؛ هو من باب الصنعة والتكلف الذي يذهب فيه من تأخّر من علماء البلاغة كلّ مذهب، ومع هذا العنت لا يأتون بنوع عليه مسحة جمال البلاغة الحقّة أغفله القرآن الكريم.

كما أنّ النّبّيّ - صلّى الله عليه وسلّم - كان قريشياً فصيحاً، بل كان أفصح العرب عليه الصلّاة والسّلام، فكان ينتقي من غير تكلف الألفاظ المناسبة للمعاني المناسبة، وقد وصفه الجاحظ، بقوله: "لم يسمع النّاس بكلام قطّ أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم"<sup>2</sup>.

وقد شدّ صلّى الله عليه وسلّم على يدّ الشعراء وأشاد بشعرهم؛ من ذلك قوله لحسان بن ثابت: "قلّ وروح القدس معك"، فكان إذا أرسل لسانه لم يجدوا له دفعا، وإذا مسّهم بالضّر لم يجد شعراؤهم نفعاً، وإذا وضع منهم لم يستطيعوا لما وضعه رفعا<sup>3</sup>. ومما قاله:

إن كان في الناس سبّاقون بعدهم... فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم... عند الدّفاع، ولا يوهون ما رقعوا

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم... إذا تفرقت الأهواء والشيع

1 - ينظر مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرّافعيّ (المتوفّى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربيّ، بيروت الطّبعة الثّامنة - 1425هـ - 2005م، ص: 174.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، 13/2.

3 - ينظر مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرّافعيّ (المتوفّى: 1356هـ): تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربيّ، الطّبعة: دط، ص: 174.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سماع بيت من النَّابِغَةِ الجعدي:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا...وَأِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

جاء في التذكرة أنه لما أنشد قصيدته وسمع منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا البيت قال له: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أولى لك<sup>1</sup>. وفي رواية قال له: "لا يفضض الله فاك"<sup>2</sup>.

وعن الشريد عن أبيه سويد التقي، أنه قل: "أَزِدْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هَيْه»، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هَيْه»، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: «هَيْه» وَأَنْشَدُهُ حَتَّى أَنْمَمْتُ مِائَةَ بَيْتٍ"<sup>3</sup>.

وهكذا هي البلاغة في صدر الإسلام كانت سليقة بالفطرة، وتجمع بين جمال الطبع وحسن الذوق، ولم يقل اهتمامهم بها لا شعرا ولا نثرا، بل زاد من الاهتمام بها القرآن الكريم الذي استرعى انتباههم ولفت أنظارهم وملك أفئدتهم وتمكّن من قلوبهم، حيث استمرت وفود العرب تجتمع لتتدارس الشعر والخطب في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - وهم أهل فصاحة بدورهم، فجرت المفاضلات بين الشعراء والخطباء في مجالسهم.

ومما يذكر من الملاحظات البلاغية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حين عرض لرجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فأجابه: لا، عافاك الله، فتأدى الصديق ممّا فهم من ظاهر القول، إذ ظنّ أنّه يدعو عليه، فقال له: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله<sup>4</sup>؛ وهذا ما عرف لاحقا لدى البلاغيين بالفصل والوصل وهو باب مهم من أبواب علم المعاني. وقد كان الصديق - رضي الله عنه - نسابة راوية للشعر الجاهلي، وكان يتمثل به أحيانا في خطابته كخطبته المشهورة في يوم السقيفة.

كما يحكي الرواة عن بلاغة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنّه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أيّ شذقيه شاء، كما كانت له مساهمات نقدية ضمنها النقاد والبلاغيون على حدّ

1 - ينظر محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: 562هـ): التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ، 409/3.

2 - ينظر المرجع نفسه، 42/6.

3 - ابن حبان: الصحيح، باب الشعر والسجع، ذكر إباحتها لإنشاد المرء الشعر الذي لا يكون فيه هجاء مسلم، ولا ما لا يوجب الدين رقم الحديث: 5782، 97/13.

4 - ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، 219/1.

سواء في مؤلفاتهم، وقد سأل رجلا عن شيء، فقال: الله أعلم. فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أدري<sup>1</sup>.

وقلما كان يترك وافدا عليه من قبيلة دون أن يسأله عن بعض شعرائها، وفيه يقول محمد بن سلام عن بعض مشايخه: "كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر"<sup>2</sup>. وكان رضي الله عنه يسمع البيت يعجبه فيكرره مرّات كما ذكره الجاحظ وغيره. أمّا عليّ رضي الله عنه فقد اشتهر بالفصاحة والبيان، فعن سعيد بن المسيّب أنّه قال: "كان أبو بكر وعمر وعليّ يجيدون الشعر، وعليّ أشعر الثلاثة"<sup>3</sup>.

وهذا نفسه شأن الصحابة جميعا، فقد كانوا كثيرا ما يتناشدون الأشعار ويقصّون بعض الأخبار عن جاهليّتهم، قال جابر بن سمرة: "جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرّة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذكرون أشياء من أمر الجاهليّة وهو ساكت، ورّما تبسم معهم صلى الله عليه وسلم"<sup>4</sup>.

وما يلاحظ أنّ بلاغة العرب في صدر الإسلام لا تختلف عن بلاغة العصر الجاهليّ، حيث بقيت أساليبهم على الطبع والسليقة والدربة والتنقيف، كما عرف العرب في هذا العصر الإيجاز والإطناب والمساواة في القرآن، مثلما عرفوا السجع وغلب على كلامهم، والرسول عليه الصلّة والسّلام حين نهاهم عن السجع لم ينه عن السجع على إطلاقه، بل نهى عن الذي يتشبه بسجع الكهان. ففي ذلك تقليد في لهم فيدينهم، كونه يرتبط بدينهم الوثنيّ، كما أنّ فيه الغموض والتّعسف وادعاء الغيب، فالكهان كانوا يتعمدون الإبهام في سجعهم، وينكفون فيه؛ للتأثير على الناس، وللتعمية في الجواب.

#### 4 - البلاغة في عصر بني أمية

بدأ عصر بني أمية عام (41هـ - 661م)، وانتهى عام (132هـ - 750م). وفيه حاول العرب الحفاظ على شعرهم وتقدّمهم في البلاغة، ومع ذلك شهد هذا العصر ازدهارا كبيرا لفنّ الخطابة بمختلف أنواعها من سياسيّة ووعظيّة وحفليّة، وأشهرهم في السياسة من ولّاة بني أمية،

1 - ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، 219/1.

2 - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلميّة، بيروت، 319/1.

3 - المرجع نفسه، 319/1.

4 - ابن حبان، الصّحيح، باب الشعر والسجع، ذكر الإباحة للمرء أن ينشد الأشعار ما لم يكن فيها خنا، ولا فحش، رقم الحديث: 144/1، 5781.

الحجاج بن يوسف الثقفي وزياذ بن أبيه، وفي الحجاج يقول مالك بن دينار: "ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج"<sup>1</sup>. وهذه شهادة على اقتدار الحجاج وبراعته في حسن الكلام وقوة الإقناع، كون صاحب فصاحة وبيان عز مثيها.

ومن خطباء المحافظ صحر العبدى الذى راع معاوية بخطابته، فسأله قائلا: "ما تعدون البلاغة فيكم؟" قال: الإيجاز، قال: وما الإيجاز؟ قال صحر: أن تجيب فلا تبطى، وتقول فلا تخطى"<sup>2</sup>. وهذا يبين اهتمامهم بالبلاغة، وأنها كانت من أهم قضاياهم المطروحة، كما نلاحظ أن البلاغة بدأت تدخل في مرحلة تشكّل المصطلح وبيان المفاهيم.

وفي هذه المرحلة عاد نشاط الأسواق الأدبية كسوق "المريد" بالبصرة، وسوق الكناسة في الكوفة. ومما يروى عن غيلان بن المعدل قوله: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها:

إِذَا غَيْرَ النَّأْيِ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ... رَسِيسُ الْهُوَى مِنْ حَبِّ مِيَّةٍ يَبْرُحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة: قد برح يا ذا الرمة، ففكر ساعة، ثم قال: لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح. قال: فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه، فقال: أخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه. هذا مثل قول الله عز وجل: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾<sup>3</sup> هو لم يرها ولم يكد<sup>4</sup>.

فكان تخير اللفظ والمعنى مظهرا مهما في الأحكام البلاغية في هذا العصر، من ذلك أيضا قول عبد الملك ابن مروان لعبد الله بن قيس الرقيات، حيث عتب عليه في مدحه إياه: إِنَّكَ قَلْتَ فِي:

يَعْتَدِلُ النَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ ... عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

قال عبد الملك: يَا بَنَ قَيْسَ، تَمْدَحْنِي بِالنَّاجِ، كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ، وَتَقُولُ فِي مُصْعَبِ ابْنِ الزَّبِيرِ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ... تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ<sup>5</sup>

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، 311/1.

2 - المرجع نفسه، 98/1.

3 - النور: 40.

4 - ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، 290/7.

5 - المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التتوخي البصري، أبو علي (المتوفى: 384هـ): الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود

الشالجي، دار صادر، بيروت، عام النشر: 1398هـ - 1978م، 284/4.

فوجهُ عتب عبد الملك عتب عبد الله: إنّما هو من أجل هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك، ودخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وذلك غلط وعيب<sup>1</sup>. فقال: أعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه وهو اعتدال التّاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النّضارة<sup>2</sup>، وهو عادة من عادات العجم.

أمّا خطباء الوعظ فقد اشتهر فيهم غيلان الدمشقيّ والحسن البصريّ وواصل بن عطاء، فبلغوا ببيانهم أعلى المراتب، وكلّ هذا لشدة اهتمامهم ببلاغة الكلام، ناهيك تحرّزهم من اللّحن وامتعاضهم من ركافة الكلام، من ذلك ما يروى عن عبد الملك أنّه كان يستسقط من يلحن، قال العتبي: "استأذن رجل من عليه أهل الشّام عليه وبين يديه قوم يلعبون بالشّطرنج، فقال: يا غلام، غطّها فلمّا دخل الرّجل فتكلّم لحن، فقال عبد الملك: يا غلام، اكشف عنها الغطاء؛ ليس للّحن حرمة"<sup>3</sup>.

وعلى هذا أحصوا الذين لم يسمع منهم لحن قطّ في ذلك العهد، فعّدوا منهم عبد الملك بن مروان، والشّعبي، والحسن البصري، وأيوب بن القرية؛ وقال الحسن يوماً لبعض جلسائه: توضيت، فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنّها لغة هذيل؛ وكان هذا الجواب أبين عن فصاحته من الفصاحة نفسها. وأحصوا اللّحّانين من البلغاء، فعّدوا منهم خالد بن عبد الله القسري وخالد بن صفوان وعيسى بن المدور؛ وكان الحجاج بن يوسف يلحن أحياناً<sup>4</sup>.

ولهذا كثرت الملاحظات البيانية في عصر بني أمية. وذلك لأسباب عدّة منها؛ تحضّر العرب واستقرارهم في المدن والأمصار، وازدهرت الحياة العقلية بسبب ظهور الأحزاب السياسية، فكان هناك الأمويّون والخوارج والشّيعية والزبيريون، والفرق الدّينية من المرجئة والجبرية والقدرية والمعتزلة، فكان طبيعياً أن ينمو النّظر في بلاغة الكلام، وأن تكثّر الملاحظات المتّصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب بل أيضاً في مجال الشّعر والشّعراء. ومن يطّلع

1 - ينظر محمد بن عمران بن موسى أبو عبيد الله المرزباني (المتوفى: 384هـ): الموشح في مأخذ العلماء على الشّعراء، دط، ص: 283.

2 - ينظر الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): الصّناعتين، الكتابة والشّعر، المحقّق: علي محمّد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام النّشر: 1419هـ، ص: 98.

3 - الرّافعي: تاريخ آداب العرب، 1/155.

4 - المرجع نفسه، 1/155.

على أخبار الشعراء في هذا العصر يجد من الجماليات البلاغية ما يجعل هذا عصر وريث للبلاغة في الجاهلية، فقد برع الفرزدق وجريير في فنّ الهجاء القديم، ومن نتائج ذلك شعر النقائض بين جريير والفرزدق والأخطل.

### 5 - البلاغة في العصر العباسي

بدأ العصر العباسي عام (132هـ - 750م) وانتهى عام (656هـ - 1258م)، وقد ازدهرت فيه الملاحظات البلاغية؛ حيث تطوّر النثر والشعر مع تطوّر الحياة والحضارة، وقد نشأت طوائف من العلماء، منها ما عني باللّغة والشعر، وهي طائفة اللّغويين والنّحاة، ومنها ما عني بالخطابة والمناظرة وإحكام الأدلّة، وهي طائفة الأدباء، أدّى هذا إلى نموّ البحث البلاغيّ وازدهاره، فانتشرت الملاحظات البلاغية وبدأت تصطبغ بالصّبغة العلميّة انطلاقاً من سيّوبه إمام النّحاة، وصولاً إلى عبد القاهر الجرجانيّ الذي اكتمل صرح البلاغة على يديه، فوضع أصولها وأرسى قواعدها حتّى غدت علماً مستقلاًّ ظاهراً، فلما جاء السّكّاكبيّ من بعده قنّنها وربّتها وبوّبها وأصنغ عليها من ملاحظاته ولمساته.

وقد شهد هذا العصر نشأة آراء كثيرة أصيلة ومترجمة، حول البلاغة وعناصرها... فأخذ العلماء يبحثون في أصول بلاغات العرب، وتدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة... وأشهر ما يؤثّر في ذلك وصيّة بشر بن المعتمر من زعماء المعتزلة (ت 210هـ) فهي صحيفته القيّمة تعدّ وثيقة بلاغية مهمّة، وقد ذكرها الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين".

يقول الجاحظ: "مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السّكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر فظنّ إبراهيم أنّه إنّما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النّظّارة، فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفحا واطووا عنه كشحا. ثمّ دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتتميقه، وكان أوّل ذلك الكلام: خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك السّاعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصّدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغرّة، من لفظ شريف ومعنى بديع. وأعلم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول، بالكّد والمطاوله والمجاهدة، وبالتكّلف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يخطئك أنّ يكون مقبولا قصدا، وخفيفا على اللّسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه. وإياك والتّوعر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد، والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا كريما، فإنّ حقّ المعنى الشّريف اللفظ الشّريف، ومن حقّهما أنّ تصونهما عمّا يفسدهما ويهجنهما، وعمّا تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس

إظهارهما، وترتحن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما. فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً، وقريبا معروفاً، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة<sup>1</sup>.

ففي هذا العصر لم تبق البلاغة حبيسة الابداع الفني ولا الملاحظات المرتجلة الذوقية، ولكن انتقلت لميدان الكتابة والتأليف، فقد ألفت كتب جمّة تجمع الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة، كإعجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، والفصاحة للدينوري، وصناعة الكلام والبيان والتبيين للجاحظ، والبدیع لابن المعتز، وقواعد الشعر لثعلب، وإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه للواسطي، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، وغير هذا كثير، وقد كان لفئة الكتاب وفئة المتكلمين والفقهاء والمفسرين واللغويين والنحاة والزواة والشعراء دور مهم في هذا الجانب.

ففرى في كتابات ابن المقفع إشارة إلى ما سماه البلاغيون فيما بعد بـ "حسن الاستهلال"، و"ردّ الأعجاز على ما تقدّمها".

والجاحظ الذي ألف كتابه البيان والتبيين الذي دافع فيه عن بلاغة العرب ضدّ الشعوبيين، أشار فيه إلى بعض الفنون البلاغية؛ كالصراحة والبلاغة والاستعارة والتشبيه والكتابة والإيجاز والإطناب، وهذه الفنون البلاغية التي ذكرها مبثوثة في تضاعيف الكتاب لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فهو كتاب بيان بلا ريب، وصاحبه من الذين أسهموا في وضع أسس البلاغة في هذه الفترة.

وأبو عبيدة معمر بن المثنى فسّر الألفاظ القرآنية وأشار إلى بعض المسائل البلاغية كالإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير دون تسمية لها، كما أشار إلى خروج بعض الأساليب الإنشائية عن دلالتها الأصلية إلى بعض المعاني كالاستفهام والأمر والنهي، كما تحدّث عن الالتفات، والتشبيه وتعرض للمجاز العقلي من غير تسمية له، وإتّما أشار إلى بعض شواهد التي أفاد منها البلاغيون فيما بعد.

والفراء في كتابه معاني القرآن شرح بعض ألفاظ القرآن وبعض الأساليب البيانية والتراكيب الإعرابية، وقد نثر في تضاعيف الكتاب بعض الملاحظات البلاغية، فأشار إلى الإيجاز، وأشار إلى بعض صور الإطناب وبيّن الغرض البلاغي منها، وتحدّث عن التقديم والتأخير، ولاحظ خروج الاستفهام والأمر والنهي عن دلالتها الأصلية إلى معان بلاغية، ووقف عند صور المجاز العقلي

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، 128/1.

ومثّل له من القرآن ومن كلام العرب دون تسمية له، كما عرّف التشبيه وبيّن أركانه من المشبّه والمشبّه به والأداة ووجه الشبّه، وعرض للمشاكله دون تسمية لها.

وعبد الله بن المعتزّ في كتابه البديع فقد عني فيه بالبلاغة ككلّ كما كانت على سجيّة العرب، فكان قصده من تأليفه نصرة البلاغة الفطريّة الطبعيّة على حساب البلاغة التكلّفيّة الصنعيّة بعد أن برز صراع حول قضية تجديد الشّعريّ وظهور فئتين من أنصار الشّعريّ؛ فئة محافظة ترى البلاغة والجمال في الشّعريّ القديم، وفئة تأثّرت بالتقافات الوافدة من منطق وفلسفة، فترى البلاغة بمنظور آخر غير المنظور القديم.

لذا فإنّ الكتاب له قيمة كبيرة في تاريخ البلاغة إذ كان خطوة في تطوّرها وتقدّمها، حيث تناول فيه الكثير من فنون البلاغة؛ كالاستعارة والكناية والتشبيه والمطابقة والجناس، وقد دعاه إلى تأليف هذا الكتاب تعريفه للنّاس أنّ المحدثين لم يسبقوا المتقدّمين إلى شيء من أنواع البديع.

وابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن ردّ على الطّاعنين في لغة القرآن وأسلوبه، ولهذا تحدّث فيه عن العرب وما خصّهم الله به من قوّة البيان، كما تحدّث عن وجوه إعجاز القرآن، وأشار إلى المجاز والاستعارة والقلب والاختصار في الكلام والزيادة فيه، والكناية، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، وبهذا الصّنيع وضع لكلّ لون من هذه الألوان باباً يخصّه من غير تقسيم ولا تحديد للمصطلحات. والمبرّد ألف كتابه الكامل في اللّغة والأدب، وقد نثر فيه كثيراً من مسائل البلاغة، وعقد فيه للتشبيه باباً بدأ فيه بعرض كثير من التشبيهات الرّائعة في شعر العرب، وقسم التشبيه إلى أربعة أقسام، هي: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، كما تحدّث عن الاستعارة والكناية والالتفات والإيجاز والإطناب وغير ذلك.

وهناك آخرون في مجال النّقد والشّعريّ كانت لهم اسهاماتهم البلاغيّة، مثل قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشّعريّ، والآمدي في كتابه الموازنة، وعلى بن عبد العزيز الجرجانيّ في كتابه الوساطة، ففي هذين الكتابين الأخيرين إشارات كثيرة إلى بعض الفنون البلاغيّة؛ كالاستعارة والتشبيه والكناية والتجنيس والمطابقة.

ثمّ توالى الكتب والمؤلّفات في العصر العبّاسيّ التي تحمل في ثناياها مادّة بلاغيّة كبيرة أفاد منها الإمام عبد القاهر والبلاغيّون من بعده في إرساء قواعد البلاغة وبناء صرحها، منها كتاب سرّ الفصاحة لابن سنان، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشّريف الرّضيّ، وإعجاز القرآن للباقلانيّ، والنّكت في إعجاز القرآن للرّمانيّ، والعمدة لابن رشيق القيروانيّ،... ويمكن القول أنّ

صرح البلاغة قد اكتمل على يدي الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي وضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان في كتابيه دلائل الإنجاز وأسرار البلاغة.

فلعبد القاهر مكانة عظيمة في تاريخ البلاغة حيث شاعت شهرته في الآفاق، وذلك لما امتاز به عن سابقيه بأنه جمع ما تفرّق قبله من علوم البلاغة، واستطاع بذكائه وثاقب نظره وضع قواعد البلاغة، وبناء صرحها على أساس متين من الأصول والقوانين التي استقرت بشكل متكامل، وفي إطار شامل، مدعماً ذلك بالشواهد والأمثلة الكثيرة التي ساقها في بيان عذب وأسلوب بليغ، فلم يكتف عبد القاهر في كتابيه بتعقيد القواعد وتقنينها، بل حرص مع ذلك على ضرب الأمثلة حتى تتضح فنون البلاغة حقّ الوضوح وتتمثّل في الأذهان خير تمثّل.

فعبد القاهر هو مؤسس البلاغة الذي وضع أصولها وأرسى قواعدها ولم يحدث بعده أي تغيير يذكر في علم المعاني والبيان؛ لأنّه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كلّ القواعد البلاغية فيهما، وقد فتن البلاغيون بعبد القاهر وعلمه الغزير فراخوا يرددون كلامه ويقفون عنده ولا يتجاوزنه، وأصبح لكتابه مكانة مرموقة جعلت كلّ من جاء بعده يعتمد عليها ويفتسب من مسائلها ويدور في فلكها لا يحيد عنها.

ثمّ جاء بعبد القاهر جارا لله محمود بن عمر الزمخشريّ الذي قام بدراسة ما كتبه عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة واستطاع أن يستوعب ما فيهما، ويتمثّلها خير تمثيل، وأن يطبّق ذلك كلّّه في كتابه الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، الذي اهتمّ فيه ببيان الأسرار البلاغية في القرآن، وبإظهار إعجازه عن طريق بيان وفاء دلالاته على المراد مع مراعاته مقتضيات الأحوال، ويكشف ما فيه من خصائص التّصوير ولطائف التّعبير في البيان القرآنيّ، وعلى الرّغم من أنّ هذا الكتاب يعدّ من كتب التّفسير فإنّه يعدّ في الوقت ذاته من كتب البلاغة؛ لأنّه مليء بمسائلها ولطائفها.

وفخر الدّين الرّازي فهو من أوائل من اتّجهوا إلى الاختصار والتّخليص فهو يعدّ مرحلة انتقالية، حيث اهتمّ بإدخال المنطق والفلسفة في علوم البلاغة، وقام بتلخيص كتابي عبد القاهر في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

ثمّ جاء الدّور لأبي يعقوب يوسف السّكاكيّ في كتابه مفتاح العلوم الذي جعله لعلم المعاني وعلم البيان وملحقاتها من الفصاحة والبلاغة، والمحسنات اللفظية والمعنوية، وقد قام فيه بتقنين قواعد البلاغة مستعيناً في ذلك بقدراته المنطقية على التّعليل والتّعريف والتّفريع والتّقسيم، وبذلك تحوّلت البلاغة على يديه إلى قواعد وقوانين صيغت في قوالب معيارية.

ولمكانة كتاب المفتاح في البلاغة العربيّة ظلّ العلماء من بعده قرونًا عديدة، من بداية القرن السابع الهجريّ وإلى القرن الماضيّ عاكفين على دراسته وشرحه وتلخيصه حتّى لكأّنه لم يؤلّف في البلاغة كتاباً غيره، ومن شدّة استنارة اهتمامهم به ركّزوا عليه في مصنفاتهم، وأولوه بالتلخيص والشروح والحواشي والتّقارير ونحوها، وكان من هؤلاء القزوينيّ، والشيرازيّ، ومظفر الخخالي، والشريف الجرجانيّ، وابن كمال باشا، وغيرهم.

وملخصّ القول أنّ البلاغة العربيّة في العصر العباسيّ أخذت حقّها من العناية والاهتمام، حيث بدأت من تجميع الملاحظات والأقوال، ثمّ انتقلت إلى تأليف المصنّفات، ووصلت في نهايتها إلى تفعيد القواعد وتقنين الحدود، وتقريع النّقسيمات.

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفّى: 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكري (المتوفّى: نحو 395هـ): الصناعتين، الكتابة والشعر، المحقّق: علي محمّد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصريّة - بيروت، عام النّشر: 1419هـ.
- الحسن بن رشيق أبو علي القيرواني الأزدي (المتوفّى: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقّق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، الطّبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م.
- شهاب الدّين أحمد بن محمّد، أبو عمر، المعروف بابن عبّد ربّه الأندلسي (المتوفّى: 328هـ): العقد الفريد، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1404هـ.
- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الطّبعة: 11، عام: 2000م.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربيّ، دار المعارف - مصر، الطّبعة: الأولى، 1960 - 1995م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمّد الدّينوري (المتوفّى: 276هـ): الشعر والشّعراء، دار الحديث، القاهرة، عام النّشر: 1423هـ.
- عبد القادر حسين، فن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، الطّبعة: الثّانية، 1984م.
- علي علي صبح: الصّورة الأدبيّة تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربيّة، دط.

- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423هـ.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): الرسائل للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: 1384هـ - 1964م.
- المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التتوخي البصري، أبو علي (المتوفى: 384هـ): الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، عام النشر: 1398هـ - 1978م.
- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثامنة - 1425هـ - 2005م.
- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ): تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، الطبعة: دط.
- محمد بن حمد، أبو عمر الصوياني: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: 562هـ): التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ.
- محمد بن عمران بن موسى أبو عبيد الله المرزباني (المتوفى: 384هـ): الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دط، دت.

# المحاضرة الثالثة

## مصادر البلاغة العربيّة

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التّالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - مصدر كلام العرب وملحوظاتهم.
- 3 - مصدر الإعجاز القرآنيّ.
- 4 - مصدر النّقد والأدب.
- 5 - مصدر النّحو العربيّ.
- 6 - مصدر تفسير القرآن العظيم.
- 7 - مصدر البحث البلاغيّ المتخصّص.
- 8 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

هذه المحاضرة تتكامل والمحاضرة الثّانية، فإن كانت الثّانية تكلمنا فيها عن تاريخ البلاغة العربيّة ونشأتها وتطورها؛ فهذه المحاضرة نتكلم فيها عن مصادر البلاغة العربيّة، ولا ريب أنّ بينهما تداخل وتكامل، حيث في ذكر مراحل نشأة البلاغة تحدّثنا عن سمات ومميّزات البلاغة في كلّ مرحلة من تلك المراحل مع ذكر الأعلام ومجهوداتهم حتّى بلغت البلاغة ذروتها التي هي عليها اليوم كعلم مستقلّ، وفي هذه المحاضرة عند ذكر كلّ مصدر من مصادر البلاغة سنعرّج عن شيء من ذلك، كون المصادر ضمن مراحل نشأة البلاغة؛ لكن من غير تركيز عنها في ذاتها، وهنا نركّز عنها ونصنّفها من غير تكرار ولا إعادة، وذلك قصد بيان مادّة البلاغة من أيّ المصادر أُنشئت؟

نعود فنقول: لقد اشتهر العرب - في جاهليّتهم وقبل الإسلام - بفصاحة اللّسان، وقوّة البيان، وعرفوا بقاء الفطرة، وجمال الفكرة، وصفاء القريحة، وسلامة الدّوق، وبرعوا في بلاغة الكلام، وانتقاء الألفاظ واختيار المعاني؛ الشّيء الذي جعلهم يشتهرون بالإيجاز والاختصار في أقوالهم، والبعد عن فضول الكلام في أحاديثهم، حتّى يكون كلامهم مؤدياً للغرض المقصود من أقرب طريق، بلا إطناب ولا تعقيد ولا غرابية، وقد كانت لهم أسواق فيها يفصحون عن ملكتهم البلاغيّة

واللغوية؛ إبداعاً ونقداً، حتى بلغوا في إتقان أقوالهم، وتهذيب كلامهم. وتتساق عباراتهم، مبلغاً جعل الجاحظ يدّعي للعرب الفضل على الأمم قاطبة في الخطابة والبلاغة<sup>1</sup>.

ولما جاء الإسلام ونزل القرآن بلسان عربي مبين انبهر العرب ببلاغته، وعجزوا عن مجاراتها، وسلموا بعجزهم عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سور القرآن، وقد عرفوا أن بلاغة القرآن الكريم فوق مقدور البشر، وهان أمر بلاغتهم أمام بلاغته، وضعف أمر فصاحتهم أمام فصاحته؛ وصدق الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾<sup>2</sup>.

فأقبل المسلمون على القرآن الكريم، يتزودون من معينه الذي لا ينضب، ويرتشفون من رحيقه العذب، ويرتوون من مائه السلسيل، حتى رق إحساسهم، وأرهفت مشاعرهم، وسلمت أذواقهم، وعرفوا من خواص التراكيب ما لم يكونوا يعرفون، وشهدوا من مظاهر النظم وخصائصه ما لم يكونوا يشهدون!<sup>3</sup>.

ومع ما ذكرنا فإنه - كذلك - بانتشار الإسلام في ربوع المعمورة، واختلاط العرب بالعجم الشيء الذي أدى لظهور اللحن، فكان ذلك دافعا من دوافع عجلة البحث البلاغي ما جعل وتيرة البحث والتدوين تتحرك للحفاظ على لغة القرآن الكريم.

ومن هنا يمكن القول بأن مصادر البلاغة العربية متعددة، منها الفصيح من كلام العرب شعره ونثره، ومنها القرآن الكريم وإعجازه، ومنها النقد والأدب، والنحو العربي، وتفسير القرآن العظيم، والبحث البلاغي المتخصص، وقد استتبقت الفنون البلاغية من ذلك تدريجياً خلال محطات رئيسية تكلمنا عنها في المحاضرة الماضية، وفي هذه المحاضرة نتكلم عن هذه المصادر بشيء من التفصيل.

## 2 - مصدر كلام العرب وملحوظاتهم

من كل ما سبق فإن مصدر كلام العرب وملحوظاتهم يُعتبر أول مصدر للبلاغة العربية هو كلام العرب أنفسهم، وأوله الشعر ثم يليه النثر، وأول كاشف لفنون البلاغة هم العرب أنفسهم

1 - ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ص: 9 - 13. وينظر: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 16 وما بعدها.

2 - الإسراء: 88.

3 - الجناحي: النظم البلاغي، ص: 23.

أيضاً، وكان ذلك قبل التأليف في البلاغة، حيث وردت عنهم العديد من الملاحظات النقدية لبعضهم البعض كشفت عن حسّهم البلاغيّ الذي يميّز إبداعهم القوليّ في الشعر والنثر.

لقد كانت الفطرة التي نشأ عليها العربيّ هي الميزان العادل، والحكم الصّارم الذي يزن به جيد الكلام من رديئة، وبذلك يتبارى الشعراء، ويتنافس الخطباء في الأسواق، ويصدر المحكّم حكمه بملكته البلاغية وصفاء لغته وقوة قريحته؛ فيحكم لهذا أو هذا، وينتشر قوله في العرب الفصحاء ولا يعيبونه، ولا يردّونه، ولا يجدون فيه غضاضة كونه ينسجم مع ما ألفوه من استقامة اللسان وصفاء القريحة وسلامة اللغة وملكة الإبداع، ولهذا قيل: أشعر النّاس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والثّابغة إذا رهب، وعنّرة إذا كلب، والأعشى إذا طرب<sup>1</sup>.

وقد اشتهر على ألسنتهم من أمثال هذا الذّوق البلاغيّ والمعرفة بمواطن الحسن في الكلام الكثير، نذكر من ذلك:

روى أنّ الملتمس - أو المسيب بن علس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة وفيهم طرفة بن العبد فاستنشدوه، فأنشدهم:

وقد أتتاسى الهمّ عند احتضاره. . . بناجٍ عليه الصّيعريةً مُكْدِمُ

الصّيعرية سمة توسم بها النّوق، فقال طرفة استنوق الجمل، فضحك النّاس منه وهزئوا به، فقال الكميت مدحتكم فأفرطت في مدحك حتّى جعلت المؤنث مذكراً، وصار قول طرفة مثلاً<sup>2</sup>. ويقال: إنّ المسيب قال: أخرج لسانك يا فتى، فأخرجه، فقال: ويلٌ لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه<sup>3</sup>.

فنلاحظ في قصّة طرفة مع الملتمس بن علس دقّة الذّوق في النّظر إلى المعنى وصوابه، ومن ذلك أيضاً ما أدرك على امرئ القيس قوله:

أَعْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي ... وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

1 - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدوانى، البغداديّ ثمّ المصريّ (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حنفي محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة - المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، ص: 419.

2 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدّينوريّ (المتوفى: 276هـ): المعاني الكبير في أبيات المعاني، المحقّق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت 1373هـ)، عبد الرّحمن بن يحيى بن علي اليماني (1313 - 1386هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة - حيدر آباد الدكن بالهند، الطّبعة الأولى، 1405 هـ - 1984م، 575/1.

3 - الحسن بن بشر أبو القاسم الأمديّ (ت 370 هـ): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، تحقيق/ السيّد أحمد صقر، دار المعارف - الطّبعة الرّابعة، 42/1.

فقالوا إذا لم يعزّ مثل هذا فما الذي يغرّ ومعناه في هذا البيت يناقض معنى البيت قبله حيث يقول:

فإنّ تكُ قد ساءتُك مَنّي خَليقةً، ... فسُليّ ثيابي من ثيابكِ تتسُلي

لأنّه ادّعى في هذا البيت أنّ فيه فضلا للتجلد وقوّة على الصّبر بقوله: فسلي ثيابي من ثيابك تتسلي، وزعم في البيت الثّاني أنّه لا محمل فيه للصّبر ولا قوّة له على الملل والهجر، بقوله: وأنّك مهما تامري القلب يفعل فخالف بين البيتين في معناهما<sup>1</sup>.

وذكروا أنّ النّابغة الذّبيانيّ كان يجلس للشّعراء في سوق عكاظ، وعكاظ: سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتّنافر ليلا، ولتصريف المتاجر نهارا. وللأشعار نصيب من كلّ ذلك، لذا يأتيه الشّعراء فينشدونّه، فيفضل من يرى تفضيله. فأنشده الأعرشي شعرا فاستحسنه ثمّ أنشدته الخنساء قصيدة حتّى انتهت إلى قولها:

أقدّي بعينك أم بالعين عوارُ ... أم درفت أن خلّت من أهلها الدارُ

فأعجبه شعرها فقال: والله لولا أنّ هذا الأعرشي - يعني الأعرشي - أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. وفي رواية، لقلت: أنّك أشعر الجنّ والأنس، وقيل: قال لها: والله ما رأيت ذات مائة أشعر منك، فقالت: وذا خصية يا أبا أمامة، فقال: وذا خصية.

وكان ممّن عرض شعره في ذلك الموسم على النّابغة حسّان بن ثابت، فلم يحكم له النّابغة فغضب حسّان، وقال: أنا أشعر منك ومنها، فقال: ليس الأمر كما ظننت، ثمّ التقت الخنساء، فقال: يا خناس خاطبيه، فالتفتت إليه فقالت: ما أجود بيت في قصيدتك التي عرضتها آفأ؟ قال: قولي:

لنا الجفّاتُ العُرُّ يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت: ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا، قال وكيف؟ قالت: قلت (الجفّات) والجفّات ما دون العشر، ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت (العُرّ) والغرة بياض يكون في الجبهة، ولو قلت: البيض لكان أكثر اتّساعا. وقلت (يلمعن) واللّمع شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت: يشرق لكان أكثر، لأنّ الإشراق أدوم من اللّمعان. وقلت (بالضحى) ولو قلت: بالدجى لكان أكثر إشراقا. وقلت (وأسيافنا) والأسياف دون العشر ولو قلت: سيوفنا كان أكثر. وقلت: يقطن،

1 - محمّد بن أيّدمر المستعصي (المتوفى: 710هـ): الدّرّ الفريد وبيت القصيد، على الهامش للمحقّق: الدّكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م، 309/1.

ولو قلت: يسئلن كان أكثر. وقلت من نجدة، والنجدات أكثر. وقلت: دما والدماء أكثر من الدم. فلم يجر جواباً<sup>1</sup>.

حيث نلحظ أنّ النّابغة نظر إلى المقام وما يقتضيه من كلام، فعاب على حسن ترك المبالغة، وهذا تفریط منه إذ المقام مقام فخر يقتضي ذلك، وما البلاغة إلا مراعاة لمقتضى الحال، يقول أبو المظفر أسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر تحت باب التّفريط: "اعلم أنّ التّفريط هو: أن يقدم الشاعر على شيء، فيأتي بدونه فيكون تفریطاً منه، إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى، وهو باب واسع يعتمده النقاد من الشعراء، وهو مثل قول حسن بن ثابت: لنا الجفانتُ الغرُّ يلمعن بالضحي... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما"<sup>2</sup>.

ويقول صاحب الطراز: "عرفت بما ذكرناه أنّ الكلام متى عرى عن استعمال المبالغة كان مذموماً نازل القدر، فينحل من مجموع ما ذكرناه هاهنا معرفة ما يقبل في المبالغة وما يردّ، وما يكون محموداً أو مذموماً بما قرناه والله أعلم بالصواب"<sup>3</sup>.

كما أنّ الشعراء كانوا يفدون على زهير بن أبي سلمى - وهو مزامن للتّابغة الذّبيانيّ - في سوق عكاظ وينشدون أمامه أشعارهم ليحكم بينهم متفافرين بما في شعرهم من أساليب التّشبيه والمجاز بأنواعه، وكيف كان زهير يقضي لهذا أو ذاك على غيره من الشعراء لأنّه أجاد التّشبيه أو الاستعارة أو الكناية<sup>4</sup>.

وقد فطر البلغاء العرب من شعراء وخطباء منذ العصر الجاهليّ على قول البليغ من الكلام شعراً أو نثراً، وكانت سلائقهم اللّغويّة السّليمة خير معين لهم، فاهتدوا إلى بليغ الكلام بالفطرة فاعتادوه وألفوه، ومنه قول قسّ بن ساعدة الأياديّ في سوق عكاظ، وهو مشهور: "أيها النّاس،

1 - ينظر عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ): خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة: الرّابعة، 1418هـ - 1997م، 112/8. وينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجناحيّ (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافيّة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتّراث القاهرة - مصر الطّبعة: سنة 2006م، ص: 5.

2 - مجدّ الدّين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ أبو المظفر الكنانيّ الكلبّيّ الشّيزريّ (المتوفى: 584هـ): البديع في نقد الشعر، بتحقيق: الدّكتور أحمد بدوي، الدّكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة - وزارة الثّقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبيّ - الإدارة العامّة للثقافة، ص: 146.

3 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبيّ الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 66/3.

4 - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: بدون، ص: 9.

اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، إنّ في السّماء لخبراً، وإنّ في الأرض لعبراً: مهاد موضوع، وسقف مرفوع، وبحار تموج، وتجارة لن تبور وليل داج، وسماء ذات أبراج! أقسم قسّ حقّاً: إنّ كان في الأرض رضا ليكوننّ بعده سخط! وإنّ لله عزّ وجلّ ديناً هو أحبّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه! ما لي أرى النّاس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا!<sup>1</sup>.

والى جانب هذا السّجع الفطريّ قول عبد المطلب بن هاشم - أيضاً - يهنئ سيفَ بن ذي يزن باسترداد مُلكه من الحبشة: "إنّ الله تعالى أيّها الملك أحلك محلاً ربيعاً صعباً منيعاً، باذخاً - يعني: عاليّاً - شامخاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته، وعزّت جرثومته -جرثومة والأرومة هي الأصل-، ونبل أصله، وبسق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن؛ فأنت أبيت اللّعن رأس العرب، وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه. نحن أيّها الملك أهل حرم الله وذمّته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التّهنئة لا وفود المرزئة"<sup>2</sup>.

ثمّ جاء القرآن الكريم فأثر في نفوسهم تأثيراً كبيراً بغض النّظر عن قبولهم به أو رفضهم له، لكنّ معرفتهم ببلاغة الكلم، وهم أرباب اللّغة والبيان، كانت سبباً بإعجابهم ببلاغة القرآن الكريم حدّ الانبهار، حتّى قال بعض علماء الإعجاز - القائلين بالصّرفه - أنّهم كانوا قادرين على مباراته لكنّ الله صرفهم عن ذلك فما استطاعوا ممارته ولا مجاراته، وإن كنت أرى رأي الذين يقولون بعدم الصّرفه، وأنّهم عجزوا رغم قدرتهم البلاغيّة، وملكتهم البيانيّة، وقوتهم الفصاحيّة.

فحين النّظر لشعر العرب نجدهم قد عرفوا فيه كلّ الخصائص الفنيّة والأساليب البيانيّة التي تخلع عليه صفة الجمال والإبداع، حيث كان الشّاعر منهم بحسّه الفطريّ، وعلى غير دراية منه بأنواع هذه الأساليب البيانيّة ومصطلحاتها البلاغيّة يستخدمها تلقائياً كلّما جاشت بنفسه خاطرة وأراد أنّ يعبر عنها تعبيراً بليغاً<sup>3</sup>.

1 - أحمد بن عبد الوهاب بن محمّد بن عبد الدائم القرشيّ النّيمي البكريّ، شهاب الدّين التّويري (المتوفى: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 120/2.

2 - ينظر عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالّية، علم المعاني، مراجعة عبد القادر حسين، الطّبعة الثّانية: 1411هـ، 1991م، مكتبة الآداب، القاهرة، ص35.

3 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم البديع، ص: 8.

وقد ظلَّ العرب على هذه الحال من إنتاج الأدب والاستمتاع بتذوقه، ومعرفة مرامي الكلام وأبعاده من غير مدارس تُدرّس علومَ البلاغة، ومن غير تصنيف للبلاغة إلى "بيان" و"معاني" و"بديع" ومن غير تشعيب ولا تقسيم ولا تفريع داخل كلِّ فرع من الفروع السَّابقات؛ فكان نتاجهم صورةً من نفوسهم الفطريّة، وتطبيقًا عمليًّا لقواعد لغتهم السَّليقيّة دون أن يحتاجوا إلى تبويب أو تقسيم؛ فالقُبّة الحمراء التي كانت تُضرب للنَّابغة الذبيانيّ بسوق عكاظ في العصر الجاهليّ ليجلس تحتها ويأتي إليه الشّعراء ويعرض عليه كلُّ شاعر شعره ليميز هو بين حسن الشعر وريئيه، ويختار أفضله، لتدلُّ دلالةً واضحةً على أنّ هناك مقاييس معيّنة كان يُختار وفقها أفضل الشعر وأحسن الشّعراء - وقد ذكرنا قصته قبل ذلك، وذكرناها في المحاضرة السَّابقة كذلك - وهذا دليل على أنّ العرب في الجاهليّة قد عرفوا الفصاحة والبلاغة؛ ولكن البلاغة الفطريّة البسيطة البعيدة عن التّعديد الذي عليه البلاغة اليوم.

### 3 - مصدر الإعجاز القرآنيّ

لا ريب أن القرآن الكريم من أهمّ مصادر البلاغة العربيّة، فحين نرجع لتاريخ نشأة البلاغة نجد أنّ السَّبب الأساس في ذلك هو القرآن الكريم، وذلك عندما انبرى علماء الأُمَّة للدِّفاع عنه، وحمايته من اللّحن والانحراف، وبيان وجوه إعجازه، وتجلية جوانب الاختلاف بينه وبين المعهود من كلام العرب الذي خلّدت أشعارهم، وبذلك اتجه البلغاء والعلماء لتأليف المؤلِّفات والكتب والمصنّفات الكفيلة بتجلية أوجه البلاغة القرآنيّة قصد بيان إعجاز القرآن.

ولا يختلف اثنان بأنّ البلاغة والإعجاز وجهان لعملة واحدة، أو هما صفحتان لورقة واحدة، لا ينفكّ إحداهما عن الآخر، فإذا ذكرت البلاغة ونشأتها برز لك الإعجاز القرآنيّ، وإذا أردت معرفة وجوه الإعجاز كنت بحاجة للبلاغة دون ريب، لذا كانت البلاغة ولا تزال من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم، حيث لا يوجد خلاف في ذلك بين السَّابقين والسَّالطين من أهل هذا الفنّ، فرغم اختلاف العلماء في بعض وجوه الإعجاز إلّا أنّهم لم يختلفوا - لا قديماً ولا حديثاً - على أنّ البلاغة من أعظم وجوه الإعجاز، لهذا بعدما ذكر ابن عطية (المتوفّى: 542هـ) في تفسيره الأقوال في وجوه الإعجاز، ذكر ثلاثة أوجه، وقال في ثالثها: "وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحدّاق وهو الصّحيح في نفسه أنّ التّحدّي إنّما وقع بنظمه وصحّة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه"<sup>1</sup>.

1 - عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن بن تَمّام بن عَطية أبو محمّد الأندلسيّ المحاربيّ (المتوفّى: 542هـ): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة - لبنان - 1413هـ . 1993م الطبعة: الأولى، 48/1.

والمراد بقوله: "وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه"، البلاغة بشتى علومها، ما يخص منها اللفظ وما يخص منها المعنى.

وعليه فعندما نتكلم عن الدرس البلاغي وعلاقته بالإعجاز القرآني فإنما نتكلم عن قضية كبرى، كانت لها المكانة العظمى بين علماء المسلمين الأوائل، حيث كانوا يمجدون البلاغة العربية ويرونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، ودافعهم في ذلك أنهم يرونها وجهاً من وجوه لغة القرآن الكريم، وباباً من أبواب إظهار إعجازه.

لذلك نجد أمثال أبي هلال الحسن العسكري (ت: 395هـ)، في كتابه الصناعتين يقول: أن أحق العلوم بالتعلم، وأولها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها<sup>1</sup>.

كذلك نوه بأهمية البلاغة الإمام الزمخشري (ت: 538هـ) في كشّافه، حيث قال: "علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم - كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن - فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والتحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التتقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبّع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله<sup>2</sup>". وهو كلام من عارف بقيمة البلاغة وقدرها بين علوم اللغة.

1 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراّن أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام النشر: 1419هـ، ص: 1.  
2 - محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، المقدمة، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ، ص: 2.

ونجد كذلك الإمام محمد القزويني (ت: 739هـ) ملخص المفتاح، يقول: "فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدرا؛ وأدقّها سرّاً؛ إذ به تُعرف دقائق العربيّة وأسرارها، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها"<sup>1</sup>.

فهؤلاء الأعلام إنّما قالوا ذلك لمعرفتهم بمكانه البلاغة العربيّة في ميدان الإعجاز، ولذلك نجد علماء هذا الفنّ من بدايات التّأليف اهتمّوا بمعاني القرآن، لأنّها الوسيلة المثلى لمعرفة الإعجاز، وقد كتبوا في البلاغة العربيّة كونهم يرونها وسيلة من وسائل فهم القرآن الكريم، والكشف عن أسرارها، وبيان وجوه إعجازه.

فنجد من أمثال هؤلاء الذين كتبوا الإمام الفراء (ت: 207هـ) الذي ألف "معاني القرآن"، نجد المباحث البلاغية حاضرة، فقد فتح الفراء الباب أمام الدّراسة البلاغية القرآنيّة، وقد وضع البذور الأولى لكثير من المسائل البلاغية من خلال التّوقف عند المواضيع التي فيها أساليب بلاغية مشكلة على بعض الألفاظ أو هي مظنة الإشكال، مثل المجاز والكناية والحذف والمشاكل وغير ذلك ممّا يحتاج الى إيضاح، وقد كان الفراء يعتني بهذه الأساليب من حيث تأصيلها ونسبتها إلى العرب القدماء واستحضار نظائرها من القرآن الكريم ومن الحديث النّبويّ الشّريف ومن أشعار العرب، ولم يكن يعتني بها كثيرا من حيث إظهار الجوانب الجماليّة والوظائف البلاغية التي حققتها تلك الأساليب، فالفراء يعالج المسألة البلاغية بشرح ماهيتها واستحضار نظائرها دون أن يضع لها تعريفا محددًا ومعينا، ودون تسمية هذه الفنون البلاغية بالمصطلحات التي توافق عليها علماء البلاغة فيما بعد<sup>2</sup>.

ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: 211هـ)، حيث تكلم فيه عن مسائل من علم البيان، وبهذا ارتبطت البلاغة عنده بالمجاز بصورة لغويّة تُجمع فيها الألفاظ من غير معانيها الوضعية.

كما تناول أبو عبيدة في "مجاز القرآن" أساليب وفنون نصوص القرآن الكريم البلاغية، ومن خلال الشّعر العربيّ وكلام العرب وبشيء من الحديث النّبويّ الشّريف، وتوسّع في بيان الخصائص التعبيرية من استقهام وتمني واطناب وحذف وتقديم وتأخير واستعارة وتشبيه وكناية؛

1 - إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدّين الحنفي (المتوفى: 943 هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقّقه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 9/1.

2 - ينظر سليمان حسين العميريات: أثر الفراء في تأسيس البناء البلاغي العربي، مجلة أنساق، المجلد الأول، العدد الأول - مايو 2017م، ص: 263.

ليُبرهن على أنّ النّصّ القرآنيّ يحمل كلّ خصائص الكلام العربيّ، وغايته في هذا بيان أنّ من يتصدّى لفهم هذا النّصّ لا بدّ أن يكون متمكّنًا في علوم العربيّة وأساليبها واستعمالاتها، ومن هنا يأتي علّة فيضان كتابه بمأثور القول من شعر ونثر<sup>1</sup>.

فأبو عبيدة سبق أقرانه في التّفسير وعلوم اللّغة والبلاغة؛ فقد سبق في تأليفه "مجاز القرآن" جملة من العلماء الكبار أمثال: الأخفش الأوسط الذي اعترف بأنّه أفاد منه في كتابه "معاني القرآن" وسبق أيضا الفراء في "معاني القرآن" وأصالة آراء أبي عبيدة لا تكمن فقط في تأثيره على أقرانه؛ بل إنّ انفراد بعض آرائه وتوجيهاته على من سبقه أمثال سيبويه في تحديد نوع الفنّ البلاغيّ<sup>2</sup>.

والنّكت في إعجاز القرآن للرّمانيّ (ت: 384هـ)، فقد عرض في الكتاب لأوجه الإعجاز بشيء من الإيجاز والاختصار، وقد عدّها في سبعة أوجه، وذكر ذلك في مقدّمة الكتاب فقال: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توقّر الدّواعي وشدّة الحاجة، والتّحدّي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكلّ معجزة"<sup>3</sup>.

فنرى الرّمانيّ أنّه خصّ البلاغة بوجه واحد من وجوه الإعجاز من بين تلك الوجوه السّبعة، ولكنّ عند قراءة الكتاب نجده اهتمّ بالوجه البلاغيّ على حساب باقي الوجوه، فقد غلب الوجه البلاغيّ فيه على باقي الوجوه.

وكأنّه يرى أنّ هذا الوجه من أهمّ وجوه الإعجاز، لذا قال بعد كلامه السّابق مباشرة: "فأمّا البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن. وما كان منها دون ذلك فهو ممكن، كبلاغة البلغاء من النّاس. وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنّه قد يفهم المعنى متكلّمًا أحدهما بليغ والآخر عيّي؛ ولا البلاغة أيضًا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنّه قد يحقّق اللفظ على المعنى وهو غثّ مستكره ونافر متكلّف، وإنّما البلاغة

1 - ينظر رعد رفعت محمّد: مباحث أبي عبيدة البلاغيّة في كتابه مجاز القرآن، مجلة قهلاى زانست العلميّة، المجلّد 4، العدد4، خريف 2019، ص: 1245.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 1246.

3 - علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّمانيّ المعتزليّ (المتوفّى: 384هـ): النّكت في إعجاز القرآن، المحقّق: محمّد خلف الله، ومحمّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطّبعة: الثّالثة، 1976م، ص: 75.

إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم، كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة<sup>1</sup>.

وهو بهذه المقدمة يعرف البلاغة ويقسمها ويذكر بلاغة القرآن، وقد تبني بعض البلاغيين بعده هذا، ثم مباشرة لخص جملة المباحث البلاغية وتكلم عنها، فقال: "والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، ونحن نفسرها بابا بابا إن شاء الله تعالى"<sup>2</sup>.

فهذه هي مباحث البلاغة عنده، حصرها في هذه المباحث العشرة، وإن أردنا حصرها بتفريعاتها فقد تكلم عن الإيجاز والحذف والقصر والإطناب، والتشبيه والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والسجع، والتجانس، والمزاوجة والمناسبة، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. وهو في كل ذلك يتكلم بإيجاز كبير إلا في القليل من المباحث يتوسع قليلا في التمثيل لها. وإعجاز القرآن للباقلاني (ت: 403هـ) البلاغة كانت حاضرة عنده في الكتاب، أما المباحث التي تعرض لها على سبيل الحصر والبيان نجملها فيما يلي: البلاغة، الفصاحة، السجع، البسط (الإطناب) والاقتصار (الإيجاز)، الجمع والتفريق، الاستعارة والتصريح، والتجوز (المجاز) والتحقيق (الحقيقة)، الفواصل، الاستعارة البليغة، اليرداد، الاستعارة المليحة، التشبيه الحسن، الغلو والافراط في الصفة، المماثلة، المطابقة، التجنيس، المقابلة، الموازنة، المساواة، الإشارة، المبالغة، الغلو، الإيغال، التوشيح، رد عجز الكلام على صدره، التقسيم، التفسير، التكميل والتتميم، الترصيع، التكافؤ، التعطف، السلب والإيجاب، الكناية والتعريض، العكس والتبديل، الالتفات، التذييل، الاستطراد، التكرار، الاستثناء، الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان.

وهناك فنون أخرى من البديع أشار إليها في الفصل الأخير، وقد قال فيه: "ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم في الشعر، فهو متطرف"<sup>3</sup>. وقد ذكرها بعجل لبيّن أن وجوه البديع كثيرة وما ذكر منها سابقا إنما هو للبيان لا غير.

1 - الرّماني: النكت، ص: 75.

2 - المرجع نفسه، ص: 76.

3 - محمّد بن الطيّب أبو بكر الباقلاني (المتوفى: 403هـ): إعجاز القرآن، المحقق: السيّد أحمد صقر، دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، 1997م، ص: 300.

ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، من تلك الموضوعات التي تناولها في الكتاب ولها علاقة بالبلاغة، كلام تمهيدِي في الفصاحة والبلاغة. كلام في المجاز وفروعه ووجوهه. نظم الكلام وعلاقته بالنحو والبلاغة، وما يستلزم من معرفة التّقديم والتّأخير والإسناد والاستفهام والخبر والنّكرة. وموضوع الحذف: مَوَاضِعُ وأنواعه، بلاغته. كلام ثانٍ في الخبر بين التّعريف والتّكثير، والإثبات والتّفي. كلام في الحال ودور واو الحال. الفصل والوصل. باب اللفظ والنّظم، متداخل فيه: المجاز الحُكْمِي، والكناية والتّعريض. القصر والاختصاص: إنّما، ما وإلّا. فصول أخرى في اللفظ والنّظم، متداخل فيه: الحقيقة والمجاز. القول المبسّط والموسّع في الإعجاز والفصاحة والبلاغة. حقيقة الإعجاز ومعالمه ووجوهه. متداخل فيه: غريب الكلام، وفساد الدّوق، الفصاحة والتّحو، الاستعارة: وجوهها وأنواعها وسمو المعنى فيها. السّجع والتّجنيس المتكفّان وذمّهما. متعلّقات الفعل ومتغيّرات معاني الجمل. إدراك البلاغة وتحقيقها في الدّوق والإحساس الرّوحاني.

وهي مباحث بلاغيّة كبيرة أغلبها تحت علم المعاني وبعضها ينظّم لعلم البيان، وقد استفاض فيها استفاضة كبيرة بأسلوبه العلميّ واللّغويّ الجامع بين الأدبيّة والكلاميّة، وما أتاه الله من ملكة في المحاوره والاستدلال والبرهنة، ما يجعلها نافعة ومفيدة في مضائّها.

ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرّازي (ت: 606هـ) لا ريب أنّ الرّازي قد استثمر الكثير من المباحث البلاغيّة في الكتاب، وندرك ذلك من خلال كلامه في مقدّمة الكتاب أنّه أعاد ترتيب وتنظيم وتبويب ما جاء في كتابي الجرجانيّ، الدّلائل والأسرار، وهذا وحده كاف على أنّه استثمر الدّرس البلاغيّ في الكتاب.

والمباحث البلاغيّة المستثمرة، فهي كالتّالي: الفصاحة، البلاغة، علم المعاني، علم البيان، الحقيقة والمجاز، والاستعارة، والتّشبيه، والتّمثيل، والكناية، والتّقديم والتّأخير، الاستفهام، التّفي، والإيجاز، والحذف، والإضمار، والفصل والوصل، والتّجنيس، ردّ العجز على الصّدر، لزوم ما لا يلزم (الإعنات)، المزدوج، القصر والاختصاص، الخبر، الأغراض البلاغيّة، المطابقة، المقابلة، الاعتراض (الحشو)، الالتفات، الاقتباس، التّلميح، اللفّ والنّشر، التّعديد، الإبهام، مراعاة النّظير، الموجّه، تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ، تجاهل العارف، السّؤال والجواب (أسلوب الحكيم)، الجمع والتّفريق والتّقسيم؛ منفردة ومجمّعة، المترزلة، التّعجب، حسن التّعليل.. إلخ.

وهناك كتب تتعلّق بالإعجاز حافلة بالمباحث البلاغيّة كنظم القرآن للجاحظ (ت: 255هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت: 276هـ)، ثمّ مفتاح العلوم للسّكاكيّ (ت: 626هـ)، والتّبيان

في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزمكاني (ت: 651هـ)، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ت: 739هـ) والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي (المتوفى: 749هـ)، والفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان لابن القيم (المتوفى: 751هـ)، وغير ذلك من المؤلفات البلاغية التي كان منطلقها الأساس هو الإعجاز القرآني وجعلت من البلاغة مادة خصبة لدراستها وبيان وجه إعجاز القرآن وعظمتها.

وبهذه المؤلفات في الإعجاز ظهرت المباحث المختصة بالفنون البلاغية التي استخلصوها من القرآن، مثل: الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والشروط والجزاء، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، وغيرها من أساليب المعاني، وفنون البيان، وألوان البديع، ما يدل على العلاقة التلازمية بين فنون البلاغة المختلفة وقضية الإعجاز القرآني.

يقول الزافعي في بيان وجه الارتباط بين الفنون البلاغية والتصنيف في الإعجاز القرآني: «وممن ألفوا في الإعجاز أيضاً على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما: الإمام الخطابي (ت: 388هـ) وفخر الدين الرازي (ت: 606هـ) والأديب البليغ ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ) والزمكاني (ت: 727هـ) وهي كتب بعضها من بعض»<sup>1</sup>.

ثم يقول: «صنّف فيه جماعة من العلماء المتأخّرين: منهم الإمام الرازي (ت: 606هـ) فقد لخص كتابي (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) للجرجاني، واستخرج منهما كتابه في إعجاز القرآن وهو كتاب معروف، أحسن في نسقه وتبويبه، ثم الأديب ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ) فقد صنّف كتاب (بدائع القرآن) أورد فيه نحو مائة نوع من معاني البلاغة وشرحها، واستخرج أمثلتها من القرآن، ثم ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلى تصنيفه "كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" وهو في معناه بتلك الكتب كلها. هذا إلى أنّ كلّ ما كتبه المتقدمون في علوم البلاغة وإعجاز القرآن: كالرّماني، والواسطي، والعسكري، والجرجاني، وغيرهم؛ فإنّما ينحون به هذا النّحو من انتزاع أمثلته في القرآن، والإضافة في أبوابها، ثمّ ما يداخل هذه الأبواب من فنون الكلام شعره ونثره، ومن أجل ذلك قلنا آنفاً: إنّ القرآن كان علم البلاغة عند العرب، ثمّ صار بعدهم بلاغة هذا العلم»<sup>2</sup>.

1 - مصطفى صادق بن عبد الرزاق الزافعي (المتوفى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - 1425هـ - 2005م، ص: 108.

2 - المرجع نفسه، ص: 177.

ونجد من المعاصرين من اهتمّ بهذه المسألة وألّف فيها مصنّفًا خاصًا هدفه الحديث عن بيان مدى إثراء تلك المصنّفات للبلاغة القرآنيّة، ما أدّى لتدوين البلاغة العربيّة عموماً، من ذلك كتاب: قضية الإعجاز القرآنيّ وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة لعبد العزيز عبد المعطي عرفة، يقول فيه عن جهود أبي عبيدة بحكم أنّها من أوائل الجهود التي عرفت في هذا المجال: «وكانت محاولة أبي عبيدة ناجحة إذ تمكّن من الكشف عن بعض المسائل البلاغيّة، وتعتبر مهمّة في تكوين البلاغة التّعليميّة، لأنّها تمثّل الطّور الأوّل في نشأتها»<sup>1</sup>.

ويقول بعدما بيّن الفنون البلاغيّة التي تعرّض لها كلّ من أبي عبيدة والفراء في بيان أوجه الإعجاز القرآنيّ: «هذه هي الألوان البلاغيّة التي أشار إليها كلّ من أبي عبيدة والفراء والتي دفعتها قضية الإعجاز دفعا وكان الغرض منها فهم القرآن الكريم عن طريق تربية الذّوق الأدبيّ..»<sup>2</sup>.

وهكذا سار مع باقي من ألّف في الإعجاز القرآنيّ وخدم البلاغة تماشياً مع عصورهم، مثل: الجاحظ، وابن قتيبة، وابن المعتزّ، والرّمانيّ، وأبي هلال العسكريّ، وعبد القاهر الجرجانيّ، والزّمخشريّ الذي طبّق في كشافه ما قال به الجرجانيّ.

ومع كلّ هذا الاهتمام بالبلاغة القرآنيّة نستطيع القول بأنّ الهدف لم يكن من أجل استخراج فنون البلاغة القرآنيّة وتنظيمها وترتيبها؛ بل كان المقصد هو بيان الإعجاز والدّفاع عن القرآن ولغته عن طريق فنون البلاغة المختلفة، لأنّها تخدم الإعجاز أولاً وبدرجة رئيسيّة، ولم يكن في صلب منهجهم التّأليف في البلاغة ذاتها، ولكن استعملوها كآليّة لإظهار وجوه الإعجاز، وعناوين المصنّفات التي رأيناها تدلّ على ذلك، ومع ذلك فقد صارت تلك الجهود مادّة خامّاً للفنون البلاغيّة بعد ذلك، وأصبح كلّ من جاء بعدها عالمة عليها، ولا يمكنه الاستغناء عنها، وبهذا تبلورت فكرة المصنّفات المختلفة المتخصّصة في علوم البلاغة، وهذا ما سنتحدّث عنه في العنصر الموالي.

#### 4 - مصدر النّقد والأدب

مع أنّنا تكلمنا في المحاضرة الماضية عن البلاغة في العصر الجاهليّ وصدر الإسلام وعصر بني أميّة، وبيننا تلك الملاحظات النّقدية التي اسهمت في نشوء البلاغة العربيّة، كما تكلمنا في بداية هذه المحاضرة عن مصدر كلام العرب وملاحظاتهم، فإنّه من الجدير بالذّكر أن ننبيّه في

1 - عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآنيّ وأثرها في تدوين البلاغة العربيّة، عالم الكتاب، بيروت، الطّبعة الأولى: 1405هـ، 1985م، ص: 103.

2 - المرجع نفسه، ص: 137.

هذا العنصر على أهميّة مصدر النّقد والأدب، لذا يستحسن أن نشير إلى الجانب النّقديّ والأدبيّ الذي كان له أثر كذلك على نشأة البلاغة وتطورها؛ وخاصّة من العصر الجاهليّ إلى القرن الرّابع الهجريّ، وإن كان بداية يغلب عليه الطّابع الدّوقيّ والشّفهيّ إلّا أنّه تحوّل تدريجيّاً مع بداية التّدوين إلى العلميّة والكتابة، فما أن أتى القرن الرّابع الهجريّ إلّا وقد نمت البلاغة العربيّة نموّاً جعل النّقاد من الأدباء يأخذون في تطبيقها على النّصوص الأدبيّة، ويأخذ النّقد الأدبيّ دوره من خلال البلاغة العربيّة الأصليّة، فتوتّي ثمارها، وتطبّق تطبيقاً عمليّاً في كلّ من "عيار الشّعْر"، لابن طباطبا (ت:322هـ) تحدث فيه عن صناعة الشّعْر والميزان الذي تقاس به البلاغة، ومن أبرز ما تناوله في الصّنعَة الشّعريّة ومعيّارها موضوع التّشبيه الذي فصلّ فيه القول عارضاً لعدد الأنواع من التّشبيّهات، ومعتمداً في ذلك على دراسات السّابقين، ومبحثه فيه يعدّ أهمّ مبحث في كتابه يتصل بالبلاغة وتطور البحث في مسائلها، كما مزج ابن طباطبا بين النّقد والبلاغة، وأيّما كانت آراؤه في التّشبيه فإنّ الرّجل كان من أوائل من تناولوا هذا الموضوع بمثل هذا العمق، وهذا التّوسع في نقد العربيّ القديم، ولذلك حظيت آراؤه النّقديّة أهميّة كبيرة لتأثيرها البالغ في مسار البلاغة والنّقد.

وكتاب (نقد الشّعْر) لقدامة بن جعفر (ت:337هـ)، أراد فيه أن يحسم الأمر في شأن الشّعْر، فيجمع لنقده علماً حازماً، وقانوناً حاكماً، فهو يتجاوز علوم الشّعْر المتعمّقة بالنّحو والغريب والعروض، ويوجّه همّه نحو علم جيد الشّعْر ورديئه.

وقد تناول قدامة في كتابه نقد الشّعْر كثيراً من الفنون البلاغيّة وتوزيعها على علوم المعاني والبيان والبديع، وذلك كاللّتميم، والإيغال، والمساواة، والتّشبيه، والاستعارة، والتّمثيل، والإرداف، والتّصريح، والسّجع، والجناس... وهذه الفنون البلاغيّة وغيرها أسهمت في إثراء الدّرس البلاغيّ بلا ريب ولا شكّ.

أضف إلى ذلك ما يوجد من إرهاصات بلاغيّة واضحة المعالم في كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتريّ" للإمام الأمديّ، (ت:371هـ) حين قارن بين أشعار أبي تمام وأشعار تلميذه البحتريّ وقيّمها، ومع أنّ الجانب البلاغيّ في الكتاب ضئيل مقارنة بالجانب النّقديّ، إلّا أنّ الأمديّ قد عرض إلى كثير من الفنون البلاغيّة التي استعملها كلّ من الشّاعرين، فيستعين بها على الموازنة بينهما، فيقوم بالمفاضلة بين استعارات وتشبيّهات، ويوازن بين أنواع بدعيّة وقعت في شعر الشّاعر، وذلك من أجل المفاضلة بين الشّاعرين، والانتصار لمذهب على حساب الآخر، ومعظم ما تعلّق بالبلاغة في كتاب الموازنة كان مخصّصاً لبيان إسراف أبي تمام في استخدام الاستعارات

الغريبة المستكرهة، والجناس والطباق القبيحين، وذلك ما يعتبره الآمدي عيباً، لرداءة تلك الاستعارات في الحقيقة، ولإساءة استخدام المطابقة والتجنيس.

وهناك كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" لعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:392هـ) حيث لم يهتم القاضي الجرجاني بالجانب البلاغي كثيراً في الكتاب، فقد تحدّث عن البديع حديثاً سريعاً، وأورد أمثلة من الاستعارة الحسنة والسيئة، ومن التّجنيس الجيد والرّديء، إلاّ أنّه فرّق بين كثير من الفنون البلاغية التي كانت متداخلة، مثلما فرّق بين الاستعارة وبين تلك الصّورة التّشبيهية التي عُرِفَت فيما بعد باسم التّشبيه البليغ، وهما صورتان كانتا متطابقتين عند الكثيرين، وبذلك كان كتاب الوساطة ذا أهمية لغّة في تاريخ البلاغة.

ولكن في مقابل هؤلاء نجد فريقاً آخر من الأدباء والشّعراء تجرّدوا للبحث في البلاغة، وأرادوا بذلك انفصال البلاغة عن النّقد والأدبيّ، ليتّجهوا بها وجهة علمية بحثية، وإن كانوا قد التقوا على الإكثار من التّمثيل بتراث هائل من الشّعر العربيّ الجاهليّ والإسلاميّ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة، ومن كلام الفصحاء، وخطبهم وأمثالهم وحكمهم، إلى جانب ما أورده من آيات القرآن الكريم، فنجد كتاب الكامل للمبرّد (ت:285هـ) فعلى الرّغم ممّا يدلّ عليه اسمه ألاّ أنّه غير مقصور على اللّغة والأدب، فقد تناول فيه الكثير من المسائل البلاغية، كالإيجاز والإطناب والالتفات، وذلك من خلال عرضه لنماذج أدبية عديدة في الشّعر والنثر، كما تطرّق المبرّد لبعض موضوعات البيان، مثل المجاز والاستعارة والكناية والتّشبيه الذي توسع في بحثه، وقسمه إلى أربعة أقسام: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، ولعلّ هذا التّفصيل في حديثه عن التّشبيه لم يسبق إليه أحد قبله، وهو أبرز مجهود له فيما يتعلّق بالبلاغة العربية.

وكتاب "الصّناعتين" لأبي هلال العسكريّ (ت:395هـ) حيث يجعل أهمّ أهداف البيان أو البلاغة؛ لأنّه علم يعرف به الإعجاز القرآن، فقد جعل الكتاب في عشر أبواب تشتمل على ثلاثة وخمسين فصلاً تتناول الموضوعات البلاغية المختلفة من تحديد موضوع البلاغة لغة واصطلاحاً إلى تمييز جيد الكلام من رديئه، ومعرفة صنعته وحسن الأخذ وقبحه، إلى ذكر الإيجاز والإطناب، والتّشبيه وحدّه، وما يستحسن منه وما يستقبح، وذكر السّجع والازدواج، والقول في البديع ووجوهه وحصر أبوابه وفنونه... وهذه كلّها من فنون الدّرس البلاغيّ، لذا يعلن عن وظيفة البلاغة وأهمّيّتها، وأنّ أحقّ العلوم بالتّعلم وأولاهها بالتّحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة.

وهناك "العمدة في صناعة الشعر ونقده" لابن رشيق القيرواني (ت:463هـ). فقد عالج من خلاله جملة من الفنون البلاغية، حيث يفرد للبدیع خمسة وثلاثين بابا - كما فعل العسكري- فخصّ بابا للبلاغة، وبابا للمجاز، وبابا للبيان، وذكر كثيرا من المباحث البلاغية في ذلك. وقد جمع فيه خيرة آراء السابقين مما يغني عن قراءة كتبهم، فهو خلاصة يجد فيه القارئ بغيته دون الرجوع إلى ما كتبه السابقون عن أبواب البلاغة، فكان جهده حلقة مهمة في تاريخ التأليف البلاغي.

و"سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (ت:466هـ) يتّضح من خلال عنوان الكتاب أنّ الجانب الأكبر منه مخصّص منه للحديث عن الفصاحة وما يتعلّق بها، حيث يدعو إلى وجوب معرفة الفصاحة؛ لأنّها الطّريق إلى فهم بلاغة القرآن، إلّا أنّه يفرّق بين لفظي الفصاحة والبلاغة، فالفصاحة عنده خاصّة بالألفاظ، وأمّا البلاغة فهي للألفاظ مشتملة على المعاني، ولعلّ هذا التّفريق الذي وضعه ابن سنان كان له أثر في دراسات البلاغيين الذين جاؤوا من بعده.

وقد ذكر ابن سنان العديد من المباحث البلاغية، حيث تناول فصاحة اللفظة، ثمّ بين ما يتّصل من ألوان البديع بجهة اللفظ، وما يتّصل بجهة المعنى، ممّا فتح الطّريق إلى تقسيم ألوان البديع إلى لفظية ومعنوية، وذلك ما جعل مباحث البديع منفصلة فيما بعد عن علمي المعاني والبيان.

ولكون البحث البلاغي من الأهميّة بمكان في الميزان النقديّ فقد تناوله الأدباء والنقاد، فكانت دراستهم الأرضية الخصبة والغنيّة للبذور البلاغية حين تحليل النصوص الأدبية ونقدها، وبذلك نمت وترعرعت الأفكار البلاغية، من هنا نجد الدرس البلاغيّ قد تناوله الأدباء والشعراء من النقاد، وكما يقول الجناحيّ فإنّ هذه المرحلة جديرة بأن تسمى "مرحلة البحث البلاغيّ في ظلال الأدب"<sup>1</sup>.

بيد أنّ هذه الجهود النقديّة في البحث البلاغيّ لم تصل إلى الدّرجة التي يمكن أن يقال عنها إنّها قد وفّت النّصّ الأدبيّ حقّه، ذلك لأنّ البلاغة فيها قد طبّقت في حدود ما توصّل إليه البلاغيّون حينئذ، ولم تكن البلاغة العربيّة قد اكتملت نظامها بعد، بل لم تكن قد تعمّقت في الغوص إلى معاني النّصّ الأدبيّ، واستخراج دررها الغالية من بحارها العميقة. وهنا يأتي عبد القاهر الجرجانيّ (ت:471هـ). بعقليّته النّادرة، وبصيرته الواعية، وأسلوبه الرّشيق، فيتحف البلاغة العربيّة

1 - الجناحيّ: النظم البلاغيّ، ص: 29.

بكتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، متعمقاً في فهم فكرة النظم التي تلقفها من سابقه، ويجعلها نظرية يدير عليها علم البلاغة الذي يقوم على المعاني المستوحاة من نظم الكلام وعلى الصورة المعبرة عما في نفس المتكلم، والموضحة لما يقصد إليه من أغراض، متضمنةً قيماً جمالية نابعة من جمال المعاني قبل أن تكون زينة للألفاظ، فيقيم بهذا صرح البلاغة العربيّة على أسس متينة<sup>1</sup>.

## 5 - مصدر النحو العربي

بدأت أحاديث البلاغة العربيّة منذ زمن بعيد، وكانت متفرقة في كتب اللّغة والأدب والنقد، إذ نجد إرهاصات بلاغيّة في الكتب النحويّة، من ذلك الكتاب لسيبويه (ت:180هـ) فقد حدّثنا سيبويه في صدر كتابه عن التقديم والتأخير، وربّما كان أوّل من طرق سرّ هذا اللّون البلاغيّ من العلماء حيث نلحظ أنّ العلماء قبله - كيونس بن حبيب - كانوا يعرفون التقديم والتأخير، ولكنهم لم يقفوا على أسرار البلاغيّة، أمّا سيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فإنّه يلفت النظر إلى سرّ بلاغيّ مهمّ تلقفه علماء النحو والبلاغة فناقشوه مؤيدين ومعارضين، فأثرى بهذه اللّفة الطيبة كثيراً من المباحث البلاغيّة<sup>2</sup>.

ولهذا استأنس عبد القاهر الجرجانيّ بسيبويه في كثير من مباحثه البلاغيّة؛ كالتقديم والتأخير، والمجاز بال حذف، والمجاز العقليّ، والتشبيه، والتّمثيل، وأخذ ابن المعتز عنه تأكيد المدح، وابن جنّيّ ذكر مسألة الكتاب في التّجريد، وأبو هلال العسكريّ أخذ عنه تقسيم الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب، ويذكر أمثاله بعينها ولا يشير إليها، كما أفاد كلام سيبويه عن المسند والمسند إليه العلماء إلى حصر علم المعاني في الأبواب البلاغيّة الثمانية المعروفة<sup>3</sup>.

## 6 . مصدر تفسير القرآن العظيم

كما سبق وأن أشرنا بأنّ البلاغة من العلوم التي نشأت وترعرعت في ظلال الدّراسات القرآنيّة لبيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وأوّل شيء، وأهمّ شيء يسعى له المفسّر قبل تفسيره هو البحث عن دقائق المعاني، لأنّ وراء كلّ كلمة أو آية في القرآن الكريم معنى مستفاد، هو الرّكيزة في بناء الفهم المراد من كلام الله تعالى، وما ينتج عنه من إعجاز ودلائل وأحكام وغيرها، لذا

1 - ينظر الجناحيّ: النّظم البلاغيّ، ص: 29 - 30

2 - ينظر حيدر صاحب شاكر: الجهود البلاغيّة عند سيبويه، مجلة جامعة زاخو، المجلّد:1(B) العدد:1، 2013، ص: 148.

3 - ينظر المرجع نفسه، ص: 158.

كانت فنون البلاغة ركيزة من ركائز علم التفسير لاهتمامها بالمعنى، الذي هو المراد تبليغه وتوصيله للمخاطب، يقول ابن الأثير: "والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من التكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، والمعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"<sup>1</sup>.

ومن هنا نرى بأن المفسرين منذ بداية التدوين في علم التفسير وهم يركزون وبعناية فائقة على الجانب البلاغي، لأنهم يدركون مدى الصلة الكبيرة بين علم التفسير وعلوم البلاغة، فالمفسر حتى يستطيع القيام بهذا الدور كان لازما عليه أن يحيط بفنون البلاغة ووجوهها المختلفة ليكشف عن أسرار الإعجاز، ويتمكن من توجيه الآيات وفق ما يمكن أن يفهم عنه كلام الله تعالى، فكانت فنون البلاغة في مقدمة العلوم التي لا يُستغنى عنها في تفسير كتاب الله تعالى، وإدراك فصاحته وبلاغته، يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التتقير عنهما أزيمة"<sup>2</sup>.

ومن أهم كتب التفسير التي اهتمت واعتنت بالجانب البلاغي، تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن الواحدي (ت: 468هـ)، وتفسير الكشاف المسمى: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، فقد حوى الكثير من الفنون البلاغية، وساقها مع التفسير بكل روعة ودقة وجمال، قصد الاستعانة بها على فهم كلام المولى عز وجل.

وكذلك تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، والتفسير الكبير، والمسمى - أيضا - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، وتفسير التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم ابن جزى الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ).

ومن أهم التفاسير - أيضا - التي أولت الجانب البلاغي بالحديث الكثير؛ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)؛ الذي تكلم فيه طويلا عن الجانب البلاغي وأعطاه

1 - ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، 205/2.

2 - الزمخشري: الكشاف، ص: 2.

عناية كبيرة، وكذلك تفسير التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي (ت: 830هـ)، وتفسير أبي السعود (ت: 982هـ)؛ المسمّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وتفسير فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، وتفسير محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، ولا يمكن أن ننسى أو نغفل عن الموسوعة الضخمة المتمثلة في تفسير التحرير والتنوير، المسمّى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ).

فكلّ هذه التّفسيرات كان لها القسط الأكبر من العناية بالفنون البلاغية والتّركيز عليها، وغيرها ممن اهتمّ بالجانب البلاغيّ وجعله من صميم مادّة تفسيره، مع العلم أنّ منهجية العرض في تلك التّفسيرات تماشت مع تفسير الآيات، فكانت البلاغة مدرجة ضمن التّفسير ومختلطة معه، وهي الطّريقة القديمة المعهودة عند المفسّرين، ولكن بعض المتأخّرين صار على النهج الموضوعي في التّفسير، فأفرد البلاغة بعنصر مستقلّ أثناء تفسير الآيات المتعلّقة بالموضوع الواحد، ومن هؤلاء على سبيل المثال محمد علي الصّابوني في تفسيره "صفوة التّفسير".

## 7. مصدر البحث البلاغيّ المتخصّص

لقد كان للقرآن الكريم أثره الواضح في البحث البلاغيّ المتخصّص؛ وذلك من وجهتين: الأولى: أنّ ما أُلّف في البلاغة قديماً وحديثاً، حوى جهود العلماء في استقصاء فنونها وعلومها التي كان العديد منها - كما ذكرنا - مستخلصاً من القرآن الكريم. وهي بحوث كثيرة نذكر بعضها منها على سبيل المثال لا الحصر:

بداية من كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت: 255هـ) وبعده البيديع لعبد الله بن محمد المعتز بالله (ت: 296هـ)، وديوان المعاني للعسكريّ (ت: 395هـ)، وتلخيص البيان في مجازات القرآن، والمجازات النبويّة؛ للشّريف الرّضيّ (ت: 406هـ)، وسحر البلاغة وسرّ البراعة للتّعاليبيّ (ت: 429هـ)، وسرّ الفصاحة للخفّاجيّ (ت: 466هـ)، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانيّ (ت: 471هـ)، وأساس البلاغة للزّمخشريّ (ت: 538هـ)، ومفتاح العلوم للسّكاكيّ (ت: 626هـ)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر لابن الأثير الجزريّ (ت: 637هـ) ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنيّ (ت: 684هـ)، والإيضاح في علوم البلاغة، وعقود الجمان في علم المعاني والبيان كلاهما للقزوينيّ، (ت: 739هـ)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلويّ (ت: 745هـ).

ومن الكتب المتأخّرة، أنوار الرّبيع في أنواع البديع للحسينيّ (ت: 1119هـ)، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشميّ (ت: 1362هـ)، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للمراغيّ (ت: 1371هـ)، وكتاب في البلاغة العربيّة (علم المعاني والبيان والبديع) لعبد العزيز عتيق (ت: 1396هـ)، وكتاب البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرّحمن حسن حبّنة الميدانيّ (ت: 1425هـ)، وغيرها من الكتب، وقد أشرنا لبعضها في المحاضرة الأولى حين حديثنا عن رؤية المحدثين في تجديد البلاغة العربيّة.

فعندما نلقي نظرة على تلك المؤلّفات المتخصّصة في علوم البلاغة؛ ونتبع تسلسلها الزمانيّ نجدها، تضمّنت الحديث عن المباحث البلاغيّة، حتّى انتهت إلى ما انتهت إليه على صبغتها الحالية المشكّلة لعلوم البلاغة الثّلاث، فجمعت شتاتها، واستقرّت على تسمياتها، ورتّبت علومها، وفرّعت فنونها، وبوّبت أقسامها، وبيّنت حدودها وتعريفاتها، ونجدها في كلّ ذلك احتوت كلّ المباحث التي استخلصت من القرآن الكريم.

الثّانية: أنّ القرآن كان مادّة مُتلى للتدليل على الكثير من المباحث البلاغيّة والاستشهاد لها، وبيان أغراضها ونكتها، حتّى أضحت معلومة ومتداولة، وتتلقّاهما الأجيال خلفا عن سلف. فالناظر للفنون البلاغيّة من خلال تلك المؤلّفات المتخصّصة يلحظ اهتمامها بالاستشهاد بمختلف الشّواهد من الشّعر والنثر والقرآن وغيرها، فكانت كتب الإعجاز المختلفة - التي تحدّثنا عنها وغيرها - مصدرا من مصادر البلاغة؛ من حيث أخذ الفنون عنها أو الاستشهاد بها، كما أنّ الشّعر مصدر أساسي لفنونها - أيضا - ولذا لا نجدها تجعل من اهتماماتها الأوّلية البلاغة القرآنيّة، وإن كانت من صلب مادّتها ومن أهمّ مصادرها؛ بل اهتمامها منصبّ حول علوم البلاغة وما تحتويه من فنون مختلفة، فذاك هو الغرض الأساس، وعليه أصبحت المادّة القرآنيّة فيها كجزء من تلك الشّواهد ومصدر من المصادر، حسب ما اقتضاه كلّ فنّ، وتختلف من مصنف لآخر، فهناك المكثر، وهناك المقلّ في ذكر الشّواهد القرآنيّة، وبهذا لا تجد في بعض فنون البلاغة إلّا الشّواهد الشّعريّة أو النّثريّة، وبالتالي يظهر مدى أثر القرآن الكريم في نشأة الدّرس البلاغيّ وتطوره من خلال ما عرضنا، ولا يمكن أن نذكر نشأة البلاغة دون الإشارة للقرآن الكريم.

## 8 - مصادر ومراجع المحاضرة

- إبراهيم بن محمّد بن عريشاه عصام الدّين الحنفي (المتوفّى: 943 هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقّقه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.

- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي النيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر الطبعة: سنة 2006م.

- الحسن بن بشر أبو القاسم الأمدي (المتوفى: 370هـ): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف - الطبعة الرابعة.

- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكري (المتوفى: 395هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام النشر: 1419هـ.

- حيدر صاحب شاكر: الجهود البلاغية عند سيبويه، مجلة جامعة زاخو، المجلد: 1(B) العدد: 1، 2013.

- رعد رفعت محمد: مباحث أبي عبيدة البلاغية في كتابه مجاز القرآن، مجلة قهلاى زانست العلمية، المجلد 4، العدد4، خريف 2019.

- سليمان حسين العميرات: أثر الفراء في تأسيس البناء البلاغي العربي، مجلة أنساق، المجلد الأول، العدد الأول - مايو 2017م.

- شوقي ضيف: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، الطبعة التاسعة.

- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ. 1993م الطبعة: الأولى.

- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد

شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (المتوفى: 276هـ): المعاني الكبير في أبيات المعاني، المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت 1373هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (1313 - 1386هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1984م.

- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ): علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: بدون، عام النشر: بدون.

- عبد المتعال الصعدي، البلاغة العالية، علم المعاني، مراجعة عبد القادر حسين، الطبعة الثانية: 1411هـ، 1991م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ): خزانة الأدب ولبّ لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418هـ - 1997م.

- عبد العزيز عبد المعطي عرفة: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتاب، بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ، 1985م.

- علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّماني المعتزلي (المتوفى: 384هـ): التكت في إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، 1976م.

- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة.

- محمد بن أيمن المستعصي (المتوفى: 710هـ): الدرّ الفريد وبيت القصيد، على الهامش للمحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1436هـ - 2015م.

- محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني (المتوفى: 403هـ): إعجاز القرآن، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، 1997م.

- محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الرّمخشريّ جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المقدمة، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.

- مجدّ الدّين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ أبو المظفر الكنانيّ الكلبيّ الشّيزريّ (المتوفّى: 584هـ): البديع في نقد الشّعْر، بتحقيق: الدّكتور أحمد بدوي، الدّكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة - وزارة الثّقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبيّ - الإدارة العامّة للثقافة.

مصطفى صادق بن عبد الرزّاق الرّافعي (المتوفّى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربي - بيروت، الطّبعة الثّامنة - 1425هـ - 2005م.

- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبيّ الملقّب بالمؤيد بالله (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.

## المحاضرة الرابعة

### الدّرس البلاغيّ أقسامه ومباحثه وأهدافه

#### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التّالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - شروط الفصاحة.
- 3 - شروط البلاغة.
- 4 - أقسام علوم البلاغة ومباحثها.
- 5 - أغراض وأهداف علوم البلاغة.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

#### 1 - توطئة

في هذه المحاضرة الرابعة نتحدّث عن أهمّ مكونات الدّرس البلاغيّ من بلاغة وفصاحة نتقسيمه إلى علومه المعروفة، ونبيّن كلّ قسم منها، ونذكر أهمّ مباحثه، حتّى يتبيّن لنا الهدف والغرض من كلّ علم، ولكن في البداية نتكلّم عن شروط الفصاحة والبلاغة، لتكون بمثابة مدخل لهذه العلوم ومباحثها، وأيضا نجد علماء البلاغة في بدايات بحوثهم يتكلّمون عن الفصاحة والبلاغة قبل التّفصيل في علوم البلاغة، كون تلك العلوم أساسها الفصاحة والبلاغة.

#### 2 - شروط الفصاحة

##### أ - الفصاحة في اللّغة والاصطلاح:

الفصاحة في اللّغة تدلّ على الظّهور والبيان<sup>1</sup>، يقال لغة: فصح الرّجل فصاحة فهو فصيح، إذا كان في كلامه قدرة على أن يبيّن مراده بوضوح دون عجز، ولا تلكؤ، أو تعثّر، في نطق الألفاظ، أو في اختيار الكلمات الدالّات على ما يريد إيضاحه من المعاني للمتلقّين<sup>2</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾<sup>3</sup>. أي أبين منّي منطقا وأظهر منّي قولاً.

1 - عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان أبو محمّد الخفّاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ): سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى 1402هـ-1982م، ص: 58.

2 - عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 1/110.

3 - القصص: 34.

وفي الاصطلاح: "عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لكان حسنهما"<sup>1</sup>. وللبيان فإنّ الفصاحة تشمل الكلمة، والكلام، والمتكلم، فيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح.

وللفصاحة شروط تكلم عنها الخفّاجيّ في كتابه "سرّ الفصاحة" ونجد ذلك في عدّة مواضع، كقوله: "ومن شروط الفصاحة: المناسبة بين الألفاظ"<sup>2</sup>، وقوله: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتّى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"<sup>3</sup>.

وقوله: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة: أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمّل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً"<sup>4</sup>. وقوله: "وقد قدّمنا من شروط الفصاحة أن تكون الكلمة مبنية من حروف متباعدة المخارج وغير كثيرة الحروف"<sup>5</sup>.

فنجد الخفّاجيّ قد أشار وبصورة واضحة لبعض هذه الشّروط وإن كانت متفرّقة في الكتاب، ولا يفرّق بينها وبين شروط البلاغة، إلّا أن الموضوع لم يبق في حدود الخفّاجيّ، فقد تكلم عنه العلماء قبله وبعده، وحاول المتأخّرون أن يجمعوا شتاته ليكون في نقاط بيّنة واضحة، نتناولها كالتّالي:

### أولاً - شروط فصاحة الكلمة

كما ذكرنا الكلمة تكون فصيحة إذا كانت مألوفة الاستعمال بين النّابهيّن من الكتاب والشعراء، لأنّها ما تداوله على ألسنتهم، وما جرت بها أقلامهم إلّا لمكانتها من الحسن باستكمالها عناصر الجودة، وصفات الجمال، ولذا فإنّ من شروط فصاحتها التي وضعوها لها:

- عدم تنافر الحروف: بمعنى أن لا تكون الكلمة ثقيلة عند وقعها على السّمع بسبب عدم التّلاؤم بين حروفها، فيؤدّي ذلك لصعوبة جريانها على اللسان، نحو كلمة "الظّش" للموضع الخشن<sup>6</sup>.

1 - أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفّى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، 19/1.

2 - الخفّاجيّ: سرّ الفصاحة، ص: 169.

3 - المرجع نفسه، ص: 205.

4 - المرجع نفسه، ص: 220.

5 - المرجع نفسه، ص: 223.

6 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، 9/1.

وكلمة "مستشزر" بمعنى منفئل، كما في قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه<sup>1</sup> حين وصفها بكثرة الشعر والتفافه، فجاء بكلمة مُسْتَشْرَزَاتٍ، أي مُنْقَلَاتٍ، فقال:

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَزَاتٌ إِلَى الْعَلَا ... تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسِلِ

ومثلها "اطْلَحَمَ" أي اشتدَّ وعظم، في قول أبي تمام:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا اطْلَحَمَ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَتْ ... عَشَوَاءُ تَالِيَةً غُبْسًا دَهَارِيَسَا

فإن هذه اللفظة منكرة قبيحة مجانية للكلمة الفصيحة<sup>2</sup>، وكذلك "جفخت" في قول المتنبي:

جَفَخْتُ وَهَمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَّ دَلَائِلُ

والمراد فخرت وهذه اللفظة من مستقبحات الألفاظ ومستهجئاتها، فما هذا حاله ينبغي تجنبه<sup>3</sup>.

- السلامة من الغرابة: بمعنى كون الكلمة وحشية لا يظهر معناها<sup>4</sup>، وذلك لسببين:

أحدهما أنّ الكلمة غير متداولة في لغة العرب، فيحتاج لمعرفة معناها الرجوع إلى المعاجم والقواميس، مثال ذلك قول عيسى بن عمرو النحويّ وقد سقط عن دابته فالتفتّ حوله الناس، فقال: "ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة؟ افرنقوا عني"<sup>5</sup>. فكلمة "تكأكأتم" وكلمة "افرنقوا" غريبتان، أي مالكم اجتمعتم تتحوا عني.

والسبب الثاني عدم تداول الكلمة في لغة العرب الشائعة، مثل كلمة "مسرج" من قول رؤبة بن العجاج<sup>6</sup>:

ومقلّةً وحاجباً مزججاً ... وفاجماً ومرسناً مسرجاً

فلا يعلم ما أراد بقوله "مسرجاً" لعدم ظهور معنى الكلمة، حتّى اختلف أئمة اللّغة في تخريجها، هل هي من السراج أو من السرج؟!.

- عدم مخالفة القياس: بمعنى كون الكلمة مخالفة لما ثبت معناه عند علماء اللّغة، مثل كلمة "الأجلل" في قول أبي النّجم الرّاجز<sup>7</sup>:

1 - محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ):

الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفّاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة، 33/1.

2 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 63/1.

3 - المرجع نفسه، 63/1.

4 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 23/1.

5 - المرجع نفسه، 24/1.

6 - المرجع نفسه، 24/1.

7 - المرجع نفسه، 26/1.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ ... الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ

فكلمة "الأجل" مخالفة للقياس، لذا هي غير فصيحة، والقياس أن يقال الأجل بالإدغام، ولا مسوغ لفكّه، فجاءت الكلمة شاذة غير جارية على القانون الصّرفي المستتبّط من كلام العرب.

- عدم الكراهة في السّمع: بمعنى أن تمجّ الكلمة، ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة؛ فإنّ اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذّ النفس سماعه ومنها ما تكره سماعه<sup>1</sup>، ومثّلوا لهذا العيب، بنفور السّمع عن كلمة "الجرشي" بمعنى "النفس" فعاوبوا على أبي الطيّب المنتبّي استعمالها في قوله، وهو يمدح سيف الدولة:

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَعْرُ اللَّقَبِ ... كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

كريم الجرشي: أي: كريم النفس، ولذا فعلامة كون الكلمة فصيحة غير مستكرهة في السّمع أن يكون استعمال العرب الموثوق بعريبتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها.

### ثانياً - شروط فصاحة الكلام

وكما أنّ الكلمة تكون فصيحة بشروطها كذلك الكلام يكون فصيحاً بشروطه، وحتى يكون الكلام فصيحاً لا بدّ من سلامته من عيوب ثلاثة، هي:

- عيب تتافر الكلمات: حيث لا تكن الكلمات متّصل بعضها ببعض في الكلام، وهذا يسبّب ثقلها على السّمع، ويكون أداؤها باللسان صعب، ويعسر النطق بها متتابعة<sup>2</sup>، وإن كان كلّ كلمة من الكلام على انفرادها فصيحة. يقول الجاحظ: "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلاّ ببعض الاستكراه"<sup>3</sup>.

مثال ذلك الشطر الثاني في قول الشاعر:

قَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٌ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

وقد جاء الثقل من تكرار الرّاء والباء والقاف في البيت<sup>4</sup>، وبذلك حصل التنافر من جهة تركيب تركيب الألفاظ المتقاربة، فحصل من أجل ذلك عثار في اللسان، وتوعّر في المخارج، فلأجل ذلك كان الكلام متنافراً<sup>5</sup>.

1 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 27/1.

2 - المرجع نفسه، 30/1.

3 - عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، اللّيثيّ، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النّشر: 1423هـ، 74/1.

4 - حَبَنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيّة، 117/1.

5 - العلويّ: الطراز، 57/1.

ومثله الشطر الأوّل في قول أبي تمام<sup>1</sup>:

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى ... مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي

وقد جاء ثقله من تكرير لفظ "أمدحه" بما فيه من حاء وهاء<sup>2</sup>. وهما متقاربتان في المخرج؛ لأنّ مخارج الحروف كلّما قربت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرّة في أماكنها، وإذا بعدت كانت بعكس الأوّل. ولهذا لم يوجد في كلام العرب اجتماع العين مع الغين، ولا مع الحاء، ولا مع الخاء، ولا اجتماع الطاء مع التاء حذرا من عسر النطق<sup>3</sup>.

- عيب ضعف التّأليف: وقد أشار السّكّاكِيّ إلى ضعف التّأليف في المفتاح، ويراد به خروج الكلام عن قواعد اللّغة المطردة المشهورة، كأن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النّحو المعتمدة، كالإضمار قبل الذّكر لفظاً ومعنى وحكماً، كقول الشّاعر:

جَزَى بَنُوهُ أبا الغِيلانِ عَنْ كَبِيرٍ ... وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجَزَى سِنِّمار

فالعيب حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظاً، ومعنى، وحكماً، فنجده أعاد الضّمير في بنوه وهو الفاعل على أبي غيلان، وهو متأخّر لفظاً ورتبة، وهو مفعول به، ورتبته التّأخير<sup>4</sup>. وكقول حسّان بن ثابت رضي الله عنه وهو يرثي مطعم بن عدي، أحد رؤساء المشركين، وكان يدافع عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم<sup>5</sup>:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا... مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا

والعيب فيه أنّ الشّاعر في البيت الثّاني أعاد الضّمير في مجده على مطعم، وهو متأخّر لفظاً ورتبة؛ لأنّه مفعول به، ورتبته التّأخير عن فاعله، وهذا خلاف قانون التّأليف المتّبع المشهور في العربيّة، لذا اعتبروه من العيوب المخلّة بالفصاحة<sup>6</sup>.

- عيب التّعقيد: وهو على نوعين؛ تعقيد لفظيّ وتعقيد معنوي<sup>7</sup>.

1 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 30/1.

2 - حَبَنَكَةُ الميداني: البلاغة العربيّة، 118/1.

3 - عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ): علم المعاني، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، ص: 20.

4 - ينظر ضياء الدّين أبو السّعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشّجريّ (المتوفى: 542 هـ): أمالي ابن الشّجريّ، المحقّق: الدّكتور محمود محمّد الطّناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1413 هـ - 1991 م، 152/1.

5 - ينظر حَبَنَكَةُ الميداني: البلاغة العربيّة، 121/1.

6 - ينظر المرجع نفسه، 121/1.

7 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 31/1.

فالتعقيد اللفظي هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد من اللفظ، بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني، وينشأ ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير، أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز، ويتصل بعضها ببعض، كقول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُملَكًا ... أبو أمه حتى أبوه يقاربه

كان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه، لكنه قدّم وأخر في الكلمات، فعقد المعنى، يقول القزويني: "إلا مملك أبو أمه أبوه، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك بن مروان، فقال وما مثله - يعني إبراهيم المدوح - في الناس، حي يقاربه - أي أحد يشبهه في الفضائل - إلا مملكًا يعني هشامًا، أبو أمه - أي أبو أم هشام - أبوه - أي أبو المدوح - فالضمير في أمه للملك، وفي أبوه للمدوح، ففصل بين أبو أمه - وهو مبتدأ - وأبوه - وهو خبره - بحي - وهو أجنبي -، وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعت حي - بأبوه - وهو أجنبي، وقدّم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد"<sup>1</sup>.

وأما التعقيد المعنوي: فهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرًا<sup>2</sup>، بمعنى أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل، مثال ذلك قول امرئ القيس:

وأركب في الرّوع خيفانةً ... كسا وجهها سعفٌ منتشر

الخيفانة الجرادة، وكنى هنا عن الفرس الخفيفة، والسعف المنتشر الشعر يكسو وجهها فقبيح؛ لأنها لا توصف به إلا الفرس الثقيلة، وهو يريد الخفة، والمعروف عند العرب أن شعر الناصية إذا غطى العينين لم تكن الفرس كريمة ولم تكن خفيفة<sup>3</sup>.

ومن التعقيد المعنوي قول أبي تمام:

جذبت نداءه غدوة السبب جذبةً ... فخر صريعاً بين أيدي القوائد

فإنه ما سكت حتى جعل كرم ممدوحه يخر صريعاً وهذا من أقبح الكلام<sup>4</sup> بسبب هذا التعقيد المعنوي الذي وقع فيه، يقول الخفاجي: "لأنّ هذا الموضع لا يليق به جذبت والممدوح يوصف بأنه

1 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 32/1.

2 - المرجع نفسه، 33/1.

3 - ينظر علي الحازم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر (شيعي)، المطبعة:

شريعت، الطبعة: 5، تاريخ النشر: 1429هـ، ص: 8.

4 - المرجع نفسه، ص: 8.

أعطى طوعاً واختياراً وحباً للكرم وصبابة إلى الإحسان. وإذا جذب الندى حتى يخرّ صريعاً فليس من الطّوع بشيء، إنّما ذلك لفظ القسر والغلبة والجبر، وهذا لا يكون مدحاً، إنّما هو صريح الهجو ومحضه<sup>1</sup>.

ومنّ التّعقيد المعنويّ ما جاء في قول عبّاس بن الأحنف:

سأطلب بُعد الدّار عنكم لتقربوا ... وتسكّب عينيّ الدّموع لتجمداً

كنّى بسكب الدّموع عمّا يوجبه الفراق من الحزن، وأصاب؛ لأنّ من شأن البكاء أن يكون كناية عنه، ثمّ طرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكتّى عمّا يوجبه دوام التّلاقي من السّرور بالجمود، لظنّه أنّ الجمود خلوّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ؛ لأنّ الجمود خلوّ العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنّما يكون كناية عن البخل<sup>2</sup> بسبب حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعينيّ جوداً ولا تجمداً ... ألاّ تبكيان لصخر النّدى

### ثالثاً - شروط فصاحة المتكلم

كذلك تشمل الفصاحة المتكلم، وتكون بخلوّه من عيوب الكلام، وقدرته على التّعبير في أيّ غرض أراد بما يملكه من سجيّة وملكة لغويّة، جاء في الإيضاح: "فهي ملكة يقتدر بها على التّعبير عن المقصود بلفظ فصيح"<sup>3</sup>.

بمعنى صفة أو كفيّة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التّعبير عمّا يجول بخاطره من الأغراض والمقاصد، ففي أيّ غرض كان يكون قادراً بصفة الفصاحة الثّابتة في نفسه على صياغة الكلام، متمكّناً من التّصرف في ضروبه، بصيراً بالخوض في جهاته ومناحيه.

وبتلك الصّفة يتمكّن من صياغة ضروب الكلام، من مديح وهجاء، وتهان ومراث، وخطب محبّرة، ورسائل منمّقة في الوعظ والإرشاد، والمفاخرات والمنافرات. ويتكلم دون تلعثم، ولا تلكؤ، فما شاء من معنى استطاع التّعبير عنه بيسر وسهولة، وبكلام فصيح المفردات، وفصيح الجمل والتراكيب.

ومع هذه الهبة الفطرية لا يكون المتكلم فصيحاً في اللّسان العربيّ، حتّى يكون ملماً باللّغة العربيّة، عالماً بقواعد نحوها وصرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها ومعانيها الدّقيقة، كثير النّظر

1 - الخفّاجي: سرّ الفصاحة، ص: 146.

2 - ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 34/1.

3 - المرجع نفسه، 40/1.

في كتب الأدب، مطلقاً على أقوال كبار الفصحاء، له دراية بأساليب العرب في شعورهم ونثرهم وأمثالهم وكنائياتهم ومجازاتهم، حافظاً لطائفة جمّة من عيون كلام فصائحهم وبلغائهم من أهل النثر وأهل الشعر، وأن يمارس موهبته بالتطبيقات العمليّة، حتّى يكتسب مهارة التعبير عن مقاصده وما يجول في نفسه من معان بكلام فصيح<sup>1</sup>.

### 3 - شروط البلاغة

وكما أنّ للفصاحة شروطاً، فإنّ للبلاغة شروطاً كذلك؛ لكنّ البلاغة لا تكون في الكلمة المفردة، كون الكلمة منفردة لها معنى تعرف به من خلال الوضع، ولذا لا بلاغة فيها، أمّا إن كانت مع أخوتها في التركيب فتؤدّي وظيفتها لوحدها وتؤدّي وظيفتها بالتّرابط مع باقي أخواتها، وعليه تكون البلاغة في الكلام والمتكلم دون الكلمة.

#### أ - شروط بلاغة الكلام

من شرط البلاغة في الكلام أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال. جاء في الإيضاح: "فهو مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"<sup>2</sup>. أي فصاحة ألفاظه مفردها ومركّبها. وعليه فالكلام البليغ هو الذي يصوّره المتكلم بصورة تتناسب أحوال المخاطبين. لذا يشترط له شرطان<sup>3</sup>:

الشرط الأول: أن يكون فصيح المفردات والجمل. وقد تكلمنا عن ذلك في الفصاحة سابقاً.

الشرط الثاني: أن يكون مطابقاً لمقتضى حال من يخاطب به.

الحال يراد به المقام الذي ورد فيه الخطاب، وأمّا المقتضى فهو الاعتبار المناسب الحامل للمتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصّة، ولذا فمقتضى الحال هو الأمر الداعي لإيراد الكلام على تلك الصّورة المناسبة للمقام.

مثال ذلك لو كان المخاطب منكرًا يوم البعث، فهذا حال، يقتضي هذا الحال التأكيد في الكلام على وقوع يوم البعث، وعليه يكون التأكيد هنا مقتضى اقتضاه حال المخاطب، فلمّا نخاطبه بقولنا: "إنّ يوم القيامة آت لا ريب فيه" يكون خطابنا مطابقاً لمقتضى الحال.

ومقتضى الحال مختلف؛ كون مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التّكثير يباين مقام التّعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التّقييد، ومقام التّقديم يباين مقام التّأخير، ومقام الذّكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين

1 - ينظر حَبْنَكَة الميداني: البلاغة العربيّة، 1/127.

2 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 1/41.

3 - ينظر حَبْنَكَة الميداني: البلاغة العربيّة، 1/129.

مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي ببيان خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام، إلى غير ذلك<sup>1</sup>.

### ب - شروط بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم هي ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال، مع فصاحته في أي معنى قصده<sup>2</sup>.

ولذا يشترط في بلاغة المتكلم أن يكون المتكلم بليغا فصيحاً، وهذا يتحقق بالإحاطة بأساليب العرب خبرا، ومعرفة سنن مخاطبهم في منافراتهم، ومفاخراتهم، ومدحهم، وهجائهم وشكرهم، واعتذارهم، ليلبس لكل حالة لبوسها، ويراعي الخصائص والمقتضيات التي تناسبها، فيعطي لكل مقام مقاله.

لما ننظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم نجده يراعي حال من يخاطبه، فيتكلم بكلام بليغ وبلغه فصيحة، فقد كتب إلى أهل فارس بما يسهل ترجمته، ويفهم معناه من غير تكلف، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس"<sup>3</sup>.

ومثلها رسالته إلى المقوقس ملك مصر: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم أهل القبط"<sup>4</sup>.

وكتب بضدّهما إلى وائل بن حجر الحضرمي وقومه ففخّم لهم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه، وعادتهم سماع مثله، فقال: "إلى الأقبال العباهلة والأرواح المشابيب من أهل حضر موت بإقام الصلاة المفروضة، وأداء الزكاة المعلومة عند محلّها، في التّبعة شاة لا مقورة

1 - ينظر عبد المتعال الصّعيدي (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م، 24/1.

2 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 42.

3 - صالح بن طه عبد الواحد: سبل السّلام من صحيح سيرة خير الأنام، راجعهُ وقدم له: سليم بن عيد الهلالي، مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الغرباء، الدّار الأثريّة، الطّبعة: الثّانية، 1428هـ، 479/1.

4 - أحمد أحمد غلوش: السّيرة النّبويّة والدّعوة في العهد المدني، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الأولى 1424هـ-2004م، ص: 516.

الألياط ولا ضناك وأنطوا الشبجة، وفي السببوس الخمس، ومن زنى مم بكر فاصقوه مائة واستوفضوه عاماً، ومن زنى مم ثيب فضرجه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين ولا عمه في فرائض الله، وكل مسكر حرام، ووائل بن حُجر يترقّل على الأقيال أميراً أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

فلما كان كلامهم على هذا الحدّ، وبلاغتهم على هذا التّمط، وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ، استعمالها معهم لبيّن لهم ما نزل إليهم، وليحدّثهم بما يفهمون، ويخاطبهم بما يعلمون، وفي هذا يقول القاضي رحمه الله تعالى: "وأين هذه الألفاظ من كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقة لأنس المشهور، فإنّه بمحلّ من جزالة ألفاظ مألوفة، وسلاسة تراكيب مأنوسة، وذلك بمحلّ من غلاقة ألفاظ غريبة، وقلالة أساليب في النطق عسرة، لأنّه لما كان كلام هؤلاء على هذا الحدّ أي غريباً غير مألوف وكانت بلاغتهم على هذا التّمط وحشياً غير مأنوس، وكان أكثر استعمالهم هذه الألفاظ التي ليست بمألوفة ولا مأنوسة، استعمالها معهم لبيّن للناس ما نزل إليهم، وليحدّث الناس بما يعلمون ليفهموه"<sup>2</sup>.

#### 4 - أقسام علوم البلاغة ومباحثها

علوم البلاغة من أجل العلوم اللّغويّة والأدبيّة قدراً، وأرسخها أصلاً، وأسبقها فرعاً؛ لأنّها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها، وتريك محاسن النّكت في مكانها، ولولاها لم تر لسانا يحوك الوشي، ويلفظ الدرّ، وينفث السّحر، ويريك بدائع الزّهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من النّمر، فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النّظار، واللّالئ التي تتطلّبها غاصة البحار، لهذا كانت منزلتها تلو العلم بكلام الله المنزّل.

وقد اصطلح الباحثون على عدّ علوم البلاغة، ثلاثة: المعاني والبيان والبديع. وللإشارة فقد كانت البلاغة العربيّة في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز. وكتب المتقدّمين من علماء العربيّة خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها.

وقد انتهت علوم البلاغة في تقسيماتها إلى أبي يعقوب السّكاكيّ تلميذ الحاتميّ، بعد أن أخذ ما وصل إليه من إبداع عبد القاهر الجرجانيّ من تقسيمات وتفرّيعات للبلاغة، فلمح السّكاكيّ ذلك

1 - محمّد بن يوسف الصّالحي الشّامي (المتوفّى: 942هـ): سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م، 101/2.

2 - المرجع نفسه، 102/2.

وقام في كتابه "المفتاح" بنقد ما ذهب له الجرجاني واستفاد منه وزاد عليه، وجعله أقساماً، وخصّ البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني، البيان، البديع. وبذلك تميّزت علوم البلاغة ومباحث كلّ علم منها، وقد جرى على ترتيبه لهذه المباحث من أتى بعده من المتأخّرين، فكان عمدتهم في هذا الترتيب، وبذلك تنتهي مراحل التّأليف والابتكار في بحوث البلاغة وتدوينها تدويناً كاملاً<sup>1</sup>.

وعلى هذا فإنّ علوم البلاغة، هي<sup>2</sup>:

العلم الأوّل يسمّى علم المعاني: وهو ما يحتز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلّم إيصاله إلى ذهن السّامع، وهذا العلم يبحث في أسرار تركيب الجملة، والمعاني التي تفهم من تكوينها على نحو مخصوص، أي معاني نهج العرب في تكوينهم الجملة، ولذلك وقف بحث هذا العلم عند تأمل الفروق بين الجملة الاسميّة والفعليّة، وتدبّر أحوال المسند والمسند إليه، ومتعلّقات الفعل، من ذكر، وحذف، وتقديم، وتأخير، وإيثار معرفة على أخرى، أو صيغة من صيغ الفعل على غيرها، إلى ما سوى ذلك من بحث أسرار الجمال في نظم الجملة العربيّة.

ولهذا فأبرز موضوعاته:

- المسند والمسند إليه وأحوالهما.

- ومتعلّقات الفعل.

- الخبر والإنشاء وأغراضهما وأقسامهما.

- القصر وطرقه.

- الفصل والوصل ومواضعهما.

- الإيجاز والإطناب والمساواة.

والعلم الثّاني يسمّى علم البيان: وهو ما يحتز به عن التّعقيد المعنويّ، أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدّلالة على المعنى المراد، فهذا العلم يهتمّ بتقديم المعنى سهلاً ميسوراً في صور بيانيّة متنوّعة ومختلفة حسب الحال التي فيها المتكلّم.

أي أنّ موضوعه ذلك التّصوير الذي يهب الفكرة وضوحاً وقوّة، فيزيد تأثيرها في نفس المخاطب، أو القارئ، بالالتجاء إلى الخيال المصوّر، ومن أجل هذا كان موضوع درسه الصّور المجازيّة بأنواعها المختلفة.

1 - ينظر الصّعيديّ: بغية الإيضاح، 5/1.

2 - أحمد الهاشميّ: جواهر البلاغة، ص: 16.

ولهذا فأبرز أبوابه:

- التشبيه وأنواعه وأغراضه.

- الاستعارة وأنواعها.

- الكناية وأقسامها وأنواعها.

والعلم الثالث يسمّى علم البديع: وهو ما يراد به تحسين الكلام من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، فعلم البديع تابع للمعاني والبيان، إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي. فهو يتناول تلك المحسنات المعنوية حيناً، واللفظية حيناً آخر، ممّا يزيد في جمال اللفظ وقوة تأثيره، ووضوح المعنى.

وأبرز أبوابه:

من المحسنات المعنوية: الطباق، المقابلة، المبالغة، التورية، الالتفات، اللف والنشر، مراعاة النظير، التجريد، الإحصاء، التضمن، الاقتباس، الاجمال والتفصيل، الجمع والتقسيم، أسلوب الحكيم ... الخ.

ومن المحسنات اللفظية: الجناس، السجع، ردّ العجز على الصدر، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، التشريع، الترصيع ... الخ.

والبلاغة بفنونها الثلاثة "المعاني، البيان، البديع" وسائر الفنون الأدبية التي نبه عليها أدباء العرب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ليست إلاّ بحوثاً وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام، ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها، دون أن تستطيع كلّ هذه البحوث والدراسات جمع كلّ عناصر الجمال الأدبي في الكلام، أو استقصائها، واكتشاف كلّ وجوها. فالجمال كثيراً ما يتذوّقه الحسّ الظاهر والشعور الباطن، دون أن يستطيع الفكر تحديد كلّ العناصر التي امتلكت استحسانه وإعجابه، وإن عرف منها الشيء الكثير، واستطاع أن يفرزه ويحدّد معالمه<sup>1</sup>.

إنّ آفاق الجمال أوسع من أن تحدّد أو تحصر بأطر ومقاييس، ولكن يمكن اكتشاف بعض عناصر الجمال، وكمليّاته العامّة، وطائفة من ملامحه وخصائصه. والغرض من عرض الباحثين لفنون البلاغة وعلومها المختلفة، وللمذاهب الأدبية المتنوّعة، وللأمثلة الأدبية الرفيعة الرّاقية المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، وتربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبي في الكلام الأدبي الرفيع، وتربية القدرة (الملكة) على فهم النصوص الجميلة الرّاقية، والقدرة على

1 - ينظر: حبكة الميداني: البلاغة العربية، 11 / 1.

محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرتهم الاستعداد لشيء من ذلك<sup>1</sup>.

## 5 - أغراض وأهداف علوم البلاغة

### أ - أغراض علوم البلاغة:

لا ريب أنّ لعلوم البلاغة أغراض ترمي إليها، وقد التفت لها الباحثون حين التّقيب والبحث والتّبويب والتّقسيم لعلوم البلاغة، نذكرها بإيجاز.

علم المعاني الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلّم إيصاله إلى ذهن السّامع.

وعلم البيان الغرض منه الاحتراز عن التّعقيد المعنويّ، أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدّلالة على المعنى المراد.

وعلم البديع الغرض منه تحسين الكلام تحسيناً عرضياً، فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التّحسين الدّاتيّ، وبه يعرف التّحسين العرضيّ.

### ب - أهداف علوم البلاغة:

الهدف من عرض الباحثين لفنون البلاغة وعلومها، هو:

- صون اللّغة وأساليبها بالجمع والحفظ والتّقعيد.

- تربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبيّ في الكلام الأدبيّ الرّفيع.

- وتربية القدرة على فهم النّصوص الجميلة الرّاقية.

- والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام.

- والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرتهم الاستعداد لشيء من ذلك.

وليس الغرض من دراسة هذه الفنون والعلوم والمذاهب والنّصوص، الجمود في قوالب ما استخرج من العناصر الجماليّة، وما وضع من قواعد، دون اكتساب الإحساس المرهف بمواطن الجمال، لتقديم الأفكار، وصياغة الكلام صياغة أدبية بليغة.

وملخص ذلك فإنّ الغرض من علوم البلاغة تحقيق أربع غايات، هي<sup>2</sup>:

الغاية الأولى: حسن تفهّم وتدبّر النّصوص البليغة الرّفيعة من القرآن المجيد، وأقوال الرّسول

- صلّى الله عليه وسلم - وكلام أساطين البلغاء والشّعراء.

1 - ينظر: حبنكة الميداني: البلاغة العربيّة، 11 / 1.

2 - المرجع نفسه، 310 / 1.

الغاية الثّانِيّة: اكتساب القدرة على نقد النّصوص المشتملة على ما هو سمين وغثّ من الكلام، وبيان ما في النّصوص التي ينقدها من محاسن وعيوب بلاغيّة وأدبيّة.  
الغاية الثّالثة: اكتساب الدّوق الرّفيع الذي يحسّ بمواطن البلاغة والجمال الأدبيّ.  
الغاية الرّابعة: الاهتداء بهدي ما أعطته الدّراسة، لدى إنشاء الكلام، وكتابة المقالات والخطب والرّسائل والمؤلّفات، واكتساب الدّافع الدّاتيّ لتحري ما يراه الأبلغ والأجمل فيما ينشئ من بيان.

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد أحمد غلوش: السيرة النبويّة والدّعوة في العهد المدنيّ، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الأولى 1424هـ - 2004م.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفّى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة، بيروت.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث.
- عبد الرّحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدّمشقي (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان أبو محمّد الخفّاجيّ الحلبي (المتوفّى: 466هـ): سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى 1402هـ\_1982م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفّى: 1396هـ): علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطّبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- عبد المتعال الصّعيدي (المتوفّى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، اللّيثيّ، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفّى: 255هـ): البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النّشر: 1423هـ.
- علي الحازم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، مؤسّسة الصّادق عليه السّلام للطّباعة والنّشر (شيعي)، المطبعة: شريعت، الطّبعة: 5، تاريخ النّشر: 1429هـ.
- صالح بن طه عبد الواحد: سبل السّلام من صحيح سيرة خير الأنام، راجعه وقدم له: سليم بن عيد الهلالي، مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الغرباء، الدّار الأثريّة، الطّبعة: الثّانية، 1428هـ.

- ضياء الدين أبو السّاعات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشّجريّ (المتوفّى: 542هـ): أمالي ابن الشّجري، المحقّق: الدّكتور محمود محمّد الطّناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1413هـ - 1991م.
- محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزوينيّ الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفّى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفّاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة.
- محمّد بن يوسف الصّالحي الشّامي (المتوفّى: 942هـ): سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقّب بالمؤيد بالله (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.

# المحاضرة الخامسة

## نشأة علم المعاني وتطوره

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة
- 2 - تمهيد حول مصطلح علم المعاني.
- 3 - علم المعاني في اللغة والاصطلاح.
- 4 - نشأة وتطور علم المعاني.
- 5 - مباحث علم المعاني.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

في المحاضرة السابقة تكلمنا في جزء منها عن أقسام البلاغة ومباحثها، والغرض منها وأهدافها، ومن ذلك تكلمنا عن علم المعاني كقسم من أقسام علوم البلاغة، وذكرنا أهم مباحثه، والغرض منها، والهدف من هذا العلم بشيء من الاختصار.

وفي هذه المحاضرة نتحدث عن علم المعاني بشيء من الاسهاب، بداية من تمهيد حول مصطلح علم المعاني، ثم الحديث عن علم المعاني في اللغة والاصطلاح، ونعطي لمحة عن نشأة هذا العلم وتطوره، ونختم الحديث بمباحث هذا العلم.

### 2 - تمهيد حول مصطلح علم المعاني

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها، وهو قسيم علوم البلاغة الثلاثة، مع البيان والبيدع، وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا العلم بهذا المصطلح، ولا نعرف أحدا استعمله وسمّى به قسما من موضوعات البلاغة قبل السكّاكي، وكان الأوائل يستعملون مصطلح "المعاني" في دراساتهم القرآنية والشعرية، فيقولون: "معاني القرآن" أو "معاني الشعر"، ويتخذون من ذلك أسماء لكتبهم، وليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها<sup>1</sup>.

1 - ينظر: أحمد مطلوب، كامل حسن البصير: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، الطبعة: الثانية، 1420هـ - 1999م، ص: 83.

ولعلّ عبارة "معاني النّحو" التي وردت في المناظرة التي جرت بين الحسن بن عبد المرزبان المعروف بأبي سعيد السّيرافي (المتوفّى: 368هـ) وأبي بشر متى بن يونس (المتوفّى: 328هـ) في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات (المتوفّى: 327هـ) كانت من أقدم الإشارات إلى هذا المصطلح بمعناه القريب من البلاغة<sup>1</sup>.

قال السّيرافي: «معاني النّحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتّقديم والتّأخير وتوخي الصّواب في ذلك وتجنّب الخطأ من ذلك، وإن زاع شيء عن هذا التّعت فإنّه لا يخلو من أن يكون سائعا بالاستعمال النّادر والتّأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم»<sup>2</sup>.

وقد عقد أحمد بن فارس (المتوفّى: 395هـ) في كتابه "الصّاحبي" بابا سمّاه "معاني الكلام"، وبذلك يكون ابن فارس أوّل من أطلق مصطلح "معاني الكلام" على مباحث الخبر والإنشاء التي أصبحت فيما بعد أهمّ فصول علم المعاني<sup>3</sup>.

ولعلاقة النّحو بعلم المعاني فإننا نجد لمسائله أثراً في كتاب سيبويه (المتوفّى: 180هـ). وكذلك في كتاب "البيان والتّبيين" للجاحظ (المتوفّى: 255هـ)، وفي كتاب "الصّناعتين" لأبي هلال العسكريّ (المتوفّى: 395هـ)، ولكن يأتي عبد القاهر الجرجانيّ (المتوفّى: 471هـ) بكتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، ويضمنها نظريّته في علمي: المعاني، والبيان<sup>4</sup>. حيث يعتبر هو أوّل من سمّى علم المعاني بهذه التّسمية، ولكن كان يقصد بها "معاني النّحو"<sup>5</sup>.

وهي بعينها نظرية النّظم البلاغيّ التي أدار عليها كتابه "دلائل الإعجاز"، وقد تكلم فيه عن الكثير من أصول علم المعاني. ولهذا أخذ المتأخّرون لفظة "المعاني" من الجرجانيّ، وذلك في قوله<sup>6</sup>: «وأمر "النّظم" في أنّه ليس شيئاً غير توخي معاني النّحو فيما بين الكلم، وأنك ترتّب

1 - ينظر: أحمد مطلوب: البلاغة والتّطبيق، ص: 83.

2 - علي بن محمّد بن العباس، أبو حيّان التّوحيديّ (المتوفّى: 400هـ): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1424هـ، ص: 96.

3 - أحمد مطلوب أحمد الناصري الصّيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطّبعة: الأولى، 1980م، ص: 67. وأحمد مطلوب: البلاغة والتّطبيق، ص: 83.

4 - حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجناحيّ (المتوفّى: 1429 هـ): البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م، ص: 7.

5 - ينظر: بكري شيخ أمين: البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد، علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطّبعة: السادسة، 1999م، ص: 49.

6 - ينظر: الجناحيّ: البلاغة الصّافية، ص: 88.

المعاني، أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني، لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور»<sup>1</sup>.

ولأهمية علم المعاني كان تقديمه على باقي علوم البلاغة بالحديث، كونه يهتم بكيفية بناء المعنى انطلاقاً من الكلمة وحتى يستوي التركيب، فهو يدور حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كل عنصر منها في اللسان العربي، ومواقع ذكره وحذفه، وتقديمه وتأخيرها، ومواقع التعريف والتكثير، والإطلاق والتقييد، والتأكيد وعدمه، ومواقع القصر وعدمه، وحول اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كل منهما ومقتضياته، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقل منه، أو زائداً عليه، ونحو ذلك.

وفي ختام هذا التمهيد - ونحن في تخصصنا ندرس النص القرآني - فلا ريب أن علم المعاني مهم في التعامل مع لغة النص القرآني الذي يدور على خدمة المعنى من خلال الكلام وملابساته، وفي هذا يقول الألويسي الذي سمى تفسيره بروح المعاني: «... الثالث علم المعاني والبيان والبدیع، ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى - وبالتالي خواصها من حيث اختلافها، وبالتالي وجوه تحسين الكلام وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان»<sup>2</sup>.

### 3 - علم المعاني في اللغة والاصطلاح

نتكلم أولاً عن علم المعاني في اللغة، ثم بعدها نتكلم عنه في الاصطلاح.

#### 1 - علم المعاني في اللغة

علم المعاني كله يبحث في إفادة المعنى؛ أي الدلالة، وبالتالي يهتمنا تعريف لفظ "المعاني"، فهي في اللغة جمع معنى، وهو من مادة (ع ن ي) ويراد منه المقصود بالشيء؛ أي: مضمون، فحوى، دلالة، ما يدل عليه لفظ<sup>3</sup>.

يقول أحمد بن فارس في مقاييسه: «والذي يدلّ عليه قياس اللغة أنّ المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه. يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر؛ أي الذي يبرز من

1 - عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني (المتوفى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 288.

2 - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، 1/6.

3 - ينظر أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، 1567/2.

مكون ما تضمّنه اللفظ. والدليل على القياس قول العرب: لم تَعْنِ هذه الأرض شيئاً ولم تَعْنُ أيضاً، وذلك إذا لم تثبت، فكأنها إذ كانت كذا فإنها لم تفد شيئاً ولم تبرز خيراً»<sup>1</sup>.

وفي اصطلاح البيانيين: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن أو هو الصورة الذهنية، من حيث تقصد من اللفظ<sup>2</sup>. وجاء في التعريفات للجرجاني: «المعاني: هي الصورة الذهنية؛ من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ والصّور الحاصلة في العقل»<sup>3</sup>.

فأيّ تصوّر يرتبط باللفظ في الذهن ارتباطاً عُرفياً بالمطابقة فهو المعنى الحقيقيّ أو ذهنياً بالتضمّن أو اللّازم فهو المعنى الضّمّنيّ، أو مجازياً بواسطة الاستعارة فهو المعنى المجازيّ، أو طبيعياً بحكاية الصّوت للمعنى فهو المعنى الطبيعيّ<sup>4</sup>.

وأما علم المعاني كمركب لغويّ، فهو علم الدّلالة، وهو مختصّ بدرس معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب<sup>5</sup>. وهذا التعريف اللّغويّ لعلم المعاني يتوافق والتّعريف الاصطلاحيّ.

## 2 - علم المعاني في الاصطلاح

التّعريفات الاصطلاحية لعلم المعاني كثيرة - منذ نشأته وإلى اليوم - وعندما ننظر فيها نجدها متقاربة، وأنها ركّزت على شيئين، هما<sup>6</sup>: أولاً - تركيب الكلام، بدراسة المفردة في مختلف أحوالها. ثانياً - على وضع الكلام في المقام المناسب؛ أي مراعاته لمقتضى الحال.

فالسكّاكّي الذي انتهت إليه علوم البلاغة، ومنها علم المعاني يعرفه بقوله: «اعلم أنّ المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»<sup>7</sup>.

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الزازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللّغة، المحقّق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، عام النّشر: 1399هـ - 1979م، 4/148.

2 - أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، دط، ص: 48.

3 - علي بن محمّد بن علي الزّين الشّريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقّق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 220.

4 - ينظر أحمد مختار عمر: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، 1567/2.

5 - ينظر: المرجع نفسه، 1568/2.

6 - ينظر: محمّد أحمد قاسم، ومحيي الدّين ديب: علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني» المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م، ص: 259. ينظر: بكري شيخ أمين: البلاغة العربيّة، ص: 51.

7 - يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي أبو يعقوب السكّاكّي (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 161.

ف نجد تعريفه ارتكز على خواص التّركيب التي تؤدي الإفادة، بمعنى التّركيب السّليم الذي عليه البلاغ، والمُوصل للمعنى عند السّماع في أحسن صورة يُراعى فيها المقام وما يتطلّبه من خطاب.

وعند القزويني: «وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال»<sup>1</sup>. وقريب منه ما ذكره صاحب الطّراز، حيث يقول: «علم المعاني هو العلم بأحوال الألفاظ العربيّة المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الإنشائيّة والأمور الطّليبيّة وغيرهما»<sup>2</sup>.

والمعاصرون تقريبا جميعهم على هذا الأصل مع الاختلاف في صياغة التّعريف لكن المضمون واحد، ففي بغية الإيضاح للصّعدي: «هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربيّ التي بها يطابق مقتضى الحال»<sup>3</sup>.

ونفس الشّيء عند حبّكة الميدانيّ، حيث يقول في كتابه البلاغة العربيّة: «هو علم يعرف به أحوال الكلام العربيّ التي تهدي العالم بها إلى اختيار ما يطابق منها مقتضى أحوال المخاطبين، رجاء أن يكون ما ينشئ من كلام أدبيّ بليغا»<sup>4</sup>.

والمراد بأحوال اللفظ أو الكلام ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها؛ فأحوال الجملة: كالفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة. وأحوال أجزائها: كأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلّقات الفعل؛ وهذه الأحوال هي التي يقتضيها الحال وهي الأمور التي تعرض لها من التّقديم والتّأخير والحذف والذّكر والتّعريف والتّكثير والإظهار والإضمار، وغير ذلك من الخصائص والاعتبارات التي يقتضيها الحال في اللفظ، فهي بعينها مقتضى الحال<sup>5</sup>.

مثال على ذلك قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾<sup>6</sup>، فإنّ شطر الكلام الأوّل قبل (أم) يختلف عن شطره بعدها؛ وذلك أنّ مقتضى

1 - محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني الشّافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفّى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة، 1/ 52.

2 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 1/ 10.

3 - عبد المتعال الصّعديّ (المتوفّى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، الطّبعة: السابعة عشر: 1426هـ-2005م، 1/ 33.

4 - عبد الرّحمن بن حسن حبّكة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 1/ 138.

5 - ينظر الصّعديّ: بغية الإيضاح، 1/ 33.

6 - الجن: 10.

الحال يختلف باختلاف الشّطران، فالشّطر الأوّل فيه فعل الإرادة مبنيّ للمجهول (أريد)، وهو ما يقتضيه جهلهم بالشّيء المراد، ولقصور علمهم في ذلك، والشّطر الثّانيّ فيها فعل الإرادة مبنيّ للمعلوم (أراد)، والحال الدّاعي لذلك هو علم الله المحيط بالمراد فناسبه البناء للمعلوم، وأيضاً نسبة الخير (الرّشد) إليه سبحانه في الثّانية وثبوت نفيها عنه في الأولى؛ من كلّ ذلك ناسب الأولى البناء للمجهول وناسب الثّانية البناء للمعلوم.

مثال آخر في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾<sup>1</sup>.

نلاحظ في هذه الآية أنّ نبيّ الله موسى - عليه السّلام - قد استعمل الإطناب في الإجابة بدل الإيجاز، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك، فقد كان السّؤال محدداً وواضحاً، وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟ والله سبحانه وتعالى يعلم ما يحمل موسى بيده، ولذا يقتضي الإيجاز بإجابة موجزة بكلمة واحدة، فيقول: عصاي. لكنّه - عليه السّلام - استرسل في الكلام، وذلك أنّ مقتضى الحال يتطلّب ذلك، وهذا لأمر كثيرة، نذكر منها:

- إمّا أنّه - عليه السّلام - استشعر الأُنس في مخاطبته للباري عزّ وجلّ، فالمقام مقام تشريف وهو يقتضي البسط والإطالة في الكلام، إذ هو مقام حديث العبد مع خالقه، والحبیب مع حبيبه<sup>2</sup>.

جاء في الكشّاف: «وقالوا: إنّما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه، وقالوا: انقطع لسانه بالهيبه فأجمل»<sup>3</sup>.

- أو أجاب - عليه السّلام - عمّا يتوقّع من أسئلة بعدها؛ كالسّؤال ماذا تفعل بها؟ وشبهه، فأجاب عمّا هو متوقّع، ولذلك فصلّ ثمّ أجمل حتّى إذا استزاده بياناً زاده.

قال القرطبيّ: «في هذه الآية دليل على جواب السّؤال بأكثر مما سئل، لأنّه لما قال: "وما تلك بيمينك يا موسى" ذكر معاني أربعة؛ وهي: إضافة العصا إليه، وكان حقه أن يقول عصا»<sup>4</sup>.

1 - طه: 17-18.

2 - ينظر: محمّد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1998م، 9/96.

3 - محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الرّمخسريّ جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربيّ - بيروت، الطّبعة: الثالثة - 1407هـ، 3/58.

4 - شمس الدّين أبو عبد الله القرطبيّ (المتوفى: 671هـ): تفسير القرطبيّ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة - القاهرة، الطّبعة: الثّانية، 1384هـ - 1964م، 11/186.

- أو أنه - عليه السلام - أطنب في الإجابة من باب الإفادة في المعنى، وهو من فنّ التّفيف في علم البديع؛ وهو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو سئل عنه، فيلفّ معه معنى آخر يلزم كلمة المعنى الذي سئل عنه<sup>1</sup>.

- أو أن موسى - عليه السلام - أدرك بمقتضى الحال الذي كان فيه أن السؤال لم يكن عن العصا ذاتها؛ بل عمّا وراءها، فاقترضى المقام أن يجيب بشيء من الإطناب ولم يُطل فيه تأدباً مع الله عزّ وجلّ؛ ففصل في شيئين: (أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)، ثمّ أجمل: (وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى). يقول ابن عاشور: «فظاهر الاستفهام أنه سؤال عن شيء أشير إليه، وبيّنت الإشارة بالظرف المستقرّ وهو قوله: (بِئَمِينِكَ)، ووقع الظرف حالاً من اسم الإشارة، أي ما تلك حال كونها بيمينك؟ ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول عنه جرياً على الظاهر، وبيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذ العصا بيده لأنّ شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلاّ والسائل يريد من سؤاله أمراً غير ظاهر»<sup>2</sup>.

ولذلك فعلم المعاني يدور حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كلّ عنصر منها في اللسان العربيّ الفصيح، ومواقع ذكره وحذفه، وتقديمه وتأخيرها، ومواقع التّعريف والتّكثير، والإطلاق والتّقييد، والإجمال والتّفصيل، والتّأكيد وعدمه، ومواقع القصر وعدمه، وحول اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كلّ منهما ومقتضياتها، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقلّ منه، أو زائداً عليه، ونحو ذلك<sup>3</sup>.

ونجد بعض التّعريفات المتأخّرة للبلاغيين أصبغ عليها أصحابها الصّبغة العلميّة أو بالأحرى المعياريّة، من ذلك ما جاء في جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي: «علم المعاني أصولٌ وقواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربيّ التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق العرّض الذي سبق له»<sup>4</sup>.

1 - ينظر: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشّعْر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتحدّة - المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، ص: 343.

2 - محمّد الطّاهر بن عاشور (المتوفى: 1393هـ): التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدّار التّونسيّة للنشر - تونس، سنة النّشر: 1984هـ، 205/16.

3 - ينظر: حبنكة الميداني: البلاغة العربيّة، 1/139.

4 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 47. حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، دط، دت، 5/2.

فنرى بأنّ هذا التّعريف مثل سابقاته من حيث المضمون في مراعاة أحوال اللفظ ومقتضى الحال، إلّا أنّه ركّز على الجانب المعياريّ (القواعد والأصول) في تقييده لهذا العلم؛ أي تقييده بالمسائل الكلية لهذا العلم، بمعنى أنّه ليس مجرد معرفة خواصّ التّركيب وأحوال اللفظ - فتلك ولا ريب لها قواعدها وأصولها وهي المعنية الأولى بالتّركيب - ولكن هناك الأساليب الكلاميّة التي كان عليها نسيج الكلام العربيّ، وعلى منوالها ألف العربيّ كلامه، كقولهم: المتردّد والمُنكر يُلقى إليهما الكلام مؤكّداً، وخالي الذّهن يُلقى إليه الكلام خلواً من التّأكيد، والذكيّ يُلقى إليه الكلام موجزاً، والغبيّ يُلقى إليه الكلام مطنّباً<sup>1</sup>، وأنّ العرب تُجزّز إذ شكرت أو اعتذرت. وتُطنّب إذا مدحت. وأنّ الجملة الاسميّة تأتي لإفادة التّنبّات بمقتضى المقام، فمتى وُضع المنكّم تلك القواعد نصب عينيه لم يزعج عن أساليبهم ونهج تراكيبيهم، وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها، فالشّكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصّورة مطابقة لمقتضى الحال<sup>2</sup>.

وملخص القول أنّه ولا بدّ من سوق الكلام وفق مقتضى الحال، ومناسبة المقال، وكلّ إخلال بهذا الجانب إخلال بالصّيغة الفنيّة، وتهوين من قدرها وقيمتها، والذكيّ من النّاس من يضع الشّيء في موضعه، وبخاطب الآخرين على قدر عقولهم ومقاماتهم<sup>3</sup>. وذلك هو غاية علم المعاني.

#### 4 - نشأة وتطوّر علم المعاني

وبعد أن عرّفنا علم المعاني نحتاج إلى اللّمحة التّاريخيّة لهذا العلم، والمتعلّقة بنشأته وتطوّره، ولا ريب أنّ علوم البلاغة أخذت زمناً حتّى تشكّلت بصبغتها التي هي عليها اليوم، وكلّ علم فيها كان له من المراحل ما كان لغيره من علومها.

فعلم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثّلاثة المعروفة؛ المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربيّة في أوّل الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز. وكُتبت المتقدّمين من علماء العربيّة خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة، ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها<sup>4</sup>.

1 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/5.

2 - ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوقّى: 1371هـ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» دط، دت، ص: 41.

3 - ينظر بكري شيخ أمين: البلاغة العربيّة، ص: 42.

4 - ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى،

1430هـ - 2009م، ص: 25.

وشياً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربيّة ينحون بها منحى التّخصّص والاستقلال، كما أخذت مسائل كلّ فنّ بلاغيّ تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى، وكلّ مرحلة تظهر مباحث البلاغة أكثر من المرحلة التي قبلها وهكذا دواليك.

وظلّ الأمر بهذه الوتيرة حتّى جاء دور عبد القاهر الجرجانيّ في القرن الخامس الهجريّ (المتوفّى: 471هـ) ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، كما وضع الجاحظ من قبله أصول البيان العربيّ، وابن المعتز أسس علم البديع، فعبد القاهر الجرجانيّ بدراسته للمعنى النّحويّ ومعنى المعنى النّحوي<sup>1</sup>، أي المعنى ومعنى المعنى، تعمّق في نظم التّركيب، فكان هو الحلقة الأهمّ بعد سابقه في وضع أصول علمي المعاني والبيان ومؤسّسهما في العربيّة، وقد جعل من مباحث العلمين وحدة يمكن النّظر فيها نظرة شاملة<sup>2</sup>.

والعجيب أنّه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين، لأنّه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كلّ القواعد البلاغيّة فيهما، وكان ذلك إيذاناً بأن تتحوّل تلك القواعد - من بعده - إلى قوانين معيارية وتقسيمات وتفريعات تجمع شتات علم البلاغة، وقد فُتِن البلاغيون بعمله فراحوا يردّدون كلامه ويقفون عنده لا يتجاوزونه إلى عمق أو ابتكار، كأنّما البحث في البلاغة قد انتهى بعبد القاهر الجرجانيّ.

وذلك أنّ جهود البلاغيين من بعده انحصرت في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها، وفي ترتيب أبوابها، واختصارها. وكان هذا الاختصار يصل أحيانا من الغموض والصّعوبة إلى حيث يحتاج إلى شرح يوضح غامضه، ويذلل صعابه، فيقبل عليه الشّراح، ومنهم من يتوسّع في الشّرح إلى الحدّ الذي يجعل الإلمام بحقائق العلم أمراً عسيراً. وهكذا وصلت البلاغة نتيجة لذلك إلى أقصى ما يمكن من اختصارات وأقصى ما يمكن من شروح<sup>3</sup>.

ومن أوائل من اتّجه إلى الاختصار والتّليخيص الإمام الفخر الرّازيّ (المتوفّى: 606هـ) في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، فقد اختصر فيه كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجانيّ<sup>4</sup>.

1 - ينظر الفرق بين علم المعاني وعلم النّحو؛ عبد المتعال الصّعيديّ: البلاغة العالية، علم المعاني، مراجعة عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعاتها، الطّبعة: الثّانية، 1411هـ - 1991م، ص: 39.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 25.

3 - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 26.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 26. وينظر: بكري أمين: البلاغة العربيّة، ص: 46.

وفي ذلك يقول: «ولمّا وفّني الله لمطالعة هذين الكتابين - أي: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - التقطت منهما معاقدَ فوائدهما ومقاصدَ فرائدهما، وراعى الترتيب مع التهذيب، والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجماليات في كلّ باب بالتقسيمات اليقينية، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية، مع الاجتناب عن الإطناب المملّ، والاحتراز عن الإيجاز المخلّ، وسميته: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»<sup>1</sup>.

وظهر بجانب الرّازي وفي عصره عالم كان له تأثير كبير على البلاغة العربية. ذلك العالم هو سراج الدّين أبو يعقوب يوسف بن محمد السّكّايّ (المتوفى: 626هـ)، صاحب كتاب "مفتاح العلوم" الذي جعله أربعة أقسام: قسما في علم الصرف، وقسما في علم النحو، وقسما في علوم البلاغة، وقسما في علم الشعر. فقد أفرد القسم الثالث من كتابه للكلام عن علمي المعاني والبيان ولواحقهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية بنوعيهما اللفظي والمعنوي.. فمن خلال مجهودات البلاغيين من قبله وبخاصة عبد القاهر الجرجانيّ، والرّمخسريّ، والفخر الرّازي استطاع السّكّايّ تحقيق أمرين: أحدهما أن ينفذ إلى عمل ملخص دقيق لما نثره أولئك البلاغيون في كتبهم من آراء، وكذلك لما توصل إليه هو من أفكار.

وثانيهما أن يصوغ كلّ ذلك في صيغ مضبوطة محكمة، مستعينا فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب. وبهذا تحوّلت البلاغة في مفهومه أولا وفي تلخيصه ثانيا إلى علم بأدقّ المعاني لكلمة علم<sup>2</sup>.

## 5 - مباحث علم المعاني

في هذا العنصر لا نطيل الكلام، ومختصره أنّ علم المعاني تنحصر مباحثه في ثمانية أبواب، هي<sup>3</sup>:

أولها: أحوال الإسناد الخبري.

وثانيها: أحوال المسند إليه.

وثالثها: أحوال المسند.

1 - فخر الدّين الرّازي (المتوفى: 606هـ): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م، ص: 25.

2 - ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 26 - 28. وينظر: بكري شيخ أمين: البلاغة العربية، ص: 46 - 47.

3 - ينظر الصّعيدي: بغية الإيضاح، 35/1. وينظر: إبراهيم بن محمّد بن عريشاه عصام الدّين (المتوفى: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقّقه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 15/1. وينظر: الجناحي: البلاغة الصّافية، ص: 88.

ورابعها: أحوال متعلّقات الفعل.

وخامسها: القصر.

وسادسها: الإنشاء.

وسابعها: الفصل والوصل.

وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة.

ووجه الحصر أنّ الكلام العربي إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج؛ الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء، ثمّ الخبر لا بدّ له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى. ثمّ المسند قد يكون له متعلّقات إذا كان فعلا، أو متصلا به، أو في معناه؛ كاسم الفاعل ونحوه، وهذا هو الباب الرابع.

ثمّ الإسناد والتعلّق، كلّ واحد منهما يكون إمّا بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس. والإنشاء هو الباب السادس، وذلك كونه قسيم الخبر، فبعد الحديث عن نسبة تطابق الكلام للخارج من عدمها، يأتي الحديث عندما يكون لا خارج له. ثمّ الجملة إذا قرنت بأخرى؛ فتكون الثانية إمّا معطوفة على الأولى أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع.

ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة، أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن<sup>1</sup>.

بعد كلّ هذا يمكننا أن نلخص مباحث علم المعاني في أمرين اثنين، هما:  
الأمر الأوّل: أنّ علم المعاني بمباحثه الثمانية يبيّن لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويرينا - أيضا - أنّ القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتّى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقى عليه، وقديما قال العرب: لكلّ مقام مقال.

أمّا الأمر الثاني: الذي يبحث فيه علم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن، فإنّه يرينا أنّ الكلام يفيد بأصل وضعه معنى ولكنّه قد يؤدي إليك معنى جديدا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها، فيقول لنا إنّ الخبر قد يفيد التّحسر، والأمر قد يفيد التّعجيز، والنّهى قد يفيد الدّعاء، والاستفهام قد يفيد النّفي، إلى غير ذلك.

1 - ينظر الصّعدي: بغية الإيضاح، 35/1.

كما يقول لنا إنَّ الخبر قد يلقي مؤكِّداً لخالي الذَّهن، وقد يلقي غير مؤكِّد للمنكر الجاحد، لغرض بلاغيّ بديع، أرادَه المتكلِّم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام.

ويرشدنا علم المعاني - كذلك - إلى أنَّ القصر قد ينحو فيه الأديب مناحي شتى، كأنَّ يتَّجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة، وقد يكون من مرامي القصر التَّعريض ويهدينا علم المعاني إلى أنَّ من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقرير المعنى وتثبيتته في ذهن السَّامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ولعلَّ في هذا الموجز بياناً مقنعاً ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام، وما يمدُّ به النَّاشئ في الأدب من أساليب، وما يرسم له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها<sup>1</sup>.

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- إبراهيم بن محمَّد بن عريشاه عصام الدِّين (المتوفَّى: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفَّى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصَّميلي، المكتبة العصريَّة، بيروت، دط.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرَّازي، أبو الحسين (المتوفَّى: 395هـ): مقاييس اللُّغة، المحقَّق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، عام النَّشر: 1399هـ - 1979م.
- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفَّى: 1371هـ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» دط، دت.
- أحمد مختار عمر: معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، عالم الكتب، الطَّبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
- أحمد مطلوب، كامل حسن البصير: البلاغة والتَّطبيق، وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي، العراق، الطَّبعة: الثَّانية، 1420هـ - 1999م.
- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصَّيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطَّبعة: الأولى، 1980م.

---

1 - ينظر: علي الحازم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، مؤسسة الصَّادق عليه السَّلام للطَّباعة والنَّشر (شيعي)، المطبعة: شريعت، الطَّبعة: 5، تاريخ النَّشر: 1429هـ، ص: 258 وما بعدها.

- بكري شيخ أمين: البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد، علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطّبعة: السّادسة، 1999م.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، دط، دت.
- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجناحيّ (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافيّة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتّراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م.
- شمس الدّين أبو عبد الله القرطبيّ (المتوفى: 671هـ): تفسير القرطبيّ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة - القاهرة، الطّبعة: الثّانية، 1384هـ - 1964م.
- شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ (المتوفى: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، المحقّق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1415هـ.
- عبد الفاهر بن عبد الرّحمن، أبو بكر الجرجانيّ (المتوفى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقّق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- عبد الرّحمن بن حسن حبّكّة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- عبد المتعال الصّعيديّ (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ - 2005م.
- عبد المتعال الصّعيديّ: البلاغة العاليّة، علم المعاني، مراجعة عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعاتها، الطّبعة: الثّانية، 1411هـ - 1991م.
- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدّكتور حفني محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتحدّة - المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ.
- علي بن محمّد بن العباس، أبو حيّان التّوحيديّ (المتوفى: 400هـ): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1424هـ.

- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- فخر الدين الرّازي (المتوفى: 606هـ): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- محمد أحمد قاسم، ومحبي الدين ديب: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطبعة: الأولى، 2003م.
- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م.
- محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984هـ.
- محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الرّمخسريّ جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م.

## المحاضرة السادسة

### الخروج على خلاف مقتضى الظاهر في البلاغة العربيّة

#### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التّالية:

1 - توطئة.

2 - المراد بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

3 - أنواع الخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

4 - مصادر ومراجع المحاضرة.

#### 1 - توطئة

للّرب في إنشاء الكلام أساليب معهودة، بها يتواصلون ومن خلالها ينسجون الكلام، وهي معروفة ومفهومة عندهم ولا يتكلّفون فيها، وهذه الأساليب حتّى تكون بليغة يجب أن تكون مطابقة لمقتضى الحال، وقد تكلمنا عن ذلك عند تعريفنا للبلاغة في محاضرة مفهوم البلاغة قديما وحديثا، كما تكلمنا عن ذلك عند الحديث عن علم المعاني، وكلّ هذه المطابقة لمقتضى الحال يقابلها مقتضى الظاهر، وهو إخراج الكلام وفق أساليب العرب على ما يدعو له ظاهر الحال.

ولكن قد تدعو دواعي بلاغيّة أو جماليّة يخالف فيها المتكلم مقتضى الظاهر في الكلام، وهذا ما يسمّى عند البلاغيين بمخالفة الكلام لمقتضى الظاهر، أو كما عنوانًا له: "خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"، ولا تكن المخالفة لمقتضى الظاهر إلّا لغرض بلاغيّ دعا المتكلم لمخالفة معهود الكلام أو لمقتضى الظاهر، وهذه المخالفة لا ريب أنّ المتكلم يتحرّى فيها الأبلغ والأجمل دواما قدر استطاعته، حتّى يمكنه ذلك من تبليغ المعاني في مستويات راقية من الجمال بما يتناسب وهذه المخالفة، ولذا سيكون حديثنا عن هذا في العناصر الموالية.

#### 2 - المراد بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر

مخالفة مقتضى الظاهر باب مهمّ من أبواب البلاغة العربيّة، كونه ميدان الإبداع ومسرح النّقن في القول، وهو بجماليّته الفنيّة يشكّل العدول والاختراق في المعهود من الكلام، وهذا يجعله أوقع في النّفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر؛ وذلك لدقّة مسلكه، وحسن موقعه في النّفس بما يثيره من تساؤلات وتوقّعات قد تخالف توقّع أفق المتلقّي، ما يدفعه لبذل مجهوده الفكريّ في بلوغ المعنى المراد.

ولهذا فالمراد بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر هو مخالفة المتكلم لظاهر الكلام البليغ لداع من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية، أو تعبيرات جمالية، أو إلماحات خفية.

ولبيان ذلك بأمثلة بلاغية، فإن مقتضى الظاهر يجعلنا نورد الخبر - مثلا - لخالي الذهن مجردا من المؤكّدات، ونورده للمتردّد الشاكّ مقرونا ببعض المؤكّدات استحسانا، ونورده للمُنكر مقرونا بالمؤكّدات بحسب درجة إنكاره وجوبا بلاغيا، وكلّما زادت المؤكّدات فذلك دليل شدة إنكاره، وهذا الأمر بهذه الصّور يكون جاريا على مقتضى الظاهر، وعليه نسميه: "إخراج الكلام على مقتضى الظاهر"<sup>1</sup>.

وأما مخالفة الكلام لمقتضى هذا الظاهر، فإننا ننزل غير المنكر منزلة المنكر، والعكس، وننزل المتردّد منزلة غير المتردّد والعكس، وننزل خالي الذهن منزلة غيره والعكس، وننزل السائل منزلة غير السائل<sup>2</sup>، وبهذا نوّكد في موطن لا يحتاج للتأكيد والعكس، كما نوّكد بعدة مؤكّدات في موطن لا يحتاج إلّا مؤكّدا واحدا والعكس.

وهكذا قد تقتضي حالة المخاطب الخفية غير الظاهرة للعيان تأكيد الخبر له بمؤكّد أو أكثر، مع أنّ توجيه الخبر له كان بصورة ابتدائية لا تستدعي بحسب الظاهر تأكيد الخبر له فهو بمثابة خالي الذهن، فحين نوّكد له الخبر ملاحظين حالته الخفية، فنوجه له الخبر مؤكّدا على خلاف مقتضى الظاهر<sup>3</sup>.

### 3 - أنواع الخروج على خلاف مقتضى الظاهر

البلاغة - كما ذكرنا - متوقّفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وذكرنا في ما تقدّم من الكلام في التوطئة أنّ مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا بالطبع هو الأصل في الكلام وهو المعتاد في العرف العربي، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى خلافه، ممّا تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم، والذي ظهر للبلاغيين من خلال التتبع لمقامات الكلام العربي أنّ هناك تسعة أنواع من الأساليب يخرج فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، هي:

1 - ينظر عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 182/1.

2 - ينظر محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة، 196/2.

3 - ينظر حَبَنَكَة الميدانيّ: البلاغة العربية، 182/1.

## النوع الأول: الالتفات

الالتفات أسلوب من أساليب مخالفة مقتضى الظاهر، وهو فنٌ بدعيٌّ من أجلّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلاندها وعقودها<sup>1</sup>، ولذا يراد به في اللّغة تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضع آخر. بمعنى أنّه مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله، ومن شماله إلى يمينه.

والمشهور عند جمهور البلاغيين - غير السّكّائي - أنّ الالتفات هو التّعبير عن معنى بطريق من الطّرق الثلاثة بعد التّعبير عنه بطريق آخر منها<sup>2</sup>.

ويُقصد بالطّرق الثلاثة هي: "التّكلم - والخطاب - والغيبة"، كأنّ يتحدّث المتكلم عن نفسه بأسلوب الخطاب الذي يخاطب به غيره، أو يتحدّث مع من يخاطبه بأسلوب التّكلم عن الغائب، أو يتحدّث عن نفسه بأسلوب الحديث عن الغائب، أو يتحدّث عن الغائب بأسلوب الخطاب، وهكذا<sup>3</sup>. مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التّعبير وفق الطّريقة المختارة أو لا دون التّحوّل عنها<sup>4</sup>.

ومثاله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>5</sup>. والأصل (وجرين بكم) وبمخالفة مقتضى الظاهر عن طريق الالتفات جاءت (وجرين بهم)، ونكتته العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، التّعجب من كفرهم وفعلهم، واستدعاء الإنكار منهم عليهم، فلو استمرّ على خطابهم لفاتت هذه الفائدة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>6</sup>. الأصل (وإليه أرجع). وبالالتفات (وإليه تُرْجَعُونَ).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾<sup>7</sup>. الأصل (فصل لنا وأنحر) وبالالتفات (فصل لربك وأنحر).

1 - ينظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطّالبي الملقّب بالمويّد بالله (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 71/2.

2 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 86/2.

3 - ينظر حبّنة الميداني: البلاغة العربية، 479/1.

4 - ينظر المرجع نفسه، 479/1.

5 - يونس: 22.

6 - يس: 22.

7 - الكوثر: 1-2.

وفي قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾<sup>1</sup>. مقتضى الظاهر أن يقول: لرسوله: "عبست وتوليت أن جاءك الأعمى"، إذ التفت عنه ابتداءً، فتحدّث عنه بأسلوب الحديث عن الغائب، مع أنّ مقتضى الظاهر بحسب منزلته أن يكلمه بأسلوب الخطاب، لكن لم يطل الالتفات عنه بل أسرع إلى الالتفات إليه، فخاطبه بقوله معاتباً: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾<sup>2</sup>.

يقول الصّعديّ: "واعلم أنّ الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه - على ما ذكر الزّمخشريّ - هو أنّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السّامع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"<sup>3</sup>.

ولهذا يلقّب الالتفات بشجاعة العربيّة، على معنى أنّ البلغاء من ناطقي العربيّة كانت لديهم شجاعة أدبيّة بيانيّة استطاعوا بها أن يفاجئوا المتلقّي بالتّقلّب بين طرق الكلام الثلاثة "التّكلم - والخطاب - والغيبة" مشيرين بذلك إلى أغراض بلاغيّة يريدون التّنبيه عليها بذلك<sup>4</sup>.

### النّوع الثّاني: أسلوب الحكيم

وقد أطلق عليه المتأخرون من البلاغيّين اسم «القول بالموجب»، ولهم فيه عبارات مختلفة. ومن هؤلاء ابن أبي الأصبع المصريّ<sup>5</sup> وقد سمّاه عبد القاهر الجرجانيّ «المغالطة» وسمّاه السّكاكيّ «أسلوب الحكيم»<sup>6</sup>. وهو من العدول في البلاغة العربيّة لإتيانه مخالفاً لمقتضى الظاهر. وقد عرّفه السّكاكيّ (ت: 626هـ) بقوله: «وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب، أو السّائل بغير ما يتطلّب»<sup>7</sup>. بمعنى صرف كلام المتكلّم أو سؤال السّائل عن المراد منه، وحمله على ما هو هو الأوّل بالقصد، أو إجابته على ما هو الأوّل بالقصد»<sup>8</sup>.

1 - عبس: 1-2.

2 - عبس: 3.

3 - عبد المتعال الصّعديّ (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م، 1/142.

4 - ينظر حبّكّة الميدانيّ: البلاغة العربيّة، 1/480.

5 - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: بدون، ص: 184.

6 - ينظر أحمد مطلوب أحمد النّاصري الصّيادي الرّفاعي: أساليب بلاغيّة، وكالة المطبوعات - الكويت، الطّبعة: الأوّل، 1980م، ص: 264.

7. يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ الخوارزميّ الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 327.

8 - حبّكّة الميدانيّ: البلاغة العربيّة، 1/498.

فمن تعريفه نجده ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: حمل كلام المتكلم على غير ما يريد به، تنبيهها له على أنه الأولى بالقصد، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا كُنِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup>. المنافقون قالوا: ليخرجنَّ الأعزَّ من المدينة الأذلَّ إنَّ رجعنا من الغزوة التي نحن فيها إلى المدينة، ف جاء البيان القرآني تعليقا على مقالهم بحمله على ظاهرة؛ لكن على غير ما قصدوا، وذلك بإثبات أنَّ الأعزَّ الرّسول والمؤمنون معه بإمداد الله لهم بالعزّة، لأنَّ العزّة أي: القوّة الغالبة هي له سبحانه ولمن يمدّهم بالعزّة.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>2</sup>. أي: إن تدعو الله بأن ينصركم على الرّسول والذين آمنوا معه، فقد جاءكم النّصر ولكن على غير ما تطلبون، لقد جاءكم نصر الله لرّسوله والذين آمنوا معه عليكم. وهنا جاء قبول ظاهرة دعائهم بالنّصر ولكن بعد حمله على غير ما طلبوا فيه، لقد طلبوا مجيء النّصر لهم فجاءهم النّصر للمؤمنين عليهم.

والقسم الثّاني: إجابة السّائل بغير ما يطلب في سؤاله، لتبنيه له على أنه الأمر الأهمّ الذي كان ينبغي أن يسأل عنه، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>3</sup>.

قال القزويني: "سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف"<sup>4</sup>. أي سألوا عن الشّيء الذي ينفقونه، فأجابهم عن الذين ينبغي أن توجه لهم النّفقة، إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يسألوا عمّن ينبغي أن توجه لهم النّفقة، أمّا الشّيء الذي ينفقون منه ومقدار ما ينفقون فيعمّ كلّ ما يصلح للإنفاق منه، وما وراء حدّ الرّكاة المفروضة هو من التّطوّع المفتوح الذي لا يسأل عن حدّ له، ويظهر أن حدّ الرّكاة المفروضة لم يكن قد نزل به حكم فأعرض النّصّ عن الإجابة عليه.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِبُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾<sup>5</sup>. فالسائلون سألوا عن سبب الظّاهرة الكونيّة في الأهلة، لماذا يبدأ الهلال كالحاجب في أوّل الشّهر، وبتزايد يوما بعد يوم، حتّى يكون القمر بدرا، وبعد ذلك يتناقص حتّى يكون في آخر الشّهر مثلما بدأ في

1 - المنافقون: 8.

2 - الأنفال: 19.

3 - البقرة: 215.

4 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 95/2.

5 - البقرة: 189.

أوله؟ ولما كانت هذه الظاهرة ليس بيانها من الأغراض الدينية الأساسية التي بعث الله الرسل لبيانها، جاء الجواب مبيناً وظيفة الأهلّة المرتبطة ببعض قضايا الدين، وهي تحديد مواقيت الشهور، التي يحتاجها الناس لعباداتهم، ومعاملاتهم، وتواريخهم، وتكاليفهم، المرتبطة بالأشهر القمرية، كالصيام، وأشهر العدة، ومرور الحول لأداء الزكاة، وغير ذلك، وخصّ الله منها الحجّ اهتماماً بتحديد وقته، إذ دخل فيه التحريف الجاهليّ بالنسيء الذي كانوا يصنعونه. أمّا الظواهر الكونية القائمة على أسباب غير منظورة فكثيرة جداً، والناس لا يستطيعون إحصاءها، وفتح أبواب السؤال عنها والإجابة عليها. يحوّل مهمّة الرسول من رسالة دينية إلى رسالة عالم من علماء أنظمة الله في كونه<sup>1</sup>.

### النوع الثالث: الإظهار في مقام الإضمار، والإضمار في مقام الإظهار

ومن الخروج بخلاف مقتضى الظاهر؛ الإظهار في مقام الإضمار، وبالعكس، فهو قسمان: القسم الأول: الإظهار في مقام الإضمار. قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داع بلاغيّ يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>2</sup>. كان مقتضى الظاهر أن يكتفى بالضمير، فيقال: "إن تستفتحوا فقد جاءكم" ولكن جيء بالاسم المظهر للتهكم بهم، لأنّ الفتح وهو النصر الذي جاءهم كان عليهم ولصالح المسلمين<sup>3</sup>.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾<sup>4</sup>. جاء في هذا النص: (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: "وقالوا" باستخدام الضمير، ولكن وضع الاسم المظهر "الكافرون" مقام الضمير للتعجيب من فظاعة مقاتلتهم، واستثارة التكبر عليهم، والإشعار بأنهم أهل تمرّد وعناد، كافرون بالحقّ، ساترون لأدلتهم وبراهينه الواضحة.

القسم الثاني: الإضمار في مقام الإظهار. منها ضمير الشأن أو القصّة، وهو ضمير الغائب الذي يقع قبل الجملة، ويسمى ضمير الشأن إذا كان مذكراً، وضمير القصّة إذا كان مؤنثاً، ويعود

1 - ينظر حَبْنَكَةُ الميداني: البلاغة العربية، 503/1.

2 - الأنفال: 19.

3 - ينظر حَبْنَكَةُ الميداني: البلاغة العربية، 506/1.

4 - ص: 1 - 4.

كلّ منهما إلى ما في الذّهن من شأن أو قصّة، وذلك هو مضمون الجملة التي بعده. وضمير الشّأن أو القصة لا يحتاج إلى ظاهر يعود عليه، ولا يفسّر إلاّ بجملة<sup>1</sup>. مثاله قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾<sup>2</sup>. ضمير الشّأن في الآية لفظ "هو" أي: قل: الشّأن العظيم الجليل الذي يجب أن يهتّم به كلّ ذي فكر الله أحدّ.

ومنها الضّمير في باب "نِعَمَ وَبِئْسَ وَمَا جَرَى مجراهما" وهي أفعالٌ لإنشاء المدح أو الذّم على سبيل المبالغة، وفاعل هذه الأفعال قد يكون اسماً ظاهراً، وقد يكون ضميراً مُستترّاً وجوباً مُميّزاً بكلمة "ما" بمعنى شيءٍ أو كلمة "من" بمعنى شخص، أو بنكرةٍ عامّة<sup>3</sup>.

مثال ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾<sup>4</sup>. أصلها: فَنِعَمَ مَا، أي: فنعمة هو شيئاً.

ومثال ذلك أيضاً قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾<sup>5</sup>. أي: لبئس هو شيئاً قبيحاً كانوا يعملونه.

#### النوع الرابع: التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

ومن الخروج على خلاف مقتضى الظاهر التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والغرض من هذا التّعبير الدلالة على تحقّق الوقوع، وهو كثير في القرآن المجيد. ومن روائعه ما كان على سبيل اقتطاع أحداث المستقبل التي سيتحقّق وقوعها حتماً، وتقديمها في صورة أحداثٍ تمّ وقوعها.

مثاله قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>6</sup>.

1 - ينظر حَبَبَكَةَ الميداني: البلاغة العربية، 507/1.

2 - الإخلاص: 1.

3 - ينظر حَبَبَكَةَ الميداني: البلاغة العربية، 508/1.

4 - البقرة: 271.

5 - المائدة: 62.

6 - الأعراف: 42 - 44.

حيث جاء في هذه الآيات وطائفة من الآيات بعدها في السورة ذاتها كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾<sup>1</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>2</sup>. بالتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، فجعل المتوقع الذي لا بدّ من وقوعه بمنزلة الواقع<sup>3</sup>.

بمعنى أنّه جاء تقديم صور من أحداث المستقبل التي ستكون بصيغ أفعال من أفعال الماضي، كأنّها أمور قد وقعت فعلا ومضت للدلالة على تحقق وقوعها في المستقبل، وإعطاء الأحداث المستقبلية صور قصص تمّ حدوثها، فهي تقدّم بتصوير فنيّ مطابق للواقع. ومعلوم لدى كلّ ذواق للتصوير الفنيّ في القصص أنّ ما كان منها أكثر مطابقة للواقع كان أكثر تأثيرا في النفوس، واستنارة للمشاعر<sup>4</sup>.

### النوع الخامس: التّغليب

التّغليب من أساليب خروج الكلام بخلاف الظاهر، ويراد به إعطاء أحد المتصاحبين في اللفظ، أو المتشاكلين المتشابهين في بعض الصفات، أو المتجاورين أو نحو ذلك حكم الآخر. ومن فوائده الإيجاز في العبارة، مع فوائد بلاغية تلاحظ من خلال الكلام.

وهو باب واسع يجري في فنون كثيرة، منها: تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابهين أو المتجاورين على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور.. وقد ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن الذين آمنوا والذين كفروا في نصوص كثيرة، ويدخل المؤمنات في الذين آمنوا، والكافرات في الذين كفروا، لأنّ الاقتصار في اللفظ على المذكورين قد كان على سبيل التّغليب<sup>5</sup>.

ونذكر بعض الأمثلة منها قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلَّتِنَا﴾<sup>6</sup>. أدخل شعيب عليه السلام في لتعودنّ في ملّتنا بحكم التّغليب، إذ لم يكن شعيب في ملّتهم أصلاً، وكقوله تعالى: ﴿وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾<sup>7</sup> عدت الأنثى من الذكور بحكم

1 - الأعراف: 48.

2 - الأعراف: 50.

3 - ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 96/2.

4 - ينظر حبّئكة الميداني: البلاغة العربية، 510/1.

5 - ينظر المرجع نفسه، 511/1.

6 - الأعراف: 188.

7 - التّحریم: 12.

التَّغْلِيْبُ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدُوا لِإِلَّا إِبْلِيسَ﴾<sup>1</sup> عَدَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحَكْمِ التَّغْلِيْبِ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ بِنَاءِ الْخَطَابِ غَلَبَ جَانِبَ أَنْتُمْ عَلَى جَانِبِ قَوْمٍ<sup>2</sup>.

### النَّوعُ السَّادِسُ: وَضْعُ الْخَبْرِ مَوْضِعَ الْإِنْشَاءِ وَوَضْعُ الْإِنْشَاءِ مَوْضِعَ الْخَبْرِ

الْكَلَامُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يَأْتِي عَلَى نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا خَبْرٌ، وَالثَّانِي إِنْشَاءٌ، وَالْخَبْرُ مَا احْتَمَلَ الصِّدْقَ وَالْكَذْبَ مِنَ الْكَلَامِ، وَقِيلَ: الْكَلَامُ الْمُقْتَضَى بِصَرِيحِهِ نِسْبَةَ مَعْلُومٍ إِلَى مَعْلُومٍ بِالتَّفْهِيمِ وَالْإِثْبَاتِ<sup>3</sup>. أَمَّا الْإِنْشَاءُ فَيُرَادُ بِهِ: قَسِيمُ الْخَبْرِ، وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذْبَ لِنَاتِهِ، بِمَعْنَى مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ. أَيُّ أَنَّهُ مَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ فِي وَقْتِ الطَّلَبِ، بِصِيغَةٍ مِنْ صِيغَةِ الْمَعْرُوفَةِ: كَالْأَمْرِ، أَوْ النَّهْيِ، أَوْ الْاسْتِفْهَامِ، أَوْ النَّدَاءِ، أَوْ التَّمْنِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَفِي مَقْتَضَى الظَّاهِرِ يَكُونُ الْخَبْرُ فِي مَوْطِنِهِ، وَالْإِنْشَاءُ فِي مَوْطِنِهِ، أَيُّ عَلَى مَقْتَضَى الظَّاهِرِ فَلَا يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، أَمَّا حِينَ يَخْرُجَانِ عَلَى خِلَافٍ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ، فَقَدْ يَسْتَعْمَلُ أَحَدُهُمَا وَيُرَادُ بِهِ الثَّانِي، يَعْنِي: تَأْتِي بِالْجُمْلَةِ بِلَفْظِ الْخَبْرِ وَالْمَعْنَى إِنْشَاءً، وَقَدْ يَقَعُ الْعَكْسُ، وَهَذَا يَكُونُ لِأَغْرَاضٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ.

مِثَالُ وَضْعِ الْخَبْرِ مَوْضِعَ الْإِنْشَاءِ، قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا". غَفَرَ: فَعْلٌ مَاضٍ، فَالصِّيغَةُ خَبْرٌ، وَقَدْ وَضِعَ مَوْضِعَ الْإِنْشَاءِ، إِذِ الْمَعْنَى: اللَّهُمَّ اغْفِرْ، وَالْغَرَضُ التَّفَاوُلُ بِاسْتِجَابَةِ الدَّعَاءِ<sup>4</sup>. وَهُوَ بِذَاتِهِ مَا نَقَوْلُهُ لِلْمَيِّتِ، الْمَغْفُورُ لَهُ، الْمَرْحُومُ فَلَانِ، فَكُلُّ هَذِهِ أَخْبَارٌ صِيغَتْ فِي مَوْضِعِ الْإِنْشَاءِ، الْغَرَضُ مِنْهَا التَّفَاوُلُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَمِثَالُ مَوْضِعِ الْإِنْشَاءِ مَوْضِعَ الْخَبْرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾<sup>5</sup>. كَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: وَبِإِقَامَةِ وَبِإِقَامَةِ وَجُوهِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَبِدَعَائِكُمْ مَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، عَطْفًا عَلَى لَفْظِ (بِالْقِسْطِ) وَبِأَسْلُوبِ الْخَبْرِ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا الظَّاهِرُ، فَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِأَسْلُوبِ الْإِنْشَاءِ فِي صِيغَةِ الْأَمْرِ التَّكْلِيفِيِّ، إِشْعَارًا بِالْإِهْتِمَامِ بِالْمَطْلُوبِ فِي أَمْرِ التَّكْلِيفِ.

1 - الأعراف: 11.

2 - ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 2/120.

3 - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسم، المحقق: أ. د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م، ص: 94.

4 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 1/513.

5 - الأعراف: 29.

## النوع السابع: الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع وبالعكس

شبيهه بالانتقالات في الانتقال من شيء لشيء، غير أنه يخصّ في الانتقال بين فعل الماضي والمضارع، وهذا فنٌ بديع من فنون الإبداع البيانيّ البليغ، ولكن استخدامه يحتاج قدرةً بيانيّةً رفيعةً، تمكّن المتكلّم من اختيار المواضع الملائمة لاستخدامه.

مثاله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾<sup>1</sup>. كان مقتضى الظاهر بعد فعل (أرسل) الماضي أن يعطف عليه بفعل ماض فيقال: "فأثارت" لكن عدل عن هذا الظاهر إلى: (فتثير) بالمضارع بغية تقديم صورة السحاب المثار كأنه حدث يجري مع تلاوة النصّ، وهذا أسلوب فنيّ بديع، فيه إحضار للمشاهد الماضية في صور المشاهد الحاضرة الجارية، ذات الأحداث المتجدّدة، إذ الفعل المضارع يفيد مع الحدوث الحاضر ظاهرة التجدّد والتتابع<sup>2</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَّوهُ دَاخِرِينَ﴾<sup>3</sup>. كان مقتضى الظاهر يستدعي أن يُقال: (فيفزع) بالفعل المضارع عطفاً على فعل (ينفخ) لكن عدل عن هذا الظاهر لتقديم الأحداث التي ستأتي في المستقبل في صورة أحداثٍ قد وقعت ومضت.

## النوع الثامن: تجاهل العارف

ومن الخروج بخلاف مقتضى الظاهر ما يسمّى عند البلاغيين بتجاهل العارف، وهو فنٌ من فنون علم البديع سمّاه السكاكي: "سوق المعلوم مساق غيره لنكته"، وسمّاه أبو هلال العسكري "تجاهل العارف ومزج الشك باليقين" وعرفه بأنه إخراج ما تعرف صحته مخرج ما يشك فيه، ليزيد بذلك تأكيداً. إذ الأمور التي تجري على طبيعتها بالتلقائية أن يتكلّم العارف بالأمر على وفق معرفته له، ولكن قد تدعوه بلاغية إلى التظاهر بالشك أو الجهل<sup>4</sup>.

مثال ذلك قول البوصيري:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بَدِي سَلَمٍ ... مَرَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ... وَأَوْمَضَ الْبُرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

1 - فاطر: 9.

2 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 515/1.

3 - النمل: 87.

4 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 517/1.

يُريد تأكيد بُكائه المختلط بالدمّ، بطرح تشكيكه في الأسباب الدّاعية إلى ذلك، أهي التّذكّر، أم الرّيح الّتي هبّت من أرض محبوبة، أم البرق الذي أومض من جهّتها، وهو عارف بأنّ السّبب هو التّذكّر.

وقد عدّوا من تجاهل العارف ما ينبغي أن يسمّى: تجهيل العارف، كقول الكفّار لإخوانهم الكفّار: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبْنِيكُمْ إِذَا مُرِّتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾<sup>1</sup>. فقد جهّلوهم مع كونهم عارفين بالتبّيّ صلّى الله عليه وسلّم لغرض فاسد لهم لعنهم الله.<sup>2</sup>

### النوع التّاسع: القلب

ومن الخروج بخلاف مقتضى الظّاهر "القلْبُ" وقلْب الشّيء قلباً: حوّله عن وجهه. وحجر مقلوب، ومنه كلام مقلوب<sup>3</sup>. ويكون القلب في البلاغة بإجراء التّبادل بين جزأين من أجزاء الجملة لغرض بلاغيّ يستحسنه الفطناء، ويُلحَقُ به القلب في التّشبيه<sup>4</sup>.

كقول العرب "عرضتُ النّاقةَ على الحوضِ"<sup>5</sup> القزويني: أي مكان "عرضتُ الحوضَ على النّاقةِ" أي أظهرته عليها لتشرب، ويرى ابن السّكيت أن "عرضتُ النّاقةَ على الحوضِ" هو الأصل وأن المقلوب "عرضتُ النّاقةَ على الحوضِ" فكأنّه لاحظ أنّ المعروض عليه يكون أمراً مستقرّاً. ومن القلب قول الشّاعر: "يَكُونُ مِرْجَاهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ". وكان مقتضى الظّاهر أن يقول: تَكُونُ مِرْجَاةُ الْعَسَلِ وَالْمَاءِ، إلّا أن الشّاعر أجرى القلب بين جزأيّ جملته، فخرج الكلام بخلاف مقتضى الظّاهر.

ومنه قول رؤبة: كَمَهْمِهِ مُعْبَرَةٌ أَرْجَاؤُهُ ... كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

والشّاهد المصراع الأخير فإنّه من باب القلب، أي كأنّ لون سماءه لغبرتها لون أرضه، فعكس التّشبيه، والاعتبار اللّطيف هنا المبالغة في وصف لون السّماء بالغبرة حتّى كأنّه صار بحيث يشبه لون الأرض في ذلك مع أن الأرض أصل فيه.

1 - سبأ:7.

2 - ينظر أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدّين السّبيكيّ (المتوفّى: 773هـ) عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح، المحقّق: الدّكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م، 277/2.

3 - ينظر محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الرّمخسريّ جار الله (المتوفّى: 538هـ): أساس البلاغة تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، 94/2.

4 - ينظر حَبْنَكَةُ الميّدانيّ: البلاغة العربيّة، 519/1.

5 - ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، 2.

#### 4 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773هـ) عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح، المحقق: الدكتور عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة: الأولى، 1980م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: بدون، عام النّشر: بدون.
- عبد المتعال الصّعيديّ (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ - 2005م.
- محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
- محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الرّمخشريّ جار الله (المتوفى: 538هـ): أساس البلاغة تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقّب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م.

# المحاضرة السابعة

## القرينة في البلاغة العربيّة

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التّالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - تعريف القرينة.
- 3 - أنواع القرينة.
- 4 - وظيفة القرينة.
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

من المسائل البلاغيّة المهمّة في الدّرس البلاغيّ العربيّ مسألة القرائن، حيث نجدّها متفرّقة في طيّات مصنّفات البلاغة وفي أبوابها المختلفة، ومع ذلك فإنّ دراسة القرينة كدراسة مستقلة منفصلة لم يُفرد لها البلاغيّون بحثًا خاصًّا، ولم يعيروها دراسة مستقلة شاملة لكلّ أنواعها ومسائلها، ولا يعني ذلك أنّهم لم يهتمّوا بها، فقد تكلموا عنها في كلّ موطن تعترضهم فيه، وخاصة عند غموض الدّلالة، أو حين خروج الكلام بخلاف الظّاهر، أو عند عدم مطابقته لمقتضى الحال، أو في استعمال اللفظ أو التّركيب في غير ما وضع له، فإنّهم حينها يتكلّمون عنها ويضربون أمثلتها، ويبينون نوعها، وهذا الأمر جعل القرينة مدركة حسًّا وذهنًا، لكن يصعب على الباحث الإلمام بها وتصوّرها تصوّرًا كاملاً، ولهم في ذلك أسبابهم ودواعيهم، ومنها تقرير المباحث البلاغيّة الشّيء الذي يستدعي التّركيز على المبحث ذاته ومن غير إغفال لواحقه ومتعلّقاته كالأغراض والقرائن وغيرها.

وعلى هذا فإنّه أصبح من المهمّ اليوم أن تفرد القرينة بالدراسات الخاصّة، كونها نظرية بلاغيّة متكاملة الجوانب، ومكتملة الأركان، ومنضبطة الشّروط، ومتميّزة الأنواع، ولا يمكن لأيّ باحث بلاغيّ الاستغناء عنها، ولا ريب أنّ هذا الأمر يحتاج جهدًا كبيرًا، كون القرينة مشتتة بين مباحث علوم البلاغة المختلفة، كما أنّها تشترك مع علوم أخرى، كعلم النّحو والأصول وغيرها، وهذا الأمر بلا ريب يتطلّب استقراء وتتبعًا، وبعدها قراءة وجمعًا ومقارنة وترتيبًا وتبويبًا، ولكنّه مستطاع لما تحظى بها المسألة من مادّة علميّة كبيرة بين مصنّفات البلاغة المختلفة.

وعلى كل حال فإنّ على الدّارس للبلاغة العربيّة أن يحيط علما بمسألة القرائن في أيّ مبحث بلاغيّ من مباحث علوم البلاغة المختلفة؛ لأنّها أوّلا ترتبط ارتباطا مباشرا بالمعنى، وهو لبّ الفكرة البلاغيّة وجوهرها، وعليه مدار الكلام في كلّ علوم البلاغة ومنها علم المعاني، وثانياً فإنّ القرائن تكاد تدخل في جلّ مباحث البلاغة، وخاصّة المجاز منها، فتراها تتعلّق بأحوال الإسناد (الخبر والانشاء)، وتتعلّق بالحذف والذّكر، وبالحيقة والمجاز، وبالتّقديم والتّأخير، والقصر، والفصل والوصل، والايجاز والاطناب، والكناية، والتّعريض، والتّورية، والتّشبيه، والاستعارة، والالتفات، وتجاهل العارف، وأسلوب الحكيم، والتّغليب، والقلب،... غيرها.

وهذا التّوسّع والانتشار للقرائن بين المباحث البلاغيّة مدعاه أن الكلام العربيّ الفصيح لا يأخذ صورة واحدة جامدة لا تتغيّر ولا تتبدّل، بل هو أساليب مختلفة ومتنوّعة يسوق المتكلّم من خلالها المعنى للمتلقّي بحسب مقتضى حاله، فتكون القرينة هي الواسطة بين الوضع والتّجاوز، وهي الرّابط بين الحقيقة والمجاز، وهي الدّليل الهادي للمعنى عند خروج الكلام بخلاف مقتضى الظّاهر، وهذا الأمر يجعل المتكلّم في سعة من أمره، فيرسل المعنى بما يراه مناسباً، ويجعل المتلقّي في أريحيّة من حاله فلا يختلّ عنده الفهم.

ومن هذه السّعة في الكلام العربيّ والانتشار في القرائن البلاغيّة، ناسبها تعدّد القرائن وتنوّعها واختلافها، إذ لا يُعقل أن تكون القرائن على هيئة واحدة، فهذا أمر يجعل مساحة المتكلّم محصورة في نمط معيّن لا يُسغفه في إبداع المعنى بصور مختلفة، بل قد يعوقه في أداء المعنى الواحد بوضوح وجلاء، وربّما ولّد في الطّبع ركافة وابتدالا، وهذا منتف في الكلام العربيّ الفصيح، فعند التّتبّع نجد الأمر بخلافه، بل نقول - غير مبالغين - أنّ مسألة القرائن أتعبت علماء البلاغة تعباً كبيراً، واستنزفت منهم جهداً عظيماً، نظراً لتعدّد مجالاتها، وتنوّع آليّاتها، وتفرّع مسالكها، وتداخل أدائها ظهوراً وخفاءً، واشتراكها بين مختلف المباحث.

ونحن في هذه المحاضرة لا نريد التّكلّم في مسألة القرائن بشيء من الاستقصاء والتّفصيل، وإنّما نريد ذكر أهمّ ما جاء فيها للتّشبيه عليها، لبيان أهمّيّتها والحاجة الدّاعية لإفرادها بالكلام، ولذا نتحدّث عنها في العناصر التّالية:

- تعريف القرينة.

- أنواع القرينة.

- وظيفة القرينة.

## 2 - تعريف القرينة

### أ - القرينة في اللغة:

القرينة في اللغة اسم مفرد مؤنث، وجمعها قرائن، مذكرها قرين، وهي من مادة (قرن) وهي على وزن فعيلة بمعنى المفاعلة، مأخوذ من المقارنة<sup>1</sup>، وتأتي بمعنى مفعولة من الاقتران. ومنه القرين وهو المصاحب، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواطن عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾<sup>2</sup>. ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾<sup>3</sup>. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾<sup>4</sup>. ﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>5</sup>. بمعنى المصاحب والملازم كما يقول القرطبي في تفسيره. وعلى العموم فالقرينة لها دلالات عدة في اللغة، وأصلها كما يقول ابن فارس في مقاييسه: "جمع شيء إلى شيء"<sup>6</sup>، وهذا الأصل اللغوي يتقاطع وتعريف القرينة من حيث الاصطلاح، كونها هي الرابطة الجامع بين الكلام ومعناه المقصود.

### أ - القرينة في الاصطلاح:

بداية نشير إلى أنّ هناك ألفاظاً استخدمها علماء البلاغة للدلالة على القرينة، منها: لفظ الدلالة، والدليل، والفحوى، والسياق، والسباق، واللحاق، والآية، والحال، والأمانة، والحضرة، والقرينة، وغيرها، وهذا التعدد في المصطلح يدخل ضمن تأثر البلاغيين بالدّرس الأصولي والدّرس النحوي لتداخل تلك العلوم وتقاربها في دراسة الجانب اللغوي، وهذا ظاهر من توظيف بعض تلك المصطلحات فيها.

كما أنّ هذا الاختلاف والتعدد المصطلحي فرضه نشوء المصطلح وتطوره، كون القرينة منقذة في الأذهان ومشار إليها بالبنان في جميع مؤلفات البلاغة، لكن من غير تحديد لها كمصطلح متفق عليه، حتّى كان أول من استعملها كمصطلح أبو الفتح عثمان بن جني، ثم تداول

1 - ينظر علي بن محمد بن علي الزين الشّريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقّق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 174.

2 - ق: 23.

3 - ق: 27.

4 - الصّافات: 51.

5 - الرّزخرف: 36.

6 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللّغة، المحقّق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، عام النّشر: 1399هـ - 1979م، 76/5.

استعمالها البلاغيون من بعده بدرجات متفاوتة، ولمّا جاء أبو يعقوب السكاكيّ شاع هذا المصطلح على غيره من المصطلحات.

وأما من حيث بيان القرينة في الاصطلاح البلاغيّ فإنّ لها تعريفات عدّة، تتوافق أحيانا، وتتباين في أحيان أخرى، ولا نكاد نجد تعريفا جامعا لها في كتب التراث البلاغيّ، وهذا لعدّة أسباب، منها أنّ القرينة لم تفرد بالبحث الخاصّ حتّى تكون الصّورة التّعريفية لها تتسجم وجميع جزئياتها، ومن هنا نجد التّعريفات إمّا أنّها عامّة أو أنّها تحدّد القرينة من زاوية من زواياها دون الالمام بجميع زواياها المتعلقة بها.

ومن تلك التّعريفات ما جاء في معجم التّعريفات لعلي بن محمّد الجرجانيّ، بأنّ القرينة: "أمر يشير إلى المطلوب"<sup>1</sup>. وهو تعريف عامّ تدخل ضمنه جلّ القرآن، اللّغوية وغير اللّغوية، بل أيّ أمر يشير إلى المطلوب يدخل ضمنه، كالإشارة وغيرها.

وأیضا ما جاء في معجم كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بأنّ القرينة: "هي الأمر الدالّ على شيء"<sup>2</sup>. وهو تعريف عامّ أيضا ولا يختصّ باللّغة أو البلاغة فقط، بل تدخل ضمنه علوم أخرى كعلم أصول الفقه والفلسفة وغيرها.

وهناك تعريفات أخرى هي قريبة من البلاغة، منها ما جاء في معجم المصطلحات العربيّة، بأنّ القرينة: "ما يمنع من إرادة المعنى الأصليّ في الجملة"<sup>3</sup>.

ولا ريب أنّ هذا التّعريف يشمل القرينة البلاغية، ولكنّه يتعلّق بالقرينة النحوية، وربّما بها ألصق، كون النّحو تنتهي مهمّته في الجملة وصحّة معناها الوظيفيّ النّحويّ، والبلاغة تتعلّق بمعنى الجملة من حيث أسلوب ورودها في توظيف صور المعاني، وبما بعد الجملة من حيث عموم دلالتها وفق مراد المتكلّم.

ولهذا فالتّعريف يتعلّق بمكوّنات الجملة بداية من وظيفة عناصرها الأساسيّة، كالفاعل والمبتدأ،... ودراسة كلّ ذلك ميدانه علم النّحو وإن اشتركت البلاغة والنّحو في المعاني، ومع ذلك يستساغ في تعيينه تعريفا للقرينة البلاغية كونه يتعلّق بجزء من مكوّناتها، فالبلاغة تتصرّف في

1 - الجرجانيّ: التّعريفات، ص: 174.

2 - محمّد بن علي الفاروقي الحنفي التّهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النّصّ الفارسيّ إلى العربيّة: د. عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيّة: د. جورج زباني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطّبعة: الأولى - 1996م، 1315/2.

3 - مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، الطّبعة الثّانية، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م، ص: 288.

وظيفة المعاني النحويّة عند صياغة أساليبها المختلفة وتقرير معانيها، الأمر الذي يحتمّ التداخل بين علم البلاغة وعلم النحو.

وهناك تعريفات أخرى يغلب عليها الجانب البلاغيّ وإن تكلمت عن صورة من صور القرينة، منها قول السبكيّ: "والمراد بالقرينة ما يمتنع معه صرف الكلام إلى حقيقته"<sup>1</sup>.

وهذا التعريف شبيهه بسابقه من حيث صرف الكلام عن معناه الأصليّ، لكنّه لم يحدده في الجملة فقط، بل ربطه بعموم الكلام، وأقلّه الجملة المفيدة فما أكثر حتّى يشمل النّصّ، كما أنّ لفظ الأصل يقابله الوضع سواء في اللفظ أو التركيب، والوضع من ركائز الحقيقة التي يقابلها المجاز، وهذا مبحثه علم المعاني.

فالتعريف يشير إلى جانب مهمّ من جوانب القرينة وهو تعلّقها بالمجاز؛ لأنّ الحقيقة غير مرادة في الكلام، لكن في امتناعها كلياً ينصرف لعموم المجاز، وهنا تخرج الكناية التي في أصلها حقيقة وهي قائمة، ولكن القرينة تصرفها للمجاز على حسابها ولا تمنعها، ويبقى المعنيان قائمان. يقول الجرجانيّ في دلائل الإعجاز: "وإذا نظرت إليها (الكناية) وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنّها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ. ألا ترى أنّك لما نظرت إلى قولهم: «هو كثير رماد القدر»، وعرفت منه أنّهم أرادوا أنّه كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفت أنّ رجعت إلى نفسك فقلت: إنّ كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلّا أنّهم أرادوا أن يدلّوا بكثرة الرماد على أنّه تنصب له القدر الكثير، ويطبّخ فيها للقرى والضيافة. وذلك لأنّه إذا كثر الطبخ في القدر كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة"<sup>2</sup>.

وهذا المفهوم هو الذي بيّنه صاحب كتاب "علم البيان" حين عرّف القرينة عند البلاغيين: "بأنّها الأمر الذي يصرف الذّهن عن المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازي"<sup>3</sup>. فالصّرف عن إرادة المعنى الحقيقيّ قائم في القرينة وهو أساسها، ولكن امتناعه لا تتدرج تحته كلّ أنواع المجاز،

1 - حمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدّين السبكيّ (المتوفّى: 773هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المحقّق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م، 2/152.

2 - عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد أبو بكر الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ الدّار (المتوفّى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقّق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 274.

3 - عبد العزيز عتيق (المتوفّى: 1396هـ): علم البيان، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: 1405هـ - 1982م، ص: 156.

كالكناية والتورية والتعريض وغيرها، مع أنّ كلمة المنع واردة في مؤلفات البلاغيين لكن حملها على الصّرف في كلامهم يكون أدقّ فبه لا تنتفي عين الحقيقة القائمة وإن كانت غير مرادة. وحتى نعرّف القرينة بتعريف يكون بلاغياً ويحيط بكلّ جوانبها فإنّ الأمر يستلزم منّا وضع عدّة اعتبارات في ذلك، منها: أنواع القرائن، ومواطنها في المباحث البلاغية، والمتكلم الذي هو مصدر المعنى وله ترجع القصدية في المراد، والنظر للكلام المحتمل المعنى، ووظيفة القرينة في الكلام، وأيضا صفة القرينة من حيث الظهور والخفاء وغيرهما، كلّ هذه الاعتبارات تراعى في صياغة تعريف للقرينة البلاغية.

ولهذا يمكن - من خلال ما ذكرنا - أن نصوغ تعريفاً يكون أقرب لوصف القرينة من جانبها البلاغيّ، مفاده: أنّ القرينة البلاغية هي الأمر الظاهر أو الخفيّ الذي يرد مصاحباً لكلام المتكلم المحتمل المعنى في أي أسلوب بلاغيّ تُسج من خلاله الكلام، فيكون دليلاً على المعنى المراد، سواء كان بطريق اللفظ أم المعنى أم العقل أم الحال.

### 3 - أنواع القرينة

البلاغيون في مباحثهم البلاغية - وخاصةً المجاز منها - تعرّضوا لأقسام القرائن عند حديثهم عن نوع القرينة في أيّ كلام فصيح مدروس، فيذكرون نوعها مع إدراكهم لصعوبة حصر أنواع القرائن في أقسام تستغرق كلّ أجزاءها، كما هو الحال في حديثهم عن الأغراض البلاغية، فإنّهم يظهرونها ويستخرجونها عند الحديث عن أي فنّ بلاغيّ - وخاصةً ما خرج منها بخلاف الأصل - لكنهم مدركون أنّه ليس من السهل حصرها.

لهذا نجدهم قد قسموا القرائن إلى أنواع كثيرة، منها: القرينة اللفظية، والقرينة المعنوية، والقرينة الحالية، والقرينة العقلية، والقرينة العادية، والقرينة السياقية... وهناك من يقسمها إلى ظاهرة وخفية، وهناك من يجعلها قرينة لفظية وقرينة غير لفظية، بمعنى معنوية، ويجعل الباقي تحت هذين النوعين، وهذا التقسيم الأخير هو الذي سنعتمد عليه في موضوعنا هذا، كونه يجمع شتات القرائن في نوعين فقط.

يقول صاحب الإيضاح: "الكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلّا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة، لفظية أو معنوية"<sup>1</sup>.

1 - محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفّى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة، 33/1.

## أ - القرينة اللفظية:

يراد بالقرينة اللفظية هي اللفظ المذكور في الكلام الصّارف عن إرادة المعنى الذي وُضع له<sup>1</sup>. كما يكون في الكلام لفظ يصرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر، أو يدلّ على المراد منه بتقدير المحذوف،... وهذا النوع من القرائن هو الغالب عند البلاغيين، كونه ظاهراً وواضحاً في الدلالة على معنى الكلام، يقول الدسوقي: "القرائن اللفظية وهي الأغلب وقوعاً والأكثر وضوحاً"<sup>2</sup>.

ومثال القرينة اللفظية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>3</sup>. هنا نلاحظ ورود فرضية سؤال من الله تعالى لمن لم يؤمن به سبحانه، ومعه فرضية الإجابة المتوقعة - بل المحققة - من هؤلاء المشركين المقصودين بهذا السؤال، لكن الإجابة جاءت كما هو متوقع وفيها محذوف فما القرينة الدالة عليه حين نقدره؟

القاعدة تقول أنّ الحذف لا بدّ له من قرينة تدلّ عليه ليفهم المعنى كوقوع الكلام جواباً عن سؤال<sup>4</sup>، وهنا نلاحظ المسند محذوف، وهو لفظ "خلق" وتقديره "خلقهنّ الله"، والقرينة اللفظية الدالة على هذا المحذوف هي ذكر لفظ الخلق في سياق الكلام السابق لإجابتهم، بمعنى أنّ القرينة الدالة على حذف المسند: وقوع الكلام جواباً عن سؤال محقق يراد منه طلب الجواب عن الذي خلق، فقالوا الله ولم يعيدوا لفظ الخلق للدلالة اللفظية عليه في السؤال.

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>5</sup>. والمعنى نزله الله، فهذان الفعلان (نزل وخلق) قد حذفوا، اتكالا على القرينة اللفظية الدالة عليهما<sup>6</sup>. وقد جاء في آية أخرى ذكر المسند من غير التّعويل على القرينة، في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾<sup>7</sup>. ذكر هنا المسند مع حذفه في الآية التي ذكرناها سابقاً، لأنّ فهم السامع من اللفظ أقرب من فهمه من القرينة.

1 - ينظر عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَةَ الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 230/2.

2 - محمّد بن عرفة الدسوقيّ: حاشية الدسوقيّ على مختصر المعاني، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، 678/2.

3 - العنكبوت: 61.

4 - ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 108/2.

5 - الزخرف: 9.

6 - ينظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصريّة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 164/3.

7 - العنكبوت: 63.

ومن القرينة اللفظية التي تصرف الكلام عن ظاهره قول السلطان العبدِيّ ينصح ابنه عمرًا:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيدِ ... رَ كَرَّ العَدَاةِ وَمَرَّ العَشِيَّ

استعمل الشاعر لفظ "أشاب" و"أفنى" وكل واحد من اللفظين مفردة وضعت في موضوعها الأصلي الذي وُضِعت له، بمعنى يراد منهما الشيب والفناء الحقيقي، لكن لما كانا في التركيب أريد منه المجاز، بيان ذلك أنّ كل واحد من هذه الألفاظ المفردة فيما ذكرناه مستعمل في موضوعه الأصلي، لكن عندما جاء المجاز من جهة إسناد الإشابة والإفناء إلى كَرَّ العَدَاةِ، وإلى مَرَّ العَشِيَّ وهو غير مطابق لما عليه الحقيقة، فإنّ الإشابة، والإفناء، إنّما يحصلان بفعل الله تعالى لا بكرّ العَدَاةِ، ولا بمرّ العَشِيَّ<sup>1</sup>.

وهنا مراد قولنا - الذي ذكرناه سابقا - بأن يكون في الكلام لفظ يصرف معنى الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر، فكرّ العَدَاةِ، ومرّ العَشِيَّ من اللفظ الصّارف عن إرادة المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي، وشبيهه من القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾<sup>2</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنَتْ﴾<sup>3</sup>. فقد جاء فيهما المجاز من جهة الإسناد والإضافة لا غير. كما يمكن أن نصف هذا المجاز بالمجاز العقلي، فيكون حمل اللفظ على معناه الحقيقي يستحيل عقلا.

#### ب - القرينة غير اللفظية:

والتّوَع الثّانِي هو القرينة غير اللفظية أو تسمى بالمعنوية، كونها تُدرك من خلال المعنى، فهي أمر عقلي لا يدلّ عليه بلفظ من الكلام، ولكن تدركها الأذهان ولو لم يأت في العبارة ما يدلّ عليها<sup>4</sup>، ومع هذا تصرف المعنى عن إرادة الحقيقة، ولهذا من تعريفاتها أنّها: "أمر خارج من اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقي كدلالة الحال، أو استحالة المعنى"<sup>5</sup>. من أمثلتها قول الحطيئة:

ماذا نقول لأفراخِ بذي مَرخٍ ... حُمِرِ الحَوَاصِلِ لا ماءً ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ ... فاغفر، عليك سلامُ الله يا عُمَرُ

فالشاعر يقصد بناته الصغار في هذه الأبيات، ويصور حالهن وهنّ وحيدات من غير والدهنّ الذي يقوم بشأنهنّ، ولكن لم يذكر لفظ البنات للدلالة عليهم فاستعار لهم كلمة أفراخ على سبيل

1 - ينظر المرجع نفسه، 42/1.

2 - الزلزلة: 2.

3 - يونس: 24.

4 - ينظر حَبَنَكَةُ الميداني: البلاغة العربية، 295/2.

5 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، 118/1.

الاستعارة التصريحية الأصلية، فشبّهن بأفراخ الطير بجامع العجز والحاجة إلى الرعاية في كل منهما، وهي قرينة غير لفظية، منعت إرادة المعنى الحقيقي.

ومثالها أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾<sup>1</sup>. أي: لما كثر الماء، فقد شبّه كثرة الماء بطغيان الإنسان، والجامع بين الماء وطغيان الإنسان تجاوز الحد في كل. فاستعير الطغيان للكثرة، واشتق منه لفظ "طغى" بمعنى كثر حتى جاوز الحد، وذلك على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة استحالة صدور الطغيان من الماء، إذ هو من شأن الإنسان.

ولهذا فالقرينة غير اللفظية إما أن تكون آتية من دليل العقل، بأن يدلّ العقل على أنّ الفعل لا يصدر إلا من الفاعل. مثل قولنا: علمك رغبنا لحضور درسك، فالعلم ليس هو الفاعل على وجه الحقيقة، لكنّه كان المرغّب على ذلك، فمن الواضح استحالة صدور الفعل رغب من الفاعل المجازي وهو العلم، بل هو سبب له فقط، وهذا يدرك بالعقل.

ومثل قولك: محبتك جاءت بي إليك، فالمحبة ليست هي الفاعلة على وجه الحقيقة، لكنّها كانت الباعث النفسي، وهذا يدرك بالعقل<sup>2</sup>.

وإما أن تكون آتية من دليل العادة، مثل: بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط، فإنّ العادة هي التي تمنع صدور الفعل وهو البناء من الأمير وإن كان ذلك ممكناً من جهة العقل، إذ العقل يجوز أن يبني الأمير بنفسه؛ ولكن المعروف عادة أنّ الأمير أو الرئيس إنّما يأمر بالبناء ويُنسب إليه، لذا فالاستحالة هنا من جهة العادة والعرف لا من جهة العقل.

ومثل قولنا: طبخ صاحب الوليمة لضيوفه طعاماً شهياً لذيذاً، أي: أمر بطبخ الطعام هذا، واتخذ الوسائل لإعداده، وهذا يدرك بحسب العادة<sup>3</sup>.

وإما أن تكون آتية من دليل الحال، وهي ما يفهم من سياق الموقف أو الحال المحيطة بالكلام، مثل قولنا: كتب الوالد رسالة مؤثرة لولده المسافر، أي: أمر بأن تُكتب له، إذا كان هذا الرجل أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكانت حاله معروفة<sup>4</sup>.

أو تقول: انظر هذا البحر الذي يتكلم، والسّامع يرى أمامه رجلاً ولا يرى بحراً، فالبحر مستعار للرجل، وهذا من قبيل الاستعارة الأصلية وقرينتها دلالة الحال.

1 - الحاقّة: 11.

2 - ينظر حَبْنَكَة الميداني: البلاغة العربية، 304/2.

3 - ينظر المرجع نفسه، 304/2.

4 - ينظر المرجع نفسه، 304/2.

#### 4 - وظيفة القرينة

كما عَرَفْنَا أَنَّ القرينة تَدَلُّ عَلَى المعنى، وليس كُلُّ المعنى، بل في غالبها تَدَلُّ عَلَى المعنى المجازيِّ كَوْنِ المعنى الحقيقيِّ لا يَحْتَاجُ لقرينة فهو ظاهر الدلالة، ومن هنا تَوَدِّي القرينة وظيفة كبرى في الكلام، وعليها يرتكز البلاغيُّ في تحليل الكلام، ومن تلك الوظائف ما يلي:

أ - القرينة تعين على رفع اللبس والابهام على المعنى المراد، وهنا ينطبق كلام الجرجاني حين عَرَفَ القرينة بقوله: "أمر يشير إلى المطلوب"<sup>1</sup>. ففي بعض الكلام يكون التباسا فيصعب فهمه إلا بوجود القرينة، وقد ورد في الشعر قول بعضهم:

لَا يُفْرَعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا... وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

فإنَّ ظاهر المعنى من هذا البيت أنَّ بها أرنبا لا يفزع، وأتته كان هناك ضبٌّ ولكنَّه غير منجحر، وليس كذلك، بل المعنى أنَّه لم يكن هناك أرنب ولا ضبٌّ أصلا. أي لم يرد أنَّ بها أرنب لا تفزعها أهوالها، ولا ضبابا غير منجحرة، ولكنَّه نفي أن يكون بها حيوان.

فالقرينة هي نفي الشيء بنفي ملازمه؛ لأنَّ نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم<sup>2</sup>. وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال، وسبب ذلك أنَّ الفهم يكاد يأباه، ولا يقبله إلا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه، وما كان عاريا عن قرينة فإنَّه لا يفهم منه ما أراد قائله<sup>3</sup>.

ولهذا يحتاج المتكلم في موضع التصريح والإبانة أن يتحفَّظ من وقوع وجه من هذه الوجوه في لفظ أو عبارة، ومتى اضطرَّ للكلام في مجال غير متَّسع له فليجتهد في رفع الإبهام واللبس الواقع بالقرائن المخلصة للكلام من الغموض، فإنَّ ورود المعنى غامضا في كلام وصاحبه يقصد به الإبانة فهو ممَّا يوعر سبيله ويزيله عن الاعتدال والاستواء مع مناقضته للمقصد.

ب - القرينة تعين على تقدير المحذوف في الكلام، والحذف في اللغة باب كبير وواسع، يسعى له البلغاء والبيانويون لإيجاز الكلام واختزاله، وهو ما يجعل بعض أجزاء الجملة محذوفا لكنَّ القرائن تبقى ماضية في بيانه وتقديره.

يقول الزركشي في شروط الحذف: "أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف، إمَّا من لفظه أو من سياقه وإلا لم يتمكَّن من معرفته فيصير اللفظ مخلا بالفهم، ولئلا يصير الكلام لغزا فيهجَّن

1 - الجرجاني: التعريفات، ص: 174.

2 - فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م، 61/3.

3 - ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، عام النشر: 1420هـ، 61/2.

في الفصاحة، وهو معنى قولهم: لا بدّ أن يكون فيما أُبقي دليل على ما أُلقي. وتلك الدلالة مقاليّة وحاليّة<sup>1</sup>. أي لفظيّة وغير لفظيّة.

ويقول عصام الدين الحنفي: "أنّ الذّكر لعدم القرينة لتحصيل فصاحة الكلام، والاحتراز عن التّعقيد اللفظي؛ لأنّ الحذف بلا قرينة خلل في النّظم، يوجب كون اللفظ غير ظاهر الدلالة، ولأنّ مخالف القانون النّحويّ، لأنّ حذف المبتدأ عندهم لا يكون إلّا لقيام قرينة، فلا تعلق له بهذا العلم، بل يكون مرجعه علم النّحو"<sup>2</sup>.

مثال ذلك قولهم: «أهلك والليل» فيها محذوف تقديره: الحق أهلك وبادر الليل أن يحول بينك وبينهم. فالمقام يقتضي السّرعة الخاطفة؛ ولذا حسن حذف المسند والمسند إليه، والقرينة الدالة عليهما الحاليّة، وهي غير لفظيّة.

وكقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾<sup>3</sup>. أي احذروا ناقة الله<sup>4</sup>. وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾<sup>5</sup>. تقديره ولو ثبت أنّهم صبروا، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾<sup>6</sup>. التّقدير فيه: وإن استجارك أحد من المشركين، وغير ذلك من الأمثلة<sup>7</sup>.

ومنها حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾<sup>8</sup>. فحذف فاعل بلغت والغرض النّفس، وليس مضمرًا لأنّه لم يتقدّم له ظاهر يفسّره، وإنّما دلّت القرينة الحاليّة عليه، لأنّه في ذكر الموت، ولا يبلغ التّراقي عند الموت إلّا النّفس<sup>9</sup>.

ت - القرائن بنوعيتها؛ اللفظيّة منها والمعنويّة لها دور في بيان دلالات التّراكيب، فالتّراكيب قد تخرج على مقتضى الظّاهر، وقد تخرج بخلافه، كما أنّ العدول ظاهرة تركيبية تتغيّر فيها مواقع الكلمات، فربّما لا يفهم السّامع بعدها وظائفها، وجراء ذلك يحدث صعوبة في الفهم، فتكون الحاجة

---

1 - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله الزّركشي (المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، المحقّق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركائه، الطّبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م، 111/3.  
2 - إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقّقه وعلّق عليه: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 291/1.

3 - الشّمس: 13.

4 - ينظر العلويّ: الطّراز، 55/2.

5 - الحجرات: 5.

6 - التّوبة: 6.

7 - ينظر العلويّ: الطّراز، 55/2.

8 - القيامة: 26.

9 - ينظر العلويّ: الطّراز، 56/2.

إلى القرائن ماسّة لفهم التّركيب ودلالته، وفي هذا يقول الكوفي: "القرينة هي ما يُوضّح عن المراد لا بالوضع تُؤخّذ من لاحق الكلام الدّال على خصوص المقصود أو سابقه". وهنا يتكلم عن الدلالة التّركيبية<sup>1</sup>.

ويقول القزويني: "فالكلام الخالي من التّعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلّا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة، لفظية أو معنوية"<sup>2</sup>.

ففي الكلام تراكيب لا تُفهم إلّا بقرينة التّركيب مثله، مثال ذلك قول الشّاعر:

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ ... عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا  
وَلَكِنِّي مَوْلَى فُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَّ وَتَعْرَمَا

فإذا نظرنا إلى البيت الأول وجدناه يحتمل مدحا وذمّا: أي أنّهم كانوا يغنونه بعطائهم على أن يدين، أو أنّه كان يخاف الدّين حذر أن لا يقوموا عنه بوفائه، لكن البيت الثّاني حقّق أنّ الأوّل ذمّ وليس بمدح؛ فهذا المعنى لا يتحقّق فهمه إلّا بآخره<sup>3</sup>. فالبيت الثّاني هو قرينة لفهم البيت الأوّل بأنّه يراد منه الذمّ وليس المدح.

ث - القرينة من وظائفها التّمييز بين الوضع والاستعمال، والتّمييز بين الحقيقة والمجاز، يقول الغزالي: "وكلّ ما ليس له عبارة موضوعة في اللّغة فتتعيّن فيه القرائن"<sup>4</sup>. ويقول الكرمانيّ: "والقرينة؛ وهي: ما تدلّ على المراد وعلى امتناع إرادة معناها الحقيقيّ؛ إذ لا إفادة فيه؛ في المجاز دونهما؛ أي العلاقة والقرينة"<sup>5</sup>. بمعنى أنّ اللفظ بدون العلاقة والقرينة لا يفيد المعنى المجازي. ويوضّح السّكّاكّي هذا المعنى بقوله: "والوضع عبارة عن تعيين اللفظة بإزاء معنى بنفسها، وقولي بنفسها احتراز عن المجاز إذا عيّنته بإزاء ما أردته بقرينة؛ فإنّ ذلك التّعيين لا يسمّى وضعاً، وإذا عرفت أنّ دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع وأن الوضع تعيين الكلمة

1 - أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكوفي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ): الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، المحقّق: عدنان درويش - محمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة - بيروت، ص: 1168.

2 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 33/1.

3 - ينظر ابن الأثير: المثل السائر، 64/1.

4 - محمّد بن محمّد أبو حامد الغزالي الطّوسي (المتوفى: 505هـ): المستصفى، تحقيق: محمّد عبد السّلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، الطّبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، ص: 185.

5 - محمّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدّين الكرمانيّ (المتوفى: 786هـ): تحقيق الفوائد الغيائيّة، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عبيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة: الأولى، 1424هـ، 680/2.

بإزاء معنى بنفسها، وعندك علم أنّ دلالة معنى على معنى غير ممتعة عرفت صحّة أن تستعمل الكلمة مطلوباً بها نفسها تارة معناها الذي هي موضوعة له، ومطلوباً بها أخرى معنى معناها بمعونة قرينة، ومبنى كون الكلمة حقيقة ومجازاً على ذا<sup>1</sup>.

وبيان ذلك أنّ اللفظ إذا أُستعمل بمعناه الذي وضع له في اللّغة، كان حقيقة. وإذا أُستعمل في غير معناه الذي وُضِعَ له في اللّغة، لعلاقة مجازيّة أو قرينة، كان مجازاً، فلفظ "أسد" إذا أُستعمل للدلالة على الحيوان المفترس المعروف فهو حقيقة، بمعنى أنّه أُستعمل على ما وُضِعَ له، وإذا استعمل للدلالة به على الرّجل الشّجاع فهو مجاز. ولفظ "اليد" إذا أُستعمل في العضو المعروف من الجسد، فهو حقيقة. وإذا أُستعمل للدلالة به على الإنعام، أو على القوّة، أو على التّسبّب في أمرٍ ما، فهو مجاز. ولفظ "النّهر" إذا أُستعمل في الشّق من الأرض الذي يجري فيه الماء، فهو حقيقة. وإذا أُستعمل للدلالة به على الماء الجاري فيه، فهو مجاز<sup>2</sup>.

ج - القرائن تساعد في فهم النّصّ وتحليله، كون النّصّ اللّغويّ له أغراض بلاغيّة، من خلالها نفهم مقصد المتكلّم، فإذا فهمنا أو تمكّنا من معرفتها سهّل علينا تحليل النّصّ وبيان دلالاته القريبة والبعيدة، ومن الأشياء التي تعين على معرفة الأغراض هي القرائن، وفي هذا يقول الجرجاني: "لا يكون لإحدى العبارتين مزيّة على الأخرى، حتّى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما. فإن قلت: فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك، فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين. قيل لك: إن قولنا «المعنى» في مثل هذا، يراد به الغرض، والذي أراد المتكلّم أن يثبتته أو ينفيه"<sup>3</sup>.

وتكمن أهميّة الأغراض البلاغيّة كونها ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمعنى، فإذا كان النّحو يُركّب به المعنى؛ فإنّ البلاغة هي الأسلوب الذي يساق به المعنى في التّركيب، ولذا كانت البلاغة كلّها خادمة للمعنى، فعلم المعاني الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلّم إيصاله إلى ذهن السّامع، وعلم البيان الغرض منه الاحتراز عن التّعقيد المعنويّ، أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد، وعلم البديع الغرض منه تحسين الكلام ليتحسّن

1 - يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكي الخوارزمي الحنفيّ أبو يعقوب (المتوفّى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 357.

2 - ينظر حَبَنَكَةَ الميداني: البلاغة العربيّة، 218/2.

3 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 170.

المعنى، وبذلك هو تبع لهما - المعاني والبيان - إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.

وفي هذا الشأن يقول عبد حبّكة الميداني: "فعلى محلّ النصوص الأدبية البليغة أن يكون على بصيرة بمختلف الأغراض البلاغية، وحتى يكون شرحه الأدبي البلاغي للنصوص كاشفاً بدقّة أغراض البلغاء"<sup>1</sup>. ويقول في موطن آخر: "ولا يخفى على الأديب ذي الحسّ المرهف تصيّد الأغراض البلاغية والأدبية التي يرمي إليها البلغاء"<sup>2</sup>.

ولنضرب لذلك مثالا، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾<sup>3</sup>. ففي الآية عديد من الأساليب البلاغية، كالقطع، والمشاكلة، والوصل والفصل... وغيرها من الأساليب البلاغية، ولكن يعيننا الأخير من كلّ ذلك؛ وهو: أسلوب الوصل والفصل، حيث نبيّن من خلاله دور الغرض البلاغي في توجيهه وتحديد المعنى من هذا النّصّ القرآني.

بداية ما هو الوصل والفصل؟ الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة<sup>4</sup>. أي لغرض بلاغي.

ولذا فالغرض البلاغي من هذا الفصل الحاصل في الآية ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ \*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ هو قطع الوهم على ما قبلها من الجمل السابقة<sup>5</sup>، حتى لا يتوهم المتوهم الاشتراك في الحكم، بأنّ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ من قول المنافقين وليست من كلام الله تعالى، ولدفع هذا التوهم استوجب الفصل، حتى يفصل كلام الله عن كلام المنافقين، فيصير المعنى مغايرا لحال الوصل بالعطف، يعلّل السكّاكي ذلك بقوله: "لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع عن العطف لكان المعطوف عليه إمّا جملة قالوا وإمّا جملة إنا معكم إنّما نحن مستهزؤون؛ لكن لو عطف على إنّما نحن مستهزؤون لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم وليس هو بمراد"<sup>6</sup>.

1 - حبّكة الميداني: البلاغة العربية، 131/1.

2 - المرجع نفسه، 175/1.

3 - البقرة: 14، 15.

4 - ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 97/3.

5 - العلوي: الطراز، 171/3.

6 - السكّاكي: مفتاح العلوم، ص: 262.

كما أنّ من الأغراض البلاغية لهذا الفصل أنه ينفي التّوقيت الظرفي على استهزاء الله بهم، فلو كان فيه وصل لكان الاستهزاء حاصلًا وقت خلوّهم بشياطينهم، ومحمّلت الانتفاء عنهم في غير خلوّهم بهم، لذا كان لزامًا حدوث الفصل لينفي هذا التّوقيت الظرفي، ويكون استهزاء الله بهم مطلقًا دون أن يقيّد بفعلهم هم، وإنّما يكون على إطلاقه، جاء في كتاب المنهاج الواضح للبلاغة: "لم يعطف جملة: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على جملة "قالوا" الواقعة جوابًا للشّروط لما يلزم على هذا المعطف من فساد المعنى، ذلك أنّ جملة ﴿قالوا﴾ مقيّدة بالظرف الذي هو "إذا" والمعنى أنّهم إنّما يقولون ذلك وقت خلوّهم بشياطينهم فحسب، فلو عطف جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على جملة ﴿قالوا﴾ لزم تشريك الثّانية في حكم الأولى، وهو "التّقيّد بالظرف المذكور" فيكون المعنى حينئذ: إنّ الله يستهزئ بهم وقت خلوّهم بشياطينهم فقط كالذي قبله، وهو باطل إذ إنّ استهزاء الله بهم - بمعنى: مجازاته لهم بالخذلان - محمّلت لا يتقيّد بزمن"<sup>1</sup>.

ومما يقوي هذا الغرض البلاغي - أي نفي التّوقيت الظرفي على استهزاء الله بهم - هو ثبوت الحكم في حقّهم واستمراره وتجده معهم على كلّ أحوالهم بمجيء جملة الفصل مؤكّدة بالاسميّة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لتفديد الثّبوت والدوام والاستمرار، يقول السّكاكي: "فإنّ استهزاء الله بهم - وهو أن خذلهم فخلّاهم وما سوّلت لهم أنفسهم مستدرجا إيّاهم من حيث لا يشعرون - متصل في شأنهم لا ينقطع بكلّ حال خلّوا على شياطينهم أم لم يخلّوا إليهم"<sup>2</sup>.

وهذه الجملة الاسميّة المفصولة إمّا مستأنفة<sup>3</sup> كونها من كلام الله سبحانه وتعالى وليست من قول المنافقين، - لأنّ الجملة الاستثنائية لا تكون إلّا مقولة لقائل المستأنف عنها - وردت تعقيبًا على قولهم السّابق الذّكر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لتخبرنا على وقوع الاستهزاء عليهم من الله جزاء على عملهم الخسيس، وإمّا جاءت على سؤال مقدّر، اقتضى حذفه وذكر الجواب فقط؛ لأنّه هو المهمّ والأولى بالذّكر، فهو الغرض المقصود من هذا الفصل، يقول يحيى بن حمزة العلوي: "فالجملة الثّانية - أي جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ - إنّما جاءت مجرّدة عن الواو لما كانت على تقدير سؤال، كأنّه قيل: هم أحقاء بالاستهزاء لأجل دخولهم في العناد وإغرابهم في التّكذيب، فمن يستهزئ بهم؟ فقيل: الله يستهزئ بهم"<sup>4</sup>.

1 - حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، 122/2.

2 - السّكاكي: مفتاح العلوم، ص: 262.

3 - ينظر العلوي: الطّراز، 171/3. وينظر السّباكي: عروس الأفراح، 492/1.

4 - المرجع نفسه، 27/2.

وبهذا المثال نكتفي، فقد اتّضح دور الأغراض البلاغية في تحديد معاني الكلام، ونظرا لذلك نجد البلغاء اهتموا بها، وجعلوها من صميم حديثهم عن فنون ومباحث علوم البلاغة، فكانت من ضمن وحدات تأليفهم.

ح - القرائن تعطي إبداعية في الكلام، وتساهم في حسن التركيب البليغ، بحيث تعطي للمتكلم فسحة في التعبير عن مراده بطريقة إبداعية تعضدها القرينة في إيصال المعنى للمتلقّي بأحلى صورة، وهو ما عبّر عنه الجرجاني بقوله: "فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في هذا المجاز الحكمي، نظير أنك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة، وأنت تحتاج في الأمر الأكثر إلى أن تمهد لها وتقدم أو تؤخر ما يعلم به أنك مستعير ومشبه، ويفتح طريق المجاز إلى الكلمة. ألا ترى إلى قوله:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أروس الأقران حمس سحائب

عنى بخمس السحائب، أنامله، ولكنه لم يأت بهذه الاستعارة دفعة، ولم يرمها إليك بغتة، بل ذكر ما ينبئ عنها، ويستدل بها عليه، فذكر أنّ هناك صاعقة، وقال: «من نصله»، فبيّن أن تلك الصاعقة من نصل سيفه، ثم قال: «أروس الأقران»، ثم قال: «خمس»، فذكر «الخمس» التي هي عدد أنامل اليد، فبان من مجموع هذه الأمور غرضه<sup>1</sup>.

فالصاعقة الموت، وكلّ عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه أو نار تسقط من السماء، والانكفاء الانقلاب، والأروس جمع رأس، والأقران جمع قرن وهو الكفاء.

يقول أبو الفتح العباسي: "والشاهد فيه مجيء القرينة معاني ملتزمة مربوطة بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كلّ واحد، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التي هي في الجود وعموم العطاء، سحائب أي يصبها على أكفائه في الحرب فيهلكهم بها، وأراد بأروس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح لأنّ كلّاً من صيغة جمع القلّة والكثرة يستعار للآخر، فهنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أنّ هناك صاعقة، وبيّن أنّها من نصل سيفه، ثم قال على أروس الأقران، ثم قال خمس، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل، فظهر من جميع ذلك أنّه أراد بالسحائب الخمس الأنامل"<sup>2</sup>.

1 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 195.

2 - عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: 963هـ): معاهد التّصنيف على شواهد التّليخيص، المحقّق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، 132/2.

فكما نرى هذه الفسحة الإبداعية أتاحها استعمال القرائن الدالة التي أعطت للشاعر مجالاً رحباً، يسوق من خلالها أغراضه، ويوظف معانيه، فأسهمت بذلك في إنشاء هذا الكلام البديع، والنظم الحسن، والمعنى الرّاقى، والتركيب الجميل، والأسلوب البليغ، فالقارئ أهمّ ما يتوخّاه المتكلم في نظمه للارتقاء به في مدارج البلاغة واستعمالاتها، ويقدر استعمال القرائن وحسن توظيفها في التعبير تكون الفسحة في توصيل المعاني، وبيان ما يُلتبس من الكلام.

## 5 - مصادر ومراجع المحاضرة

- إبراهيم بن محمّد بن عريشاه عصام الدّين الحنفيّ (ت: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقّقه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزوينيّ الرّازيّ، أبو الحسين (المتوفّى: 395هـ): مقاييس اللّغة، المحقّق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، عام النّشر: 1399هـ - 1979م.
- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفّى: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة، المحقّق: عدنان درويش - محمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة - بيروت.
- بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله الرّكشيّ (المتوفّى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، المحقّق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركائه، الطّبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، دط.
- حمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدّين السّبكيّ (المتوفّى: 773هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المحقّق: الدّكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
- عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسيّ (المتوفّى: 963هـ): معاهد التّصنيف على شواهد التّلخيص، المحقّق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت.
- عبد العزيز عتيق (المتوفّى: 1396هـ): علم البيان، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: 1405هـ - 1982م.

- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، عام النشر: 1420هـ.
- فاضل صالح السامرائي: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانلي (المتوفى: 786هـ): تحقيق الفوائد الغيائية، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ.
- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
- محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.
- محمد بن عرفة الدسوقي: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.
- مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م.

- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقبّ بالمؤيّد بالله (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.

- يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م.

# المحاضرة الثامنة

## أسلوب القصر (الجزء الأول)

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - تعريف القصر لغة واصطلاحاً.
- 3 - أركان القصر.
- 4 - طرق القصر.
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

أسلوب القصر من ضمن مباحث علم المعاني، وهو من الأساليب الغنيّة بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات العديدة، فهو فنٌ دقيق المجري، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، عزيز الأسرار، ويرجع ثراء أساليب القصر وكثرة فوائدها إلى تنوع طرقها وما بين تلك الطرق من فروق دقيقة واعتبارات وملاحظات لطيفة.

وقد تكلم عنه البلاغيون منذ بدايات التّأليف تحت مسمّيات عدّة، كالاختصاص والتّخصيص والقصر والحصر... وهو يتعلّق بالإسناد ومتعلّقاته، وعند دراسة الجملة وجدوها إمّا أن يكون فيها قصر أو تكون بغير قصر، بمعنى أنّ الإسناد والتّعلّق، كلّ واحد منهما يكون إمّا بقصر أو بغير قصر، ولهذا فالقصر قد يتعلّق بالمبتدأ والخبر، وقد يتعلّق بالفعل والفاعل، وقد يتعلّق بالفاعل والمفعول،.. إلخ.

يقول السّكاكيّ: "اعلم أنّ القصر كما يجري بين المبتدأ والخبر فيقصر المبتدأ تارة على الخبر والخبر على المبتدأ أخرى، يجري بين الفعل والفاعل والمفعول، وبين الفاعل والمفعول، وبين المفعولين، وبين الحال وذو الحال، وبين كلّ طرفين، وأنت إذا أتقنته في موضع ملكت الحكم في الباقي وكيفيك مجرد التنبيه هناك وحاصل معنى القصر راجع على تخصيص الموصوف عند السّامع بوصف دون ثان"<sup>1</sup>.

1 - يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 288.

ونحن سنقسم موضوع القصر على قسمين، نتناول في هذه المحاضرة ثلاثة عناصر، هي: تعريف القصر لغة واصطلاحاً، وأركان القصر، وطرق القصر، ونترك الثلاثة الباقية؛ تقسيم القصر باعتبار حال المقصور، وتقسيم القصر باعتبار حال المخاطب، ومواقع القصر إلى المحاضرة الموالية، ونبدأ بالعنصر الأول المتعلق بتعريف القصر.

## 2 - تعريف القصر لغة واصطلاحاً

### أ - القصر في اللغة:

القصر في اللغة معناه قريب من معنى الحصر، ويأتي بمعاني منها الحبس<sup>1</sup>، ولذا يقال لغة: قصر نفسه على عبادة ربه، إذا حبسها على القيام بعبادة ربه. ومنه قول الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾<sup>2</sup> أي محبوسات في خيام. قال الفراء: قصرن على أزواجهن أي حبسن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم<sup>3</sup>.

ويأتي القصر في اللغة - أيضاً - بمعنى التخصيص، وهو ما يذهب إليه البلاغيون، يقال لغة: قصر الشيء على كذا، إذا خصصه به، ولم يجاوز به إلى غيره. ويقال: قصر غلة بستانه على عياله، إذا جعلها خاصة لهم، وقصر الشيء على نفسه، إذا خص نفسه به، فلم يجعل لغيره منه شيئاً<sup>4</sup>.

### ب - القصر في الاصطلاح:

وأما في الاصطلاح، فهو: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه<sup>5</sup>. وفي كتاب علوم البلاغة: "إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عما عداه"<sup>6</sup>. وفي كتاب البلاغة العربية: تخصيص شيء بشيء بعبارة كلامية تدلّ عليه<sup>7</sup>. والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، والمراد بالشيء الأول "المقصور" وبالشيء الثاني "المقصور عليه".

1 - علي بن محمد بن علي الزين الشّريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 175.

2 - الرّحمن: 72.

3 - محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاريّ (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطّبعة: الثالثة - 1414هـ، 5/99.

4 - عبد الرّحمن بن حسن حبّئكة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 1/523.

5 - الجرجانيّ: التّعريفات، ص: 175.

6 - أحمد بن مصطفى المراغيّ (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة، د.ت، د.ط، ص: 150.

7 - حبّئكة الميدانيّ: البلاغة العربيّة، 1/523.

ويقال في تعريفه أيضا: جعل شيء مقصورا على شيء آخر بواحد من طرق مخصوصة من طرق القول المفيد للقصر<sup>1</sup>. والطريق المخصوص هو أدوات القصر المعروفة عند البلاغيين، وبذلك يخرج كل ما أفاد القصر بغير تلك الطرق المخصوصة. مثاله قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>2</sup>. فالآية وإن أفادت اختصاص شيء بشيء إلا أنها لا تدخل في نطاق دراسة البلاغيين، وميدان بحثهم؛ لأنّ التخصيص فيها ليس وراءه اعتبارات بلاغية تستدعي إفراد البحث بها، كما أنه لم يتم بالطريق المعهود التي حدّوها من خلال الاستعمال العربي للقصر.

### 3 - أركان القصر

مما سبق في التعريفات نستنتج أنّ للقصر أربعة أركان<sup>3</sup>:

الرّكن الأوّل: المقصور، وهو الشّيء المخصّص. صفة كان أو موصوفا.

الرّكن الثّاني: المقصور عليه، وهو الشّيء المخصّص به. صفة كان أو موصوفا.

الرّكن الثّالث: المقصور عنه، وهو المنفيّ المستبعد بالقصر.

الرّكن الرّابع: القول المقصور به.

مثاله قولنا: "لا إله إلا الله" وهي من القصر الحقيقي بقصر صفة على موصوف:

\* المقصور: صفة الإلهية للمعبود بحق.

\* المقصور عليه قصرا حقيقيا: الله عزّ وجلّ الموصوف بأنّه الإله بحق.

\* المقصور عنه: كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ.

\* القول المقصور به: النّفي والاستثناء في العبارة: "لا.. إلا..".

- وأيضا في عبارة: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ وهي من القصر الإضافي بقصر موصوف

على صفة: \* المقصور: "محمد" الموصوف بأنّه رسول.

\* المقصور عليه قصرا إضافيا: صفة رسالته، المفهومة من "رسول".

\* المقصور عنه قصرا إضافيا: صفة تبرئه من أن يكون عرضة للموت، لتصحيح تصور

متوهّم ذلك فيه، ظانين ظنا توهّميا أنّه لا يموت.

\* القول المقصور به: النّفي والاستثناء في العبارة: "ما... إلا...".

1 - حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيّة، 523/1.

2 - البقرة: 105.

3 - حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيّة، 526/1.

#### 4 - طرق القصر

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطي في كتابه "الإتقان" إلى أربعة عشر طريقاً، منها التصريح بلفظ: وحده، أو: فقط. أو: لا غير، أو: ليس غير، أو: مادة الاختصاص، أو: مادة القصر، أو: توسط ضمير الفصل، أو: تعريف المسند إليه أو: تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً، وكلّ هذه ليست من الطرق الاصطلاحية، كونها خالية من اللطائف البلاغية، والسبب في أنّ البلاغيين لم يوجّهوا لها اهتماماتهم، أنّها طرق يتعدّد حصر عناصرها أو يعسر<sup>1</sup>.  
وأشهر طرق القصر التي تكلم عنها البلاغيون، ما يلي:

1 - يكون القصر بالنفي والاستثناء، والمقصور عليه «في النفي والاستثناء» هو المذكور بعد أداة الاستثناء - نحو: وما توفّيقى إلا بالله. فالله مقصور عليه، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>2</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾<sup>3</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>4</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾<sup>5</sup>. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾<sup>6</sup>. فهذا المثال الأخير، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾. النفي: لن، المقصور: يُصِيبَنَا أي: مُصِيب ما، أداة الاستثناء: إلا، المقصور عليه: ما كتب الله لنا "صفة"<sup>7</sup>.  
ومثل إلا في الاستثناء كلمة "غير" ونحوها. كما يكون النفي بغير (ما) كما هي في الأمثلة السابقة، ومثل النفي ما يدلّ على معناه، كالاستفهام.

2 - يكون القصر بـ"إنّما" و"أمّا"، والمقصور هو ما يلي الأداة، والمقصور عليه هو الذي يجيء بعده<sup>8</sup>. ويكون مؤخراً في الجملة وجوباً، نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>9</sup>. فقد قصر خشية الله على العلماء، فالمقصور هو الخشية، والمقصور عليه هم العلماء.

1 - ينظر حَبَنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 530/1. وأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وثوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 167.

2 - آل عمران: 145.

3 - الحجر: 21.

4 - القصص: 58.

5 - البقرة: 80.

6 - التوبة: 51.

7 - ينظر حَبَنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 531/1.

8 - المرجع نفسه، 531/1.

9 - فاطر: 28.

ونجد الأداتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>1</sup>.  
 ففي هذا النَّصِّ قَصْران: أحدهما بأداة "إنَّما" والآخر بأداة "أَنَّما" وهذان القصران مساويان  
 لقولنا: ما يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّهُ ما إِلَهُكُم إِلَهُ واحد. فالْمَقْصُورُ بالأداة الأولى "إنَّما" هو الموحى به،  
 وهو هنا "موصوف" والمقصورُ عَلَيْهِ مَضْمُونُ جُمْلَةٍ "أَنَّما إِلَهُكُم إِلَهُ واحدًا" أي: وحدانية إلهكم، وهو  
 هنا "صفة" أي: صفة الموحى به كونُ مضمونه هذه الحقيقة. والمقصور بالأداة الثانية "أَنَّما" هو  
 "إلهكم" وهو هنا "موصوف". والمقصورُ عليه هو كونه إلهًا واحدًا، وكونه إلهًا واحدًا صِفَةً.  
 فالمثالان من قصر مَوْصُوفٍ على صِفَةٍ<sup>2</sup>.

3 - يكون القصر (بالعطف بلا - ويل - ولكن) نحو: الأرض متحرّكة لا ثابتة، وكقول  
 الشاعر:  
 عُمُرُ الْفَتَى ذِكْرُهُ لَا طَوْلَ مُدَّتِهِ... وَمَوْتُهُ خَزِيه لَا يَوْمُهُ الدَّانِي  
 فقد قصر عمر الفتى وحياته على ما يخلفه من أثر طيب وذكر حسن، ونفاه عن طول مدته  
 وامتداد أجله في الدنيا، كما قصر الموت على ما يرضى به بعض الأحياء من خزي وهوان، ونفاه  
 عن اليوم الداني ومفارقة الحياة؛ ولعلك تشعر بما وراء القصر من حثّ على الأعمال الصالحة  
 التي تنفع الإنسان وتبقى بعد حياته، ومن تنفير من الذلّ والهوان والخزي، فلا يقبل مثل هذا  
 ويرضخ به إلّا فاقد الحياة.

فالمقصور عليه: مع (لا) العاطفة: هو المذكور قبلها والمقابل لما بعدها، نحو: الفخر بالعلم  
 لا بالمال<sup>3</sup>. وللتنبية فإنّ "لا" العاطفة يُعْطَفُ بها لإخراج المعطوف ممّا دخل فيه المعطوف عليه<sup>4</sup>.  
 (بلّ) العاطفة ومعناها الإضرابُ عن الأول، والإثبات للثاني، أو (لكن) العاطفة فهي  
 للاستدراك بعد النفي، والمقصور عليه معهما هو المذكور ما بعدهما، نحو: ما الفخر بالمال بل  
 بالعلم - ونحو: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى. وكقول الشاعر:

ما نال في دنياهُ وان بُغية... لكن أخو حزم يجدّ ويعمل

يقول: إنّ المهمل لا ينال أمانيهن إنّما الذي ينال ما يرجوه هو الحازم الذي يجدّ ويعمل،  
 فقصر نيل البغية على أخي الحزم، ونفاه عن المترخي والكسول، وطريق القصر هنا هو العطف  
 بـ«لكن».

1 - الأنبياء: 108.

2 - حَبَّكَّة الميّداني: البلاغة العربيّة، 532/1.

3 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 169.

4 - حَبَّكَّة الميّداني: البلاغة العربيّة، 533/1.

4 - يكون القصر بتقديم ما حقه التأخير، وتقديم ما حقه التأخير ضابطه أن المقدم فيه له رتبة معلومة في التركيب؛ كالخبر رتبته التأخير عن المبتدأ، والمفعول به رتبته التأخير عن الفعل والفاعل.. وهكذا.

ولهذا تقديم ما حقه التأخير يكون لأغراضٍ ودواعي بلاغية معنوية، أو جمالية لفظية، ولذا نبة البلاغيون على أن تقديم ما حقه التأخير في الجملة قد يفيد القصر في بعض صورته، فنقديم المعمول على عامله يرى جمهور البلاغيين على أنه يفيد القصر، سواءً أكان مفعولاً، أم ظرفاً، أم مجروراً بحرف جر<sup>1</sup>، والمقصود عليه في تقديم ما حقه التأخير هو المذكور المتقدم، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي: نخصك بالعبادة والاستعانة<sup>2</sup>.

فإيَّاكَ: الأولى مفعول به لفعل (نَعْبُدُ)، وإيَّاكَ: الثانية مفعول به لفعل (نَسْتَعِينُ)، والأصل في المفعول به أن يكون متأخراً عن عامله. قالوا: دلّ هذا التقديم على تخصيص الله عزّ وجلّ بالعبادة والاستعانة، فالمعنى: لا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، ولا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ. والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر حقيقي<sup>3</sup>.

وكقولنا: على الله توكلنا، فعلى الله مفعول به لفعل توكلنا، فأصلها توكلنا على الله.  
وكقول المنتبّي:

وَمَنْ الْبَلِيَّةَ عَدْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي ... عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

يقول: إنّ لوم من لا يرجع عن باطله، وإنّ التحدّث إلى من لا يعي عنك ولا يفهم: مقصور على صفة لا يفارقها، وهي كونه بلاءً ونكداً، والذي دلّ على هذا القصر تقديم الخبر على المبتدأ. فأصل الكلام: عدل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم من البلية.

#### ملاحظات حول أدوات القصر<sup>4</sup>

1 - يشترط في كلّ من «بل - ولكن» أن تُسبق بنفي، أو: نهي وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وألاً تقترن (لكن) بالواو.

2 - يشترط في «لا» أفراد معطوفها، وأن تُسبق بإثبات، وألاً يكون ما بعدها داخلاً في عموم ما قبلها.

1 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 537/1.

2 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 168.

3 - حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربية، 537/1.

4 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 169.

3 - يكون للقصر (بإثما) مزية على العطف، لأنها تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانياً أو عكسه.

4 - التقديم: يدلّ على القصر بطريق الدوق السليم، والفكر الصائب، بخلاف الثلاثة الباقية فتدلّ على القصر بالوضع اللغويّ (الأدوات). "فلا العاطفة" موضوعة للنفي بعد الإثبات، و"بل ولكن" موضوعتان للإثبات بعد النفي، وهذان المعنيان مفيدان للقصر، كذلك الحال في النفي والاستثناء، فإن حرف النفي موضوع للنفي، وحرف الاستثناء موضوع للإخراج من حكم النفي، وهذا المعنى مفيد للقصر، "وإنما" كذلك مفيدة للحصر وضعاً لتضمّنها معنى "النفي والاستثناء"

5 - الأصل أن يتأخّر المعمول عن عامله إلا لضرورة ومن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقه التأخير: يجد أنهم يريدون بذلك: التخصيص.

6 - تختلف الطرق الأربعة المشهورة مع بعضها من أوجه كثيرة.

منها - أن (لا) العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء: لأن شرط المنفي بها لا يكون منفيّاً صريحاً قبلها بغيرها، فلا تقول: ما عليّ إلا مجتهد لا متكاسل.

وتجتمع «لا» مع (إنما) أو (التقديم)، نحو: إنما أنا مصريّ لا سوريّ، ونحو المجتهد أكرمت لا المتكاسل، لأنّ النفي فيهما غير مصرح به.

ومنها - أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء: أن يكون مجهولاً منكراً للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف (إنما)؛ لأنّ النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من (إنما)، فينبغي أن يكون لشديد الإنكار، ونحو: قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ما هو إلا زيد: لمن اعتقد أنه غيره، ونحو: (إن أنتم إلا بشر مثلنا) لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذّبين امتناع الرسالة في البشر، ردّ المكذّبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغيّ، فيستعمل فيه النفي والاستثناء، نحو (وما محمد إلا رسول) فقد قصر الله محمّداً على صفة الرسالة ونفي عنه أن يظنّ في أمره الخلود، فلا يموت أو يقتل.

وهذا معلوم للصحابّة، لكن لاستعظامهم موته، لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلّم نزلوا منزلة من لا يعلمه، وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم، نحو: (إنما نحن مصلحون) لادّعائهم أنّ كونهم مصلحين أمر ظاهر، ولهذا ردّ عليهم بقوله (ألا إنهم هم المفسدون) مؤكّداً بما ترى بالجملة - فالاستثناء لفوته يكون لردّ شديد الإنكار حقيقة - أو ادعاء، و«إنما» لضعفها تكون لردّ الإنكار في الجملة، حقيقة أو ادعاء - ويكون للقصر (بإثما) مزية على العطف؛ لأنه يفهم منها

الحكمان، أي الاثبات للمذكور، والنفي عمّا عداه معاً، بخلاف العطف، لأنّه يفهم منه أولاً الاثبات ثمّ النفي، أو عكسه، نحو: إنّما خليل فاهم - خليل فاهم لا حافظ - وأحسن مواقعها التعريض، نحو: (إنّما يتذكّر أولوا الألباب) .

واعلم أنّ «غير» كإلّا: في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة، فلا يقال: ما على غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير على لا نصر.

#### 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة، دت، د.ط.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- علي بن محمّد بن علي الزّين الشّريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقّق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطّبعة: الثالثة - 1414هـ.
- يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م.

# المحاضرة التاسعة

## أسلوب القصر (الجزء الثاني)

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - تقسيم القصر باعتبار حال المقصور.
- 3 - تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب.
- 4 - مواقع القصر.
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

الحديث ما يزال متوصلا عن أسلوب القصر في البلاغة العربيّة، وقد تكلمنا في المحاضرة السابقة عن تعريف القصر لغة واصطلاحا، وتكلمنا كذلك عن أركانه وطرقه، أمّا في هذه المحاضرة فحديثنا يكون عن: تقسيم القصر باعتبار حال المقصور، وتقسيمه باعتبار حال المخاطب، ونختم بالحديث عن مواقع القصر.

### 2 - تقسيم القصر باعتبار حال المقصور

القصر ينقسم باعتبار الواقع والحقيقة إلى قسمين:

أ - القصر الحقيقي: إذا كان المقصور عنه جميع ما سوى المقصور عليه<sup>1</sup>. بمعنى هو ما اختص فيه المقصور عليه، بحيث لا يتجاوزته إلى غيره، أي ثبوته له، وانتفائه عن ذلك الغير حقيقة كان ذلك أو ادعاء<sup>2</sup>. ولهذا عرفه الجرجاني بقوله: «تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة، وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزته إلى غيره أصلا»<sup>3</sup>. ومثاله قولهم: "ما معبود بحق إلا الله" فإنّ العبادة بحق مختصة بالله تعالى لا تكون لأحد سواه.

1 - عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميّدانيّ الدّمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 545/1.

2 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دت، دط، 70/2.

3 - علي بن محمّد بن علي الزّين الشّريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقّق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص: 176.

فهذا النوع إذا كان مضمونه مطابقاً للواقع سمّوه "حقيقياً تحقّقياً" أي: صادقاً مطابقاً للواقع. أمّا إذا كان الأمر المراد قصره يتجاوز المقصور عليه في الواقع ولكن للمبالغة يراد قصره عليه فإنّه في هذه الحال يسمّى "قصراً حقيقياً ادعائياً"، كقولنا: لا خطيب إلا أنت، فهو إضافي؛ لأنّه يوجد غيرك من الخطباء، لكن أردنا المبالغة، وكأنّه لا يوجد خطيب إلا أنت. ولهذا فالقصر الادعائي ما كان القصر الحقيقيّ فيه مبنياً على الادعاء والمبالغة بتنزيل غير المذكور منزلة العدم وقصر الشّيء على المذكور وحده.

ب - القصر الإضافي: إذا كان المقصور عنه خاصاً منحصرًا في دائرة خاصّة يجري الكلام فيها، بحيث لا يدخل ما هو خارج الدائرة في حصر القصر، ويُسْتَدَلُّ عليها بالقرائن<sup>1</sup>. أي ما اختص فيه المقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين، بحيث لا يتعدّاه إلى ذلك الشّيء، ويصحّ أن يتعدّاه إلى شيء آخر<sup>2</sup>.

ولهذا عرّفه الجرجاني بقوله: «الإضافة الى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشّيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة»<sup>3</sup>.

كأن نقول مثلاً: "ما كاتب إلا محمّد" أي لا "عليّ" فالغرض تخصيص الكتابة "بمحمّد" وقصرها عليه، بحيث لا تتجاوزه إلى "عليّ" ويصحّ أن تكون لغير "عليّ"؛ لأنّ الغرض تخصيصها "بمحمّد" بالنسبة "لعليّ" فقط، وسمّي هذا القصر إضافياً لأنّ القصر فيه بالإضافة إلى شيء معين داخل تلك الدائرة.

وعليه يرى البلاغيون أنّ الاختصاص فيه نسبيّ، فإنّك تقصد قصر الكتابة على محمّد بالنسبة الى عليّ، وليس قصدك أنّه لا يعرف كاتب سواه، لأنّ الواقع يكذب هذا ويشهد ببطلانه. وكلّ من القصر الحقيقيّ والإضافيّ ينقسم باعتبار حال المقصور - أي باعتبار طرفيهما - إلى قسمين<sup>4</sup>:

أولاً - قصر موصوف على صفة، ويكون بتقديم الموصوف على الصّفة، وألّا يتجاوز الموصوف تلك الصّفة إلى صفة أخرى أصلاً في القصر الحقيقيّ، نحو: ما الله إلا كامل، وهذا النّقسيم متعدّر لا يكاد يوجد، أو هو محال لتعدّر الإحاطة بصفات الشّيء؛ لأنّنا إذا قلنا: ما محمّد

1 - ينظر حَبْنَكَةَ الميدانيّ: البلاغة العربيّة، 1/545.

2 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/70.

3 - الجرجانيّ: التّعريفات، ص: 176.

4 - أحمد بن مصطفى المراغيّ (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة، دت، دط، ص: 156.

إلا كاتب، وأردنا القصر الحقيقي لزم ألا يتّصف بالقيام والعود، مع أنه لا بدّ أن يتّصف بواحد منها ضرورة أنّ التقيّض لا يجتمعان، وأيضا يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس له غيرها، فلا يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها، ولذا لم يقع في التنزيل<sup>1</sup>.

أو بالأحرى يتجاوز الموصوف تلك الصّفة إلى صفة أخرى مخصوصة، وإن أمكن أن يتجاوزها إلى صفات أخرى غير تلك الصّفة الأخرى المخصوصة "في القصر الإضافي" نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾<sup>2</sup> فالمقصود قصره على الرّسالة بالأحرى يتعدّها إلى التّباعد عن الموت الذي استعظموه، وهذا لا ينافي أنّه متّصف بالصّحة واليقظة ونحوهما<sup>3</sup>.

ثانياً - قصر صفة على موصوف، ويكون بتقديمه الصّفة على الموصوف، وألا تتجاوز الصّفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر أصلا في القصر الحقيقي، نحو: لا يعلم الغيب إلا الله<sup>4</sup>، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>5</sup>. قصر الصّفة على الموصوف، وإذا تدبّرنا الصّفة فيه وجدنا أنّها لا تتعدّى موصوفها إلى موصوف آخر مطلقا. فالتذكّر صفة لا تتجاوز أولي الأبواب إلى غيرهم من سائر النّاس في الحقيقة والواقع، وطريق القصر هنا هو «إنّما»<sup>6</sup>.

ونحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>7</sup>. إذا تأملنا المثال وجدناه يشتمل على ثلاثة من أساليب القصر: الأول «وما توفّيقى إلا بالله» والثاني «عليه توكلت» والثالث «وإليه أُنِيب»، وأنّ القصر في كلّ منها هو قصر صفة على موصوف.

وإذا نظرنا إلى الصّفة في كلّ قصر رأينا أنّها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر البتّة. فالتوفيق صفة لا تتعدّى المولى عزّ وجلّ إلى سواه، وكذلك كلّ من التّوكل والإنابة صفة لا تتجاوز موصوفها وهو الله عزّ وجلّ إلى موصوف آخر مطلقا. وطرق القصر في هذا المثال هي: التّقي والاستثناء في الأسلوب الأوّل، وتقديم ما حقّه التّأخير «الجار والمجرور» في الأسلوبين الآخرين<sup>8</sup>.

1 - ينظر المراغي: علوم البلاغة، ص: 156. وحامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 71/2.

2 - آل عمران: 144.

3 - ينظر المراغي: علوم البلاغة، ص: 156.

4 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 156.

5 - الرّعد: 19.

6 - عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة:

الطّبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م، ص: 153.

7 - هود: 88.

8 - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 153.

أو بالأحرى تتجاوز الصّفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر مخصوص، وإنّ أمكن أن تتجاوزته إلى موصوف غير ذلك الموصوف الآخر في القصر الإضافي، نحو: لا محترم إلا الصّادق، فالمقصود قصر الاحترام على الصّادق دون الكاذب فلا يمنع هذا من احترام الأمين والمخلص ونحو ذلك<sup>1</sup>.

وبعد الذي ذكرناه نعيد فننبه على أنّ القصر الحقيقيّ يكون في قصر الصّفة على الموصوف، ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصّفة، أمّا القصر الإضافيّ فأنته يأتي في كلّ من قصر الصّفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصّفة<sup>2</sup>.

### 3 - تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب

ينقسم القصر الإضافيّ باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

أ - قصر إفراد: وهو تخصيص شيء بشيء، وفيه اعتقاد المخاطب الشّركة بين شيئين فأكثر، فنقطع بالقصر معنى الاشتراك، نحو: ما شوقي إلا شاعر، ردّا على من اعتقد أنّه شاعر وكاتب معاً<sup>3</sup>. وكقولك: زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعراً ومنجماً، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهّم على أحد الوصفين من غير ترجيح<sup>4</sup>.

وهذا شرط في قصر الموصوف على عدم تنافي الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما. نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>5</sup>، خوطب به من يعتقد أنّ الله ثالث ثلاثة، بدليل قوله قبلها<sup>6</sup>: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾<sup>7</sup>.

ب - قصر قلب: وهو تخصيص شيء مكان شيء إذا اعتقد المخاطب العكس وقلب عليه حكمه، نحو: ما سافر إلا عمر. ردّا على من اعتقد أنّ المسافر أحمد لا عمر، فيعكس عليه حكمه ويقلب له<sup>8</sup>. ونحو: ما شاعر إلا شوقي، ردّا على من زعم أنّ غيره أشعر منه<sup>9</sup>.

1 - ينظر المراغي: علوم البلاغة، ص: 156. وحامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 71/2.

2 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 154 - 155.

3 - محمد أحمد قاسم،: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان الطبعة: الأولى، 2003م، ص: 342.

4 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 288.

5 - النّساء: 171.

6 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 156.

7 - النّساء: 171.

8 - أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 342.

9 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 156.

أو كقولك لمن يعتقد منجماً لا شاعراً: ما زيد منجم بل شاعر، أو زيد شاعر لا منجم، بمعنى أن المتكلم يقلب فيه حكم السامع<sup>1</sup>.

ت - قصر تعيين: إذا كان المخاطب متردداً في الحكم، نحو قولنا: الأرض متحركة لا ثابتة. رداً على من شك وتردد في الحكم<sup>2</sup>، هل هي ثابتة أم متحركة؟ فلما تساوى عنده الأمران كان لزاماً لزاماً تعيين أحد الصفتين ونفي الأخرى؛ التحرك أو الثبات، ولذا فقصر التعيين لنفي تردد المخاطب عند التساوي بين الأمرين عنده.

### تنبيهان:

الأول - لا بد من النظر لحال المخاطب في مثل هذه التقسيمات للقصر، وذلك قد يكون القصر واحداً ولكن حال المخاطب هو الذي يحدد نوعه، مثاله قولنا: الكريم محمد لا عليّ. فإذا كان المخاطب يعتقد اشتراك محمد وعليّ في صفة الكرم كان القصر قصر إفراد. وإذا كان المخاطب يعتقد عكس ما تقول كان القصر قصر قلب. وإذا كان المخاطب متردداً لا يدري أيهما الكريم كان القصر قصر تعيين<sup>3</sup>. وإذا لم يكن المخاطب من هؤلاء جميعاً كان القصر إعلامياً ابتدائياً؛ لأنه صدر لخالي الذهن<sup>4</sup>.

الثاني - هذا تقسيم القصر الإضافي دون الحقيقي بنوعية؛ لأن العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات، ولا اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في هذا، وكيف يكون ذلك وفيها صفات متقابلة، فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي أفراداً أو قلباً أو تعييناً، وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف.

### 4 - مواقع القصر

في هذا العنصر الأخير من حديثنا عن القصر نتكلم فيه عن مواقع القصر<sup>5</sup>:  
القصر يكون بين المبتدأ والخبر، نحو: ما زيد إلا قائم، فهو حصر بين مبتدأ وخبر يندرج ضمن قصر الموصوف على الصفة، ونحو: ما قائم إلا زيد، في قصر الصفة على الموصوف. وأصل الجملة زيد مبتدأ وقائم خبر.

1 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 288.

2 - أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 342.

3 - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 158.

4 - ينظر حَبْنَكَةَ الميداني: البلاغة العربية، 1/545.

5 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 157. وحامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/82.

يكون أيضا بين الفعل والفاعل، نحو: ما جاء إلا عليّ، أصلها جاء عليّ، جاء فعل وعليّ فاعل. والقصر الواقع بينهما من قصر الصّفة على الموصوف؛ لأنّ الفعل من قبيل الأوصاف. وأمّا عكسه وهو قصر الفاعل على الفعل فإنّه غير ممكن، وذلك لأنّ المقصور يجب تأخيره، والفعل لا يؤخّر عن الفاعل. فإنّ خرج عن الفاعلية رجع الأمر إلى قصر المبتدأ على الخبر. أي من جملة فعلية إلى جملة اسمية.

وهكذا يكون القصر بين جميع المعمولات، كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل، ويكون أيضا بين الفاعل والمفعول به، نحو: وما نال عليّا إلا التّعّب، أصلها التّعّب فاعل وعليّا مفعول به، وهي من قصر المفعول على الفاعل، ونحو: وما نال التّعّب إلا عليّا، في قصر الفاعل على المفعول، ومن المعلوم أنّ المقصور عليه في الاستثناء هو ما بعد إلا.

وهكذا الحال مع المفعولين أيضا، نحو: ما أعطيت محمّدا إلا دينارا، في قصر المفعول الأول على المفعول الثاني، أو: ما أعطيت دينارا إلا محمّدا. في قصر المفعول الثاني على المفعول الأول.

والقصر الواقع بين هذه المعمولات من قبيل قصر الصّفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على الصّفة، وهكذا يكون القصر بين الفاعل والمفاعيل بأنواعها إلا المفعول معه. كما يكون القصر بين سائر المتعلّقات كالحال، والتّمييز والظّرف، والجار والمجرور، وغير ذلك؛ ففي الحال تقول: ما جاء محمد إلا راكبا. في قصر صاحب الحال عليه، أي ما مجيء محمّد إلا مصحوب بالركوب، وهو من قصر الموصوف على الصّفة. أو في قصر الحال على صاحبها: ما جاء راكباً إلا محمّد. أي ما صاحب المجيء مع الركوب إلا محمّد، فيكون من قصر الصّفة على الموصوف.

وفي التّمييز تقول: وما طاب نفساً إلا محمّد، أي: ما صاحب النّفس الطّيبة إلا محمّد. فيكون من قصر الصّفة على الموصوف، أو ما عصام إلا طابت نفسه، من قصر الموصوف على الصّفة. أي: ما عصام إلا صاحب النّفس الطّيبة.

وفي الظّرف تقول: ما جلست إلا بين يدي الشّيح. وفي المجرور تقول: ما مررت إلا بك. وتقول في البدل: ما ضربت فؤاداً إلا رأسه. وما أعجبنى علاء إلا وجهه. وهكذا يكون القصر في كلّ ذلك حقيقياً، وإضافياً قلباً، أو إفراداً، أو تعييناً.

فإذا كان القصر: بما وإلا، وجب تقديم المقصور وتأخير المقصور عليه، مع إلا ونحوها من أدوات الاستثناء، نحو: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾<sup>1</sup>، وهو قصر قلب لا أفراد؛ إذا المعنى: أنني لم أترك ما أمرتني أن أقوله لهم إلى خلافه، بدليل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>2</sup>، وليس المراد أنني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، إذ ليس الكلام في زيادة أو نقصان في التبليغ<sup>3</sup>.

ويجوز قليلاً تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء وهما بحالهما على المقصور، فالاختصاص في الذي يلي إلا، فالمقصود عليه هو الفاعل في الأول والمفعول في الثاني. نحو: ما كلم إلا محمداً خالداً، وما كلم إلا محمداً خالداً، وعليه قوله:

فيا رب هل إلا بك النصر يرتجى ... عليهم وهل إلا عليك المعول

ووجه إفادة النفي والاستثناء القصر في كل ما تقدم أن النفي في الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه، إذ إلا للإخراج، وهو يتطلب مخرجاً منه، وذلك المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الإخراج ففي، نحو: ما فهم إلا محمداً، يقدر ما فهم أحد، وفي نحو: ما كسوته إلا عباءة، ما كسوته لباساً، فإذا أخرج منه شيء جاء القصر ضرورة بقاء ما عدا ذلك الشيء على جهة الانتفاء. وإذا كان القصر بإنما آخر المقصور عليه، فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا، فيكون هو المقصور عليه، نحو: إنما محمداً قائم، وإنما أثبتته زجراً له. ولا يجوز تقديم المقصور عليه على غيره، لئلا يؤدي إلى الإلباس، إذ قولك: إنما كلم محمداً علياً يفهم عنه عكس قولك: إنما كلم محمداً علياً. وإلا إلباس في النفي والاستثناء<sup>4</sup>.

قال السكاكي: "ومن هذا يعثر على الفرق بين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>5</sup> وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله بتقديم المرفوع على المنصوب فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء، والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء على الله"<sup>6</sup>.

## 5 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة، د.ت، د.ط.

1 - المائدة: 117.

2 - المائدة: 116.

3 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 157.

4 - المرجع نفسه، ص: 157.

5 - فاطر: 28.

6 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 300.

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دت، دط.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجانيّ (المتوفى: 816هـ): التّعريفات، المحقق: ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- محمد أحمد قاسم،: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان الطبعة: الأولى، 2003م.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م.

## المحاضرة العاشرة

### الفصل والوصل (الجزء الأول)

#### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - تعريف الفصل والوصل.
- 3 - تركيز البلاغيين على الجمل والعطف بالواو.
- 4 - مواضع الفصل.
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.

#### 1 - توطئة

الفصل والوصل أحد مباحث علم المعاني الثمانيّة، وله محلّ عظيم منه كونه يسهم في تحديد المعنى من الكلام، فالجمل في اللّغة إمّا أن تكون مفصولة أو تكون موصولة، ولذا يحظى الموضوع بالرتبة العليا<sup>1</sup> في علم المعاني، بل وفي البلاغة كلّها؛ لأنّه لا يفارق الكلام مطلقاً. وتوظيف الفصل والوصل في الكلام لا يحسنه إلّا من كان له ملكة بيانيّة، وأوتي قدرة بلاغيّة كبيرة، فمثل هذا الأسلوب لا يجيئ إلّا لأسباب بلاغيّة يرمي إليها المتكلّم، فالمعاني في التّركيب منها ما يقتضيه الفصل ومنها ما يقتضيه الوصل، وكلّ منهما لا يكون إلّا لغرض بلاغيّ يقصده المتكلّم، ولهذا يعتبر من أهمّ أدوات النّصّ من حيث التّرابط والتّماسك، ومن حيث أداء الدّلالة. كما أنّ موضوع الفصل والوصل يعتمد اعتماداً كليّاً على العطف وعدمه، ولذا فهو يشترك من هذه النّاحية مع علم النّحو من حيث الاشتغال على التّركيب لسلامته الإعرابيّة، ولأداء وظيفته النّحويّة، ومع ذلك فإنّه من النّاحية البلاغيّة له لطائفه وأسراره التي تضي عليه فنيّة أدبيّة، وتصبغ عليه حيويّة وجمالاً.

وقد تنبّه لهذه اللّفتة الإمام العلويّ في كتابه الطّراز حين بيّن الغرض من الكلام عن هذا الموضوع رغم كونه يدرس في علم النّحو، فقال: "ولسنا نريد بتلك الأسرار واللّطائف ما يكون متعلّقاً بعلوم الإعراب من كون الأحرف العاطفة تلحق المعطوف في الإعراب، ولا أنّ الحروف

<sup>1</sup> - ينظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 169/3.

الجارّة تجرّ الاسم، وتعدّي الأفعال اللّازمة، بل نريد أمراً أخصّ من ذلك، وأغوص على تحصيل الأسرار الغريبة واللّطائف العجيبة في كتاب الله تعالى وفي غيره، وإن كان لا بدّ من التّصرفات الإعرابيّة والإحاطة بالمعاني النّحويّة، فهذان بحثان يحيطان بالبغية من ذلك بمعونة الله تعالى<sup>1</sup>. وبعد هذا التّنويه بشأن مبحث الفصل والوصل، نبدأ في الكلام عن عناصر الموضوع التي أشرنا إليها في بداية الكلام قبل التّوطئة.

## 2 - تعريف الفصل والوصل

البلاغيّون يقولون: "الفصل والوصل" أو يقولون: "الوصل والفصل"، كلّها يراد منها شيء واحد، وإن عمل فيها التّقديم والتّأخير من حيث الأهميّة، لكنّهم يرون أنّ الفصل هو الأصل، والوصل طار عليه عارض، حاصل بزيادة حرف من حروف العطف، لكنّ لما كان الوصل بمنزلة الملكة، والفصل بمنزلة عدمها، والأعدام إنّما تعرف بملكاتها<sup>2</sup>.

لذلك نرى البعض يبدأ بتعريف الفصل قبل الوصل، بل ويقدمه في التّرتيب، والبعض يبدأ بتعريف الوصل قبل الفصل، وكلّهما لا ضير فيها فالأمر واحد، لكن من قدّم الفصل فهذا على الأصل، ومن قدّم الوصل فهذا على موطن الابداع والملكة، وإن كان لكلّ منهما مكانته البلاغيّة وجماليّته الابداعيّة.

### أ - الفصل والوصل في اللّغة:

الفصل في اللّغة يراد به القطع، فصل الشّيء: قطعه، قسّمه إلى أجزاء، يقول ابن فارس: "فصل) الفاء والصّاد واللام كلمة صحيحة تدلّ على تمييز الشّيء من الشّيء وإبانتته عنه"<sup>3</sup>. وهنا يراد منه تمييز أو قطع الجمل من بعضها البعض بترك عطف بعضها على بعض. وأمّا الوصل في اللّغة فيراد به الضمّ والجمع، ومنه: وصل الشّيء بالشّيء: ضمّه به، وجمعه، عكسه فصله، يقول ابن فارس: "وصل) الواو والصّاد واللام: أصل واحد يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء حتّى يعلقه. ووصلته به وصلًا. والوصل: ضد الهجران"<sup>4</sup>. وهنا يراد منه ضمّ الجمل إلى بعضها البعض بعطفها على بعض.

<sup>1</sup> - العلويّ: الطّراز، 20/2.

<sup>2</sup> - ينظر محمّد بن عرفة الدّسوقيّ: حاشية الدّسوقيّ على مختصر المعاني، لسعد الدّين التّفّازاني (المتوفّى: 792هـ)، المحقّق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصريّة، بيروت، 448/2.

<sup>3</sup> - أحمد بن فارس بن زكرياء الفزويّ الرّازي، أبو الحسين (المتوفّى: 395هـ): مقاييس اللّغة، المحقّق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، عام التّشر: 1399هـ - 1979م، 505/4.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، 115/6.

## ب - الفصل والوصل في الاصطلاح:

يقول القزويني: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه"<sup>1</sup>. بمعنى أنّ الوصل في الاصطلاح هو الرّبط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، وأمّا الفصل عكسه، أي عدم الرّبط بين أجزاء الكلام بحرف عطف<sup>2</sup>.

وبالتّحديد فإنّ الوصل عند علماء المعاني يعني عطف جملة على أخرى «بالواو» فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى<sup>3</sup>. ومن هذا يُعلم أن الوصل جمع وربط بين جملتين (بالواو خاصّة) لصلة بينهما في الصّورة والمعنى، أو لدفع اللبس، والفصل ترك الرّبط بين الجملتين، إمّا لأنّهما متّحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدّتين، وأمّا لأنّه لا صلة بينهما في الصّورة أو في المعنى، وذكرنا "الجملة" وحرف "الواو" لأنّهم لا يرون الفصل والوصل إلّا في ذلك وبذلك، وسوف نبيّن ذلك في العنصر الموالي.

ولا ريب أنّ موضوع الفصل والوصل له مكانة في البلاغة العربيّة، وقد نوّه بأهمّيّته غير ما واحد من المتقدّمين، يقول عنه عبد القاهر الجرجانيّ في الدلائل: "واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنّهُ خفيّ غامض ودقيق صعب، إلّا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب. وقد قنع النّاس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: «إنّ الكلام قد استؤنّف وقطع عمّا قبله»، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك. ولقد غفلوا غفلة شديدة"<sup>4</sup>.

ويقول القزويني: "تمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر، صعب المسلك دقيق المآخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكنهه، إلّا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقًا صحيحًا، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه؛ لأنّ الأمر كذلك، إنّما حاول بذلك التّنبية على مزيد غموضه وأنّ أحدًا لا يكمل فيه إلّا كمل"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني الشّافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفّى: 739هـ):

الإيضاح في علوم البلاغة، المحقّق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطّبعة: الثالثة، 97/3.

<sup>2</sup> - ينظر عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 557/1.

<sup>3</sup> - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفّى: 1396هـ): علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م، ص: 160.

<sup>4</sup> - عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد أبو بكر الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ الدّار (المتوفّى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقّق:

د. عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 154.

<sup>5</sup> - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، 97/3.

### 3 - تركيز البلاغيين على الجمل والعطف بالواو

وقبل أن ندخل في الكلام عن "مواضع الفصل" لا بدّ وأن ننبه على أنّ البلاغيين ركّزوا في هذا الموضوع على الجمل في الفصل والوصل دون المفردات، وقد جرى الخطيب القزويني في جعل كلّ من الفصل والوصل خاصًا بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر في "دلائل الإعجاز" والعلويّ في "الطراز" وغيرهم.

فهكذا جرت عادة البلاغيين في حديثهم عن الفصل والوصل أن يتجاوزوا عطف المفردات بعضها على بعض، وكذا عطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب على التي لها محلّ من الإعراب، معلّين ذلك بأنّ عطف المفردات، وكذلك عطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب أمره هين ويسير؛ إذ لا يُقصد به سوى مجرد التشريك في الحكم الإعرابي، أمّا دقّة الفصل والوصل فإنّما تكمن في الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب.

كما ركّز البلاغيون على العطف بالواو دون غيره من حروف العطف الأخرى، حيث يرون أنّ بلاغة الوصل لا تتحقّق إلّا بالواو العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف؛ لأنّ الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقّة في الإدراك، إذ لا تفيد إلّا مجرد الرّبط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم.

معنى ذلك أنّ الواو عندهم من بين حروف العطف التي لا تفيد سوى مجرد الإشراك في الحكم ومطلق الجمع، أمّا غيرها من حروف العطف فتفيد مع التشريك في الحكم معاني أخرى؛ كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والالتزيم مع التراخي في ثمّ، وهكذا باقي أدوات العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعمالها، ولذا لم يشكّل العطف بتلك الأحرف، وعليه فإنّ البلغاء يبحثون عن الأسرار واللّطائف الكامنة وراء عطف الجمل التي لا محلّ لها من الأعراب بحرف الواو لتظهر لهم مع الاشتراك في الحكم باقي المعاني الدّقيقة والخفيّة غير الظاهرة كما هو الحال في باقي الحروف.

وهكذا فكلامهم من حيث الضبط والدقّة في عدم توارد المعاني واشتباكها في الوصل بحرف الواو وفي الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب - وهذا الذي ذكره - يكون صحيحا ومستساغا إلّا أنّ العطف بباقي الحروف الأخرى لا تُعدم من وجوه دقيقة وأسرار خفيّة - غير التي هي معروفة عليها - يجدها القارئ كامنة وراء العطف بغير الواو، كما أنّه لا تُعدم من وجوه أدقّ وأسرار أخفى تكمن وراء عطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وكذلك الأمر مع عطف المفردات لا يخلو هو الآخر من نكات وأسرار أخرى غير مجرد الضمّ والجمع.

#### 4 - مواضع الفصل

البلاغيون عند حديثهم عن الفصل والوصل حدّدوا مواضع كلّ واحد منهما، وقد أجمل الجرجاني في الدلائل مواضع الفصل بقوله: "وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها، فاعلم أنّا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصّفة مع الموصوف والتّأكيد مع المؤكّد، فلا يكون فيها العطف البتّة، لشبه العطف فيها، لو عطف، بعطف الشّيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلّا أنّه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه، فيكون حقّها العطف. وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إيّاه ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلّا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذّكر سواء في حاله، لعدم التّعلّق بينه وبينه رأسا. وحقّ هذا ترك العطف البتّة.

فترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين، فاعرفه<sup>1</sup>.

وجاء علماء البلاغة من بعده فاختصروا بحوثه وبوّهوا، وكان تحديدهم أدقّ ضبطا وقواعدهم أكثر تقييدا، وذهب بعض المتأخّرين من علماء المعاني إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التي ذكرناها، ولكنّ هذين الموضعين عند التأمّل يمكن ردهما إلى الموضع الثّالث، ونحن سنذكرها كلّها للبيان والتّفصيل.

#### أ - موضع كمال الاتصال:

وذلك بأن يكون بين الجملتين اتّحاد تامّ، فتكون الجملة الثّانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها، ويقال حينئذ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال<sup>2</sup>. وفي هذه الحال لا يصحّ التّعابير بينهما، وإنّما وجب الفصل في هذه الحالة؛ لأنّ العطف بالواو يقتضي المغايرة بين الجملتين، ولا مغايرة فيما بينهما كمال اتصال<sup>3</sup>.

ومن أمثلة هذا النوع قول المتنبي:

1 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 161.

2 - ينظر عبد العزيز عتيق علم المعاني، ص: 161.

3 - ينظر حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دت، دط، 116/2.

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قِصَائِدِي ... إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

فإذا تدبرنا جملي البيت وجدنا بينهما كذلك اتّحادا تامًا في المعنى، فالجملة الثانية وهي "إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا" لم تجيء في الواقع إلا لتوكيدا للجملة الأولى وهي "وما الدهر إلا من رواة قصائدي" لأن معنى الجملتين واحد.

ومنه قول الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾<sup>1</sup>. فجملة: "إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" توكيد لجملة: "مَا هَذَا بَشَرًا"، لأن إثبات كونه ملكًا توكيد لنفي كونه بشرًا.

ومن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولى قول الشاعر:

كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرَّةِ أَيَّامُ دَهْرِهِ ... تَرُوحُ لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَعْتَدِي

فإذا تدبرنا جملي البيت وجدنا بينهما اتّحادا تامًا في المعنى، فالجملة الثانية وهي "تروح له بالواعظات وتغتدي" لم تجيء في الواقع إلا لإيضاح إبهام جملة "كفى زاجرا للمرء أيام دهره" فهي بيان لها.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾<sup>2</sup>. فالجملة الثانية، وهي: "قَالَ يَا آدَمُ" بيان للجملة الأولى، وهي: "فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ".

ومن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى قول الشاعر:

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَّا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا... وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

فقوله: "لا تقيم عندنا" بدل اشتمال من قوله: "ارحل".

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>3</sup>. فالتأمل في الآية الكريمة يظهر أنّ بين جملة "أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ" وجملة "أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" كمال الاتصال، ذلك لأنّ الجملة الثانية بدل بعض من كلّ من الجملة الأولى، إذ الأنعام والبنون والجَنَّاتِ والعيون بعض ما يعلمون.

### ب - موضع كمال الانقطاع:

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تامّ، وذلك بأنّ تختلفا خبرا وإنشاء، أو بالأبصار تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ إن بين الجملتين كمال الانقطاع<sup>4</sup>.

1 - يوسف: 31.

2 - طه: 120.

3 - الشعراء: 132 - 134.

4 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 163.

أي أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى، ولا يكون بين الجملتين جامع أو مناسبة معنوية، بل تكون كلّ جملة مستقلة بنفسها، ولا صلة بينها وبين الأخرى؛ لأنّ العطف بالواو يقتضي المناسبة بين الجملتين، ولا مناسبة فيما بينهما، وعليه ففي مثل هاتين الحالتين يقال إن موجب الفصل بين الجملتين هو كمال الانقطاع.

فمن الأمثلة التي يجب فيها الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاءً قول الشاعر:

لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكَلْتَهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرًا

فبين الجملة الثانية والأولى في هذا البيت تمام التباين وغاية الابتعاد، لاختلافهما خبراً وإنشاءً، وذلك لأنّ الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومن أجل ذلك تعين الفصل بينهما. ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قول الشاعر:

لَسْتُ مُسْتَمْتِرًا لِقَبْرِكَ غَيْثًا ... كَيْفَ يَظْمَأُ وَقَدْ تَضَمَّنَ بَحْرًا؟

فالجملة الأولى هنا خبرية والثانية إنشائية، فبينهما تمام التباين ومنتهى الابتعاد، ولهذا تعين الفصل بينهما لاختلافهما خبراً وإنشاءً.

وفي هذا يجب مراعاة المعنى أكثر من اللفظ، حيث يشترط في اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً بأن تكون أحدهما خبراً لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، وتكون الأخرى إنشاءً لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، فالمدار في الاختلاف على المعنى، ذلك أنّ الجملة قد تكون خبراً في اللفظ وهي في المعنى إنشاءً، أو العكس، وهذا مجاله المجاز في اللفظ المركّب.

مثال اختلافهما معنى، وهما في اللفظ خبران، قولهم: "سافر محمّد، بلّغه الله مناه" فالأولى خبرية في اللفظ والمعنى، وأمّا الثانية فخبرية في اللفظ إنشائية في المعنى، على معنى: اللهم بلّغه مناه. فسيقت كما ترى خبرية في اللفظ ولكن في معناها للدعاء.

وكقولك: "مات فلان، رحمه الله"، فالجملة الأولى، وهي: "مات فلان" خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية وهي: "رحمه الله" خبرية لفظاً ولكنها إنشائية معنى، فالمراد منها الدعاء على معنى: اللهم ارحمه.

ومن الأمثلة التي يجب فيها الفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما قول الشاعر:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ ... كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ

فبين الجملة الثانية هنا والجملة الأولى تمام التباين ومنتهى الابتعاد، لأنّه لا مناسبة بينهما مطلقاً، إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: "وإنما المرء بأصغريه" وقوله: «كلّ امرئ رهن بما لديه».

ومنه قول القائل: "كفى بالشَّيب داء، صلاح الإنسان حفظ الوداد" فبين الجملتين كما ترى تباين تامّ، إذ لا مناسبة بينهما في المعنى. وهذا الحكم ينطبق على كلّ جملتين لا تكون بينهما مناسبة ما كقولك: "السَّماء ممطرة، محمّد يغدو إلى عمله مبكراً".

وإنما وجب ترك العطف في كمال الانقطاع لأنّ العطف يكون للجمع بين الشَّيئين والرّبط بينهما، ولا يكون ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التّباين وشدّة التّباعد، ولذلك يقال في هذا الموضوع من مواضع الفصل إنّ بين الجملتين كمال الانقطاع.

### ت - موضع شبه كمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملة الثّانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى فتنزل منزلته، وفي هذه الحالة يقال إنّ موجب الفصل بين الجملتين هو شبه كمال الاتصال؛ لأنّ شبه الشّيء يأخذ حكمه<sup>1</sup>.  
ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

يَقُولُونَ أَنِّي أَحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ ... أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظِيرِي

فبين جملة "أعوذ بربي أن يضام نظيري" وجملة "يقولون إنّي أحمل الضّيم عندهم" شبه كمال الاتصال، لأنّ الثّانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأنّ الشاعر بعد أن أتى بالشّطر الأولى من البيت أحسّ أن سائلاً يقول له: وهل ما يقولونه من أنّك تتحمّل الضّيم صحيح؟ فأجاب بالشّطر الثّاني.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة "قالوا لا تخف" عن جملة "وأوجس منهم خيفة" لأنّ بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثّانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأنّ سائلاً سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحسّ منهم خوفاً؟ فأجيب "قالوا لا تخف". ففصلت الثّانية عن الأولى، كما يفصل الجواب عن السّؤال.

ففي هذين المثالين نرى أنّ الجملة الثّانية في كليهما مفصولة من الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلّا قوة الرّابطة المعنويّة بين الجملتين، فإنّ الجواب شديد الارتباط بالسّؤال، فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال «كمال الاتصال» السابقة الذّكر. ومن أجل ذلك يقال إنّ بين الجملتين «شبه كمال الاتصال»<sup>2</sup>.

ويسمّى فصل الجملة الثّانية عن الجملة الأولى في مثل هذه الموضع: استئنافاً، والجملة الثّانية، تسمّى: مستأنفة، والاستئناف يكون في اللّغة على ثلاثة أضرب، لأنّ السّؤال الذي تضمّنته

1 - ينظر حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/116.

2 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 165.

الجملة الأولى إمّا عن: سبب الحكم فيها مطلقاً، أو عن سبب خاصّ له، أو عن غير هذين النوعين<sup>1</sup>. ومن أمثلتها عن السبب العامّ للحكم نحو قول الشاعر:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيٌّ ... سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

فالسؤال كان عن السبب، أي: ما سبب علتك؟ لأنّ العرف يقتضي أنّه إذا قيل: فلان مريض، أن يكون السؤال عن السبب العامّ لمرضه، لا أن يقال: هل سبب علته كذا؟ حتّى يكون السؤال عن السبب الخاصّ<sup>2</sup>.

وإمّا أن يكون عن السبب الخاصّ، نحو قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>3</sup>. كأنه قيل: هل النفس أماراة بالسوء؟ فقيل: إنّ النفس لأماراة بالسوء. فالسائل هنا قد نزل منزلة المتردّد في هذا السبب الخاصّ؛ لأنّ الكلام قد تقدّم فيه ما يشير إلى الخبر؛ لأنّ قوله - على لسان يوسف عليه السلام - : "وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي" يشير إلى أنّ النفس أماراة بالسوء، والدليل على تنزيل السائل منزلة المتردّد هو: تأكيد الخبر له، والخبر هنا طلبيّ في معنى الإنكاريّ، ولهذا أكّد بأكثر من مؤكّد واحد، فقد أكّد بأنّ، واللّام، واسميّة الجملة<sup>4</sup>.

وإمّا أن يكون السؤال عن غير السبب العامّ والسبب الخاصّ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾<sup>5</sup>. كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل: قال: سلام<sup>6</sup>.

### ث - موضع شبه كمال الانقطاع:

وهو أن يكون بين الجملتين شبه كمال انقطاع<sup>7</sup>. وذلك بأن تكون بين الجملة الأولى والثانية جملةً أخرى ثالثة متوسطة حائلة بينهما، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنّها معطوفة على المتوسطة، فيترك العطف كليّة دفعا لتوهم أن تكون الجملة المعطوفة معطوفة على التي لا يصحّ العطف عليها<sup>8</sup>. ويسمّى هذا الفصل «قطعا».

1 - ينظر أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيّادي الرّفاعي: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة: الأولى، 1980م، ص: 191.

2 - ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحيّ (المتوفّى: 1429هـ): البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطبعة: سنة 2006م، ص: 227.

3 - يوسف: 53.

4 - ينظر حسن الجناحيّ: البلاغة الصّافية، ص: 227.

5 - هود: 69.

6 - ينظر حسن الجناحيّ: البلاغة الصّافية، ص: 227.

7 - ينظر حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 116/2.

8 - ينظر حسن الجناحيّ: البلاغة الصّافية، ص: 230. وأحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 183.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ

فجملة: "أراها في الضلال تهيم" يصح عطفها على جملة: "وتظن سلمى" لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة: "أبغى بها بدلاً" فتكون جملة: "أراها" من مزنونات سلمى، وذلك غير مقصود، ولهذا امتنع العطف كلياً ووجب الفصل.

أو بمعنى آخر فإن جملة "وتظن سلمى" يناسبها أن تعطف عليها بالواو جملة "أراها في الضلال تهيم" أي: هي تظن بي شيئاً مخالفاً لواقع حالي، وأنا أرى جازماً أنها في هذا الظن تهيم في الضلال. لكنّه لو عطفها "بالواو" لأوهم أنّ هذه الجملة معطوفة على جملة "أنني أبغى بها بدلاً" أي: وتظن أيضاً أنني أراها في الضلال تهيم، وهذا خلاف مقصود الشاعر<sup>1</sup>.

### ج - موضع التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة قويّة ومتوسّطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصل<sup>2</sup>، كأن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية<sup>3</sup>، أي عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُا بِهِمْ﴾<sup>4</sup>. فجملة "اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُا بِهِمْ" لا يصحّ عطفها على جملة "قالوا إنّنا معكم..." لئلا يلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم بوقت خلوّهم إلى شياطينهم، والواقع أنّ استهزاء الله بهم غير مقيد بوقت من الأوقات. ولا يصحّ أن تعطف جملة "اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُا بِهِمْ" على جملة "إنّا معكم" لئلا يلزم أن تكون من مقول المنافقين مع أنّها من مقول الله تعالى<sup>5</sup>.

### 5 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

1 - ينظر حَبْنَكَةُ الميداني: البلاغة العربية، 580/1.

2 - ينظر حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، 116/2.

3 - ينظر حسن الجناجي: البلاغة الصافية، ص: 230.

4 - البقرة: 14، 15.

5 - ينظر أحمد مطلوب: أساليب بلاغية، ص: 194.

- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، الطبعة: الأولى، 1980م.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دت، دط.
- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطبعة: سنة 2006م.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ الدار (المتوفى: 471هـ): دلائل الإعجاز، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- محمد بن عرفة الدسوقيّ: حاشية الدسوقيّ على مختصر المعاني، لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: 792هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزوينيّ الشافعيّ، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

# المحاضرة الحادية عشرة

## الفصل والوصل (الجزء الثاني)

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - مواضع الوصل.
- 3 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

مبحث الفصل والوصل من أعظم أسرار البلاغة العربيّة، والعلم بمواطنه في الكلام من أهمّ ما يجب أن يحيط به البليغ علماً، فلا يكون الكلام بليغاً حتّى يكون صاحبه على علم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والإتيان بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

ولدقّة أمر الفصل والوصل وصعوبة إدراك مواطنه في الكلام فإنّه لا يتأتّى إلا للعرب الخالص؛ لأنّ اللّغة لغتهم وهم ينطقون بها عن سليقة، كما لا يتأتّى إلا لمن طبعوا على البلاغة وأوتوا حظاً من المعرفة في ذوق الكلام.

وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّه سئل عنها فجعلها في الفصل من الوصل، جاء في البيان والتبيين: "قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل"<sup>1</sup>. وذاك لغموض هذا الباب ودقّة مسلكه، ولأنّ من يكمل له إحراز الفضيحة فيه يكمل له إحراز سائر معاني البلاغة.

كما أنّه يسهم بشكل مباشر في بناء النّصّ، ويحافظ على تماسكه، ويوجّه دلالاته ويقصرها على ما يريده المتكلّم، فيمنح المعاني وضوحاً، ويصبغ على الجمل استقلاليّة، ويعطي الأفكار تسلسلاً وتمييزاً، مؤكداً على كلّ فكرة على حدة، ويعزّز من قوّة تأثيرها أو يبرز التّضاد بينها. فيساهم بذلك في تحقيق الاتّساق والاتّساج والتّماسك في النّصّ.

<sup>1</sup> - عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، اللّيثي، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفّى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النّشر: 1423هـ، 91/1.

ومن هذا الذي ذكرناه فإنَّ أهميَّة الوصل تكمن في خلق الترابط بين جمل النَّصِّ وأفكاره، وتجعلها متتالية بشكل مرتَّب ومتتابع وكلّ واحدة منها مفهومة المعنى عند المتلقّي، حيث تتبع الجمل بعضها البعض بشكل منطقيّ ومتّسق ومرتبَّب وغير متداخل، وهذا يعزّز الترابط والتّسلسل والانسجام المعنويّ داخل النَّصِّ، وبالتالي تكون العلاقة الدلاليّة بين الجمل واضحة، ممّا يساعد على فهم النَّصِّ كوحدة متكاملة.

وقد تكلمنا في المحاضرة السّابقة عن مواضع الفصل، وفي هذه المحاضرة نتكلّم عن مواضع الوصل، ولا ريب أن الفصل والوصل يتعاقبان في الكلام، ولكلّ واحد منهما مواضعه، والترابط بينهما هو المعنى الذي يقصده المتكلّم، فمتى رأى أنّ المعنى يؤدّي بالفصل فصل، ومتى رأى أنّ المعنى يؤدّي بالوصل وصل، إلّا فيما يجب فيه الفصل أو الوصل فحينها لا بدّ من ذلك حتّى لا يلتبس المعنى على المتلقّي.

## 2 - مواضع الوصل

من الأهميَّة بمكان معرفة مواضع الوصل في الكلام، فالبلغيّون كما ذكروا مواضع الفصل فإنّهم ذكروا كذلك مواضع وجوب الوصل، وحدّدوها في ثلاثة مواضع، هي:

### أ - موضع كمال الانقطاع مع الإيهام:

لقد ذكرنا في مواضع الفصل "موضع كمال الانقطاع" وقلنا أنّه يجب الفصل بين الجملتين في مثل هذه الحال، وهذا الموضع ذاته إن التبس المعنى بما يوهم المتلقّي بخلاف المقصود استوجب الأمر الوصل بدل الفصل، بمعنى أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، وذلك بأن تكون إحداهما خبريّة والأخرى إنشائيّة ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود، وحتّى يبلغ المقصود وجب الوصل، ومنه قول البلغاء: «لا، وأيدك الله»، ومثّل: «لا، ولطف الله»، ومثّل: «لا، وحفظك الله»، «لا، ورحمك الله»، «لا، وعافاك الله»، «لا، وسترك الله».

فهذه الجمل لو فصل بينهما لأوهم الفصل خلاف المقصود، فلو قلنا: «لا أيدك الله»، «لا لطف الله»، «لا حفظك الله»، «لا رحمك الله»، «لا عافاك الله»، «لا سترك الله»، تحوّلت الجمل من الدّعاء بالخير إلى الدّعاء بالشرّ، وهذا بخلاف المقصود. ولهذا إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود وجب الوصل.

وحتّى يتّضح الكلام فإنّه لو قال لك أحد: هل تحتاج أساعدك في قضاء حاجتك؟ فإنّك تجيبه بقولك: (لا، وبارك الله فيك)، فجملته (لا) في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبريّة، إذ التّقدير: (لا حاجة لي) وجملته: (بارك الله فيك) جملة إنشائيّة معنى خبريّة لفظاً، تقديرها أطلب البركة من الله

لك، فسيفت بغرض الدّعاء بالبركة، والعبرة بالمعنى كما ذكرنا في المحاضرة السّابقة، ولو فصلت بين الجملتين فقلت: (لا بارك الله فيك) لتوهّم السّامع أنّك تدعو عليه على حين أنّك تقصد الدّعاء له، ولهذا وجب الوصل وعُدل عن الفصل<sup>1</sup>.

ولو قلت لشخص هل تريد أداء فريضة الحجّ؟ فقال لك: "لا أريد ذلك" لفهمت من كلامه أنّه لا رغبة له في الحجّ، ولكن لو قال لك: "لا، وأريد ذلك" لفهمت أنّ له رغبة قويّة في أداء فريضة الحجّ، فكما نرى بأنّ الواو العاطفة هنا كان لها أثر في المعنى حين وصلت بين الجملتين، وأعطت صبغة جماليّة حين حوّلت المعنى إلى نقيضه.

ولهذا فمن طرائف القول في الذّوق اللّغويّ أنّ المبرّد قال: سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شيء، فقال: لا، وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين؛ فقال: الله درك! ما وُضعت واو قطّ وضعاّ أحسن منها في هذا الموضع؛ ووصله وحمله<sup>2</sup>.

وقد ذكر الجاحظ في البيان والتّبيين أنّ رجلا مرّ بأبي بكر رضي الله عنه ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثّوب؟ فقال الرّجل: لا عافاك الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علّمتم لو كنتم تعلمون. قل: لا، وعافاك الله<sup>3</sup>.

### ب - موضع اتّفاق الجملتين خبرا وإنشاء لفظا ومعنى

معنى ذلك أنّه إذا اتّفقت الجملتان خبرا لفظا ومعنى أو إنشاء لفظا ومعنى، وكانت بينهما مناسبة تامّة في المعنى، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، فإنّه في مثل هذا الموضع يجب الوصل.

فمثال الجملتين الخبريّتين المتّفقتين لفظا ومعنى<sup>4</sup>، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾<sup>5</sup>. الجملة الأولى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ فهي خبريّة، والجملة الثّانية: ﴿إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ فهي خبريّة أيضا، فكما نرى بأنّ الجملتين خبريّتين ومتّفقتين لفظا ومعنى، مع التّناسب في الاسميّة، ولا يوجد سبب للفصل بينهما، لذا وجب الوصل.

1 - ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجنائي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتّراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م، ص: 231.

2 - جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي (المتوفى: 597هـ): أخبار الطّرف والمتماجنين، المحقّق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1997م، ص: 74.

3 - الجاحظ: البيان والتّبيين، 219/1.

4 - ينظر حسن الجنائي: البلاغة الصّافية، ص: 231.

5 - الانظار: 13، 14.

ومثله قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ جملتان موصولتان، وهما خبريتان لفظاً ومعنى، مع التناصب في الفعلية.

ومثال الجملتين الإنشائيتين المتفقتين لفظاً ومعنى<sup>1</sup> قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾<sup>2</sup>. ﴿فَادْعُ﴾ جملة إنشائية، ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ جملة إنشائية، فكما نرى بأنّ الجملتين إنشائيتين ومتفقتين لفظاً ومعنى، مع التناصب في الفعلية، ولا يوجد سبب للفصل بينهما، لذا وجب الوصل. ومثال المتفقتين خبراً معنى فقط، قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾<sup>3</sup>. أي: إني أشهد الله، وأشهدكم، فتكون الجملة الأولى، وهي: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية: ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ خبرية معنى، إنشائية لفظاً<sup>4</sup>. ولا يوجد سبب للفصل بينهما، فوجب الوصل.

ومثال المتفقتين إنشاء معنى فقط، قولك: "اذهب إلى فلان وتقول له كذا" أي: اذهب إلى فلان وقل له كذا، فالجملة الأولى وهي: "اذهب" إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية، وهي: "تقول" خبرية لفظاً، إنشائية معنى<sup>5</sup>.

والمراد بالتناصب بين الجملتين: أن يكون بينهما رابطة تجمع بينهما، كالموافقة في نحو: "يقراً، ويكتب" وكالتضاد في نحو: "يضحك، ويبكي"<sup>6</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿أَضْحَاكَ وَأَبْكَى﴾<sup>7</sup>، ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾<sup>8</sup>. ﴿أَغْنَى وَأَفْنَى﴾<sup>9</sup>. وإنما كان التضاد في حكم الموافقة؛ لأنّ الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر، كالعلم فإنه يخطر على البال عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والتناصب بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعاً، فلا يقال: "عصام قادم، والبعير ذاهب" لعدم التناصب بين المسند إليهما: "عصام" و"البعير كما لا يقال: "وائل عالم وعصام قصير" لعدم التناصب بين المسندين "عالم" و"قصير".

1 - ينظر حسن الجناحي: البلاغة الصافية، ص: 231.

2 - الشورى: 15.

3 - هود: 54.

4 - ينظر حسن الجناحي: البلاغة الصافية، ص: 231.

5 - ينظر المرجع نفسه، ص: 231.

6 - ينظر المرجع نفسه، ص: 231.

7 - النجم: 43.

8 - النجم: 44.

9 - النجم: 48.

## ت - موضع اشراك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي للأولى

وتفصيل ذلك أنّه إذا أتت جملة بعد جملة، وكان للأولى محملاً من الإعراب، وقصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم؛ فإنّه يتعيّن في هذه الحالة عطف الثانية على الأولى بالواو، تماماً كما يعطف مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في حكم إعرابي واحد<sup>1</sup>.

مثال ذلك قول الشاعر:

أَنْتَ أَيَقْظُتِّي وَأَطْلَعْتَ عَيْنِي ... عَلَى عَالَمٍ مِنَ السَّرِّ أَخْفَى

تأمل الجملتين «أيقظتني» و«أطلعت عيني على عالم من السرّ أخفى» تجد أنّ للجملة الأولى موضعاً من الإعراب؛ لأنّها خبر للمبتدأ قبلها، وأنّ الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبراً ثانياً للمبتدأ، ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف<sup>2</sup>.

وقول أبي فراس الحمداني:

وَمَا زِلْتُ مُذْ كُنْتُ تَأْتِي الْجَمِيلَ ... وَتَحْمِي الْحَرِيمَ وَتَرَعَى النَّسَبَ

فإذا تأملت الجملتين «تولي الجميل» و«تحمي الحريم» وجدت أنّ للأولى موضعاً من الإعراب، لأنّها خبر للفعل النّاسخ «ما زال» وأنّ الشاعر أراد هنا أيضاً إشراك الثانية وهي «تحمي الحريم» للأولى في حكمها الإعرابي، أي أراد أن تكون خبراً ثانياً للفعل «ما زال»، ومن أجل ذلك تعين وصل الجملة الثانية بالأولى بواو العطف<sup>3</sup>.

وقول المتنبي:

وَلِلسَّرِّ مَنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ

إذا تدبرنا الجملتين «لا يناله نديم» و«لا يفضي إليه شراب» وجدنا أنّ للأولى موضعاً من الإعراب؛ لأنّها صفة للنكرة قبلها وهي كلمة «موضع»، وأنّ الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، ولهذا وصلها بها أو عطفها عليها بالواو<sup>4</sup>.

وقول أبي فراس الحمداني:

وَأَبْطَأَ عَنِّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَةً ... وَلِلْمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطْلَّ وَنَابُ

1 - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،

الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م، ص: 167.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص: 168.

3 - ينظر المرجع نفسه، ص: 168.

4 - ينظر المرجع نفسه، ص: 168.

وإذا تدبّرنا الجملتين «والمنايا سريعة» و«للموت ظفر قد أطل وناب» وجدنا أنّ للأولى منهما موضعاً من الإعراب؛ لأنّها تقع في موضع حال من فاعل «أبطأ»، وأنّ الشّاعر أراد إشراك الجملة الثّانية لها في هذا الحكم الإعرابي، ولهذا وصلها بها بحرف العطف الواو. وكذلك يجب الوصل بين كلّ جملتين على هذا النّحو، أي بين كلّ جملتين قصد إشراكهما في حكم إعرابي واحد<sup>1</sup>.  
وقول أبي العلاء المعري:

وَحُبُّ الْعَيْشِ أَعْبَدَ كُلِّ حَرٍّ ... وَعَلَّمَ سَاغِباً أَكَلَ الْمُرَارِ

فالجملّة الأولى «أعبد كلّ حرّ» في محلّ رفع خبر للمبتدأ «حبّ»، وأراد الشّاعر إشراك الثّانية لها في الحكم الإعرابي، «وعلمّ ساغبا أكل المرار» فعطفها عليها بالواو. والجملتان خبريتان فعليتان فعلهما ماض<sup>2</sup>.

وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين، فيستحسن أن تتفق الجملتان في الاسميّة والفعليّة، والفعليتان في الماضيّة والمضارعيّة، أي أن تعطف الاسميّة على مثلها، وكلّ من الماضيّة والمضارعيّة على مثلها<sup>3</sup>. مثاله قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾<sup>4</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾<sup>5</sup>.

ولذلك عيب على أبي تمام قوله وهو يمدح الحسين بن الهيثم:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى ... صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين بن الهيثم ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر.

### 3 - مصادر ومراجع المحاضرة

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطّبعة: سنة 2006م.

1 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 168.

2 - ينظر محمّد أحمد قاسم، محيي الدّين ديب: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م، ص: 349.

3 - ينظر عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 168. وأحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 349.

4 - سبأ: 2.

5 - البقرة: 245.

- جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي (المتوفّى: 597هـ): أخبار الظّراف والتمتاجنين، المحقّق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1997م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفّى: 1396هـ): علم المعاني، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء، اللّيثي، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (المتوفّى: 255هـ): البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النّشر: 1423هـ.
- محمّد أحمد قاسم، محيي الدّين ديب: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م.

# المحاضرة الثانية عشرة

## بلاغة التشبيه في البلاغة العربيّة

### عناصر المحاضرة

- 1 - توطئة.
- 2 - المعنى البلاغيّ في التشبيه.
- 3 - التشبيه والتّمثيل.
- 4 - التشبيه والتّخييل.
- 5 - التشبيه المقلوب.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

في هذه المحاضرة نتكلم عن أهمّ موضوع من موضوعات علم البيان، وهو من موضوعات المجاز إن لم يكن هو أهمّها وأصلها، ألا وهو مبحث التشبيه الذي يعتمد فيه المتكلم على تصوير المعنى بطرق متنوّعة، تقرّب المعنى للمتلقّي بصورة مشابهة تماثل المعنى الذي يريد المتكلم تبليغه للمتلقّي، وقد جنح العرب في لغتهم إلى هذا النوع من الأساليب لتقريب الأشياء بتمثيل بعضها ببعض وذلك لأغراض بلاغيّة مقصودة، وهذا ما دفع بالبلاغيّين لاستقراء كلام العرب في هذا الأمر، والبحث فيه وتحليله، والخروج منه بقواعد وتقنيات تجعل الموضوع منضبطا متكاملا وفق سنن العرب في كلامها ليكون ذلك معلما هاديا لاقتفاء أثره في الكلام.

ونحن في هذه المحاضرة لا نتكلم عن كلّ التشبيه فهذا لا تكفيه محاضرة واحدة، بل يتطلّب مبحثا كاملا أو كتابا خاصا، ولكن نريد الحديث عن بعض عناصر الموضوع لبيان ماهيّته وأهمّيته، ومن تلك العناصر: المعنى البلاغيّ في التشبيه، وبعدها نتحدّث عن علاقة التشبيه بالتّمثيل، وعلاقته بالتّخييل، ثمّ نتحدّث عن التشبيه المقلوب.

### 2 - المعنى البلاغيّ في التشبيه

التشبيه فنّ جميل من فنون القول، وهو يدلّ على دقّة ملاحظة الأشباه والنظائر في الأشياء، سواء أكانت مادّيّات تدرك بالحواس الظاهرة، أو معنويّات، حتّى الفكريّات المحض، إذ ينتزع منها لمّاحو عناصر التّشابه بين الأشياء التي تدخل في حدود ما يعلم ولو لم يكن له وجود خارج الأذهان، فيجدون بينها أجزاء يشبه بعضها بعضا، على سبيل التّطابق أو التّقارب، فيعبّرون عمّا

لاحظوه من تشابه يشبه بعضها بعضا، على سبيل التّطابق أو التّقارب، فيعبّرون عمّا لاحظوه من تشابه بعبارات التّشبيه، ويحسن في ذوقهم الأدبيّ أنّ يشبهوا ذا الصّفة الخفيّة بذوي الصّفة الجليّة، نظرا إلى وجود جنس هذه الصّفة أو نوعها فيهما، وأن يشبهوا ذا الصّفة الجليّة بذوي الصّفة الأجلّى، وأن يشبهوا ذا الصّفة الأقلّ أو الأضعف أو الأدنى، بذوي الصّفة الأكثر، أو الأقوى، أو الأعلى، نظرا إلى التّشابه في عين هذه الصّفة أو نوعها أو جنسها فيهما<sup>1</sup>.

ويقصد المتكلّم بالتّشبيه تحقيق غرض بيانيّ فكريّ أو جماليّ، أو فكريّ وجماليّ معا. ونزوع الأنفس إلى التّشبيه هو إحدى فطرها التي فطرها الله عليها، مع قصور التّعبيرات ذوات الدّلالات المباشرات عن أداء المعاني المرادة أحيانا كثيرة. لهذا نجد التّشبيه موجودا لدى كلّ الأمم والشّعوب، وفي كلّ لغات النّاس فصيحها وعاميّها. وسوف نعرف كلّ ذلك في العناصر التّالية:

#### أ - التّشبيه في اللّغة

التّشبيه اسم مفرد، مصدر شَبَّهَ<sup>2</sup>. بتضعيف الباء، يقال: شبّهت هذا بهذا تشبيها، أي مثّلته به. أي أقمته مقامه لما بينهما من الصّفة المشتركة<sup>3</sup>. وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، ولهذا فالتّشبيه في اللّغة هو التّمثيل.

#### ب - التّشبيه في الاصطلاح

التّشبيه ركن من أركان البلاغة، وهو من أشرف أنواعها وأعلاها. قال عنه أبو العباس المبرّد في الكامل: "لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يبعد"<sup>4</sup>. وللبلاغيّين في تعريفه عبارات مختلفة، فقد عرّفه جماعة ومنهم السّكاكيّ، بأنّه: "الدّلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى"<sup>5</sup>.

1 - ينظر عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميدانيّ الدّمشقيّ (المتوفّى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 165/2.

2 - أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفّى: 1424هـ): معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، الطّبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، 1162/2.

3 - محمّد أحمد قاسم، ومحيي الدّين ديب: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م، ص: 213.

4 - عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السيوطيّ (المتوفّى: 911هـ): الإتيان في علوم القرآن، المحقّق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة: 1394هـ/ 1974م، 142/3.

5 - عبد المتعال الصّعيديّ (المتوفّى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م، 384/3.

ويكون الاشرار بإحدى أدوات التشبيه لفظاً أو تقديراً<sup>1</sup>. وأبو هلال العسكري عرفه بقوله: "التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب"<sup>2</sup>. وعرفه ابن رشيقي بقوله: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته"<sup>3</sup>. لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه. ألا ترى أن قولهم «خذ كالورد» إنّما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفة وسطه وخضرة كوائمه، وكذلك قولهم " فلان كالبحر، أو كالليث " إنّما يريدون كالبحر سماحة وعلماً، وكالليث شجاعة وقرماً، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهوقته<sup>4</sup>.

وقال ابن أبي الأصبع: "هو إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف"<sup>5</sup>.

### ت - أركان التشبيه

ومن هذه التعريفات يتبين لنا أنّ التشبيه له أركان، هي: مشبّه، ومشبّه به، وأداة تشبيه، ووجه شبه يكون في المشبّه به أقوى منه في المشبّه<sup>6</sup>.

الركن الأوّل: المشبّه. وهو أحد طرفي التشبيه، ويقصد به الأمر الذي يُراد الحاقه بغيره، وهو الركن الرئيس في التشبيه، تخدمه الأركان الأخرى، ويغلب ظهوره، لكنّه قد يضمّر للعلم به على أن يكون مقدّراً في الإعراب، وهذا التقدير بمنزلة وجوده.

الركن الثاني: المشبّه به. وهو الطرف الثاني من أطراف التشبيه، ويقصد به الأمر الذي يلحق به المشبّه، وتوضّح به صورة المشبّه، ولا بدّ من ظهوره في التشبيه. كونه يشترك مع المشبّه في صفة أو أكثر إلّا أنّها تكون بارزة فيه أكثر من بروزها في المشبّه.

1 - ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطبعة: سنة 2006م، ص: 285.

2 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال (المتوفى: نحو 395هـ) الصناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام النشر: 1419هـ، ص: 239.

3 - الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي أبو علي (المتوفى: 463هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م، 1/286.

4 - المرجع نفسه، 1/286.

5 - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، دت، دط، ص: 159.

6 - ينظر أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/1162.

الرّكن الثّالث: أداة التّشبيه، وهي اللفظ الذي يدلُّ على المشابهة، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تذكّر الأداة في التّشبيه، وتأتي الأداة حرفاً، أو اسماً، أو فعلاً.

الرّكن الرّابع: وجه الشّبّه، وهو الوصف المشترك بين الطّرفين (المشبّه والمشبّه به)، ويكون في المشبّه به أقوى وأظهر ممّا هو عليه في المشبّه، وقد يُذكر وجه الشّبّه في الكلام وقد يُحذف. كما أنّه لا يشترط التّساوي في الصّفة المشتركة، وقد تكون خياليّة غير حقيقيّة، كما تكون حقيقيّة. فهذه هي الأركان المعروفة عند علماء البلاغة، وبعضهم أضاف:

الأمر الخامس: الغرض من التّشبيه، وهو الهدف أو الفائدة التي من أجلها يسوق المتكلّم التّشبيه والغاية التي ينشدها من ورائه، وهو الذي لا ذكر له في الكلام، فالمعتبر ذكره في الكلام الأركان الأربعة الأولى؛ لأنّ الغرض هذا أمر يُضمره المتكلّم في نفسه، ولا يظهر في طيّات كلامه.

### ث - أنواع التّشبيه

البلاغيّون لاحظوا التّشبيه فوجدوه في كلام العرب ليس نوعاً واحداً، وإنّما هو على أنواع كثيرة، وهذه الأنواع تنقسم بحسب مكوّناته:

فمنها التّقسيم بحسب طرفي التّشبيه إلى حسّي، وعقلي.

ومنها التّقسيم بحسب طرفي التّشبيه باعتبار الإفراد، والتّركيب.

ومنها التّقسيم بحسب طرفي التّشبيه باعتبار تعدّدهما، أو تعدّد أحدهما؛ ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

ومنها تقسيم التّشبيه باعتبار وجه الشّبّه؛ تشبيه تمثيل، وتشبيه غير تمثيل. وتشبيه مفصّل،

وتشبيه مجمل، وتشبيه قريب مبتذل، وتشبيه بعيد غريب.

ومنها تقسيم التّشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود؛ الحسن المقبول، والقبيح المردود.

ومنها تقسيم التّشبيه باعتبار أدواته؛ التّشبيه المرسل، والتّشبيه المؤكّد، والتّشبيه البليغ.

وقد علم ممّا سبق أنّ أقسام التّشبيه من حيث الوجه والأداة، كالآتي<sup>1</sup>:

- التّشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه الأداة.

- التّشبيه المؤكّد: هو ما حذف منه الأداة.

1 - ينظر أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، ص: 242.

- التّشبيه المجلّ: هو ما حذف منه وجه الشّبه.

- التّشبيه المفصّل: هو ما ذكر فيه وجه الشّبه.

- التّشبيه البليغ: هو ما حذف في الأداة، ووجه الشّبه، وهو أرقى أنواع التّشبيه بلاغة.

- التّشبيه الضّمنيّ: هو تشبيه لا يوضع فيه المشبّه، والمشبّه به في صورة من صور التّشبيه

المعروفة، بل يلمّح المشبّه، والمشبّه به، ويفهمان من المعنى.

### ج - صفات وخصائص التّشبيهات البليغة

لقد استكثرت الشعراء من التّشبيه، وتفنّنت بألفاظها وقرائحها فيه، ولم يخل شعر قديم، ولا حديث منه، وتتشأ بلاغة التّشبيه من أنّه ينتقل بك من الشّيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثّله. وكلّما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التّشبيه أروع للنّفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها. فإذا قلت: فلان يشبه فلانا في الطّول، أو إن الأرض تشبه الكرة في الشّكل، لم يكن في هذه التّشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجهد أدبيّ، ولخلوها من الخيال.

يقول أبو هلال العسكريّ: "والتّشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلّمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهليّة من كلّ جيل ما يستدلّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان"<sup>1</sup>. ولهذا فإنّ التّشبيه ممّا اتّفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فنّ البلاغة، وأن تعقيب المعاني به - لا سيما قسم التّمثيل منه - يضاعف قواها في تحريك النّفوس إلى المقصود بها، مدحا كانت أو ذمّاً أو افتخارا أو غير ذلك<sup>2</sup>.

وعليه تعدّدت أسباب تأثير التّشبيه، فمنها ما يحصل للنّفس من الأُنس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ؛ كالانتقال ممّا يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة، أو بإخراجها ممّا لم تألفه إلى ما ألفته، أو ممّا تعلمه إلى ما هي به أعلم؛ كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنّك قد تعبّر عن المعنى بعبارة تؤدّيهِ وتبالغ.. إلخ.

ولهذا يحسن بالدارس لهذا الفنّ من فنون الكلام أن يكون عارفاً بالصفّات الأساسيّة للتّشبيهات المثلى حتّى لا يظنّ أنّ كلّ تشبيه هو من صور الأدب الرّفيع، فربّ تشبيه ينزل من قيمة الكلام أدبيّاً وبلاغياً ولا يرفعه، وربّما يهوي به إلى الحضيض، فمن الخير له أن يدرس التّشبيهات

1 - أبو هلال العسكريّ: الصّناعتين، ص: 243.

2 - ينظر الصّعدي: بغية الإيضاح، 3/385.

والأمثال القرآنيّة، وأن يدرس تشبيهات وأمثال الأدباء البلغاء، ليكتسب الدّوق الرّفيع، الذي يميّز به بين الغثّ والسّمين من التّشبيهات والأمثال، وليكتسب المهارة على تدبّر التّصوُّص وتحليل ما فيها من ذلك، وعسى أن يكتسب مهارة الإبداع في هذا المجال.

ومن الصّفات الأساسيّة للتّشبيهات البليغة، ما يلي<sup>1</sup>:

الصّفة الأولى: دقّة التّصوير، مع إبراز العناصر المهمّة التي هي مقصود التّشبيه.

الصّفة الثّانية: الابتكار، والابتعاد عن الاجترار والتّكرار للتّشبيهات المستعملة كثيرا في أقوال الشعراء والأدباء.

الصّفة الثّالثة: التّويع في أساليب التّشبيهات والأمثال ضمن الكلام المتتابع، والابتعاد عن التزام الوتيرة الواحدة، والمتابعة على نمط واحد.

الصّفة الرّابعة: صدق المشابهة بين المشبّه، والمشبّه به، ويكفي لتحقيق صدق المشابهة ما يسمّى "الصدّق الفنّي" أي: الصدق في إحساس صاحب الكلام ومشاعره.

الصّفة الخامسة: ممّا يرتقي بالتّمثيل إلى مستوى الذّروة، التّصوير المتحرّك الحيّ النّاطق، ذو الأبعاد المكانية والزّمانية، والذي تبرز فيه المشاعر النّفسيّة والوجدانيّة، والحركات الفكريّة للعناصر الحيّة في الصّورة.

الصّفة السّادسة: الابتعاد عن الإسفاف والابتذال والتّشبيه ما يحسن في غير الكلام ستره، من العورات والمستقذرات.

الصّفة السّابعة: عدم التّصريح بما يمكن أن يدرك ذهننا من القرائن.

الصّفة الثّامنة: البناء على المشبّه به كأنّه عين المشبّه، إذ ينزل المشبّه به منزلة المشبّه، بعد أن سبق لإحضار المقصود من المشبّه عن طريقه.

### ح - دواعي التّشبيه

يرجع اختيار أسلوب التّشبيه في الكلام إلى الدّواعي الرّئيسة التّالية<sup>2</sup>:

الدّاعي الأوّل: استخدام الأسلوب غير المباشر للتّعبير عن المراد، إذ هو أكثر تأثيرا في النّفوس من الأسلوب المباشر غالبا، وذلك في المجالات الأدبيّة، وفي الموعظة، وفي كثير من صور الإقناع، وفي نحو ذلك.

1 - ينظر حَبَنَكَة الميداني: البلاغة العربيّة، 171/2.

2 - ينظر المرجع نفسه، 167/2.

الدّاعي الثّاني: ما في التّشبيه من طرق متعدّدة، وصور كثيرة، تعطي المعبرّ البليغ مجالاً واسعاً لانتقاء ما يراه أكثر تأثيراً فيمن يوجه له الكلام، أو أكثر إبداعاً، وهذا أمر يشعر فيه المتكلّم بلدّة الإبداع والابتكار وإيجاد ما لم يسبق إليه، وهي نزعة موجودة في طبائع النّاس الفطريّة، تنمو عند الأذكياء والعباقرة، وتضمّر عند غيرهم.

الدّاعي الثّالث: ما في كثير من الصّور التّشبيهيّة من جمال يرضي أذواق المتلقّين ويمتّعهم، إذ يقدّم لهم لوحات جماليّة مختلفة: فمنها ما تنتزعه الذاكرة اللمّاحة من الطّبيعة الجميلة في المدركات الحسية كما هو، فيقيس الفكر عليه، ويشبّه به. ومنها ما يجمع الفكر عناصره من الطّبيعة، ويؤلّف الخيال بين هذه العناصر تأليفاً مبتكراً في صورة، ثمّ يقيس الفكر عليها ويشبّه بها. ومنها أشياء معنويّة فكريّة يصوّر لها الخيال صوراً ثمّ يقيس الفكر عليها ويشبّه بها. وربّما يشبّه الفكر بها دون أن يتدخّل الخيال في تصوير صور لها.

### خ - أغراض التّشبيه

المراد بها البواعث التي تحمل المتكلّم على أن يعقد شبهاً بين شيئين، فالأديب البليغ شاعراً كان أو ناثراً، كاتباً أو متحدّثاً، قد يختار في كلامه طريقة التّشبيه ضمن ما يختار من طرق الكلام وأساليبه ليحقّق به غرضاً أو أكثر من الأغراض البلاغيّة، سواء أكان ما اختاره تشبيهاً مفرداً أم مركّباً، ولهذا فالتّشبيه كغيره من الفنون البلاغيّة له أغراض عديدة، نذكر منها<sup>1</sup>:

الغرض الأوّل: كون الصّورة التي دلّ عليها التّشبيه أكثر بياناً وأوضح دلالة وأدقّ أداء من الكلمات التي تدلّ بوضعها اللّغويّ على المعنى مباشرة، دون استخدام التّشبيه.

الغرض الثّاني: تقريب صورة المشبّه إلى ذهن المتلقّي عن طريق التّشبيه، إذا كان وجه الشبّه في المشبّه به أكثر وضوحاً وأظهر، أو كان مقداره أعظم، كتشبيه القلوب القاسية بالحجارة.

الغرض الثّالث: الإمتاع أو الاستمتاع بصور جماليّة يشتمل عليها التّشبيه، ففي كثير من التّشبيهات الدّقيقة المحكمة صور جماليّة لا توجد في غيرها من طرق الكلام، فقولك: "خالد يمشي كالسّلحفاة" أكثر إمتاعاً من قولك: "خالد بطيئ المسير".

الغرض الرّابع: الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجّة البرهانيّة، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجّة الخطابيّة، وقد يقتصر على لفت النّظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة، ومنه تشبيهه من يدعو غير الله بباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه.

1 - ينظر حَبَنَكَة الميداني: البلاغة العربيّة، 168/2، والصّعدي: بغية الإيضاح، 413/3. والجنّاحي: البلاغة الصّافيّة، ص: 18. وغيرها.

الغرض الخامس: التّريغيب بالتّزيين والتّحسين، أو التّنفير بكشف جوانب القبح. فالترغيب يكون بتزيين المشبه وإبراز جوانب حسنه، عن طريق تشبيهه بما هو محبوب للنفس مرغوب لديها. والتنفير يكون بإبراز جوانب قبحه، عن طريق تشبيهه بما هو مكروه للنفس، أو تنفر النفس منه. وقد يكون كلّ من التّريغيب والتّنفير عملاً إيهامياً معتمداً على صناعة كلامية مبالغ فيها.

الغرض السادس: إثارة محور الطّمع والرّغب في النّفس، أو محور الخوف والحذر، إذا كان في المشبه مطامع تطمع فيها النّفس، أو مخاوف تحذرهما. كتصوير المنفق في سبيل الله بزارع الحبّ الذي تنبت كلّ حبة منه سبع سنابل في كلّ سنبله مئة حبة. وكتصوير أعمال الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، برماد اشتدّت به الرّيح، فسفته ونسفته، فجعلته هباءً منبثاً، فهم لا يقدرّون على إمساك شيء ممّا كسبوا. فلدى إثارة محور الطّمع والرّغب في النّفس يتجّه الإنسان بمحرض ذاتي إلى ما يراد توجيهه له. ولدى إثارة محور الخوف والحذر في النّفس يبتعد الإنسان بمحرض ذاتي عمّا يراد إبعاده عنه.

الغرض السابع: المدح أو الذمّ، أو التّعظيم أو التّحقير. كأن تمدح الشّجاع بتشبيهه بالأسد، وتذمّ الجبان بتشبيهه بالأرنب، وتذمّ الدّيوث بتشبيهه بالخنزير. وكأنّ تعظّم جود الجواد بتشبيهه بالبحر، وتحقر خطبة بتشبيهها بنقيق الضفادع.

الغرض الثامن: شحذ ذهن المتلقّي وتحريك طاقاته الفكريّة، أو استرضاء ذكائه، لتوجيه عنايته، حتّى يتأمّل ويتفكّر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التّفكّر. كتشبيه الصّراع بين الحقّ والباطل بصورة الغيث الغزير، الذي يجري سيلاً يملأ الوادي، والرّيد الذي يطفو على سطحه، وما ينتهي إليه كلّ منهما، أمّا الرّيد فيذهب جفاءً، وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض مفيداً نافعاً. ومثل هذه التّشبيهات يخاطب بها الأذكياء، وأهل التّأمّل والنّظر والبحث العلميّ، والمتفكّرون.

الغرض التاسع: تقديم أفكار كثيرة جداً ودقيقة، وهي ممّا يحتاج بيانه عن غير طريق التّشبيه كلاماً كثيراً يصل إلى عشرات الصّفحات وأكثر من ذلك، فيدلّ عليها التّشبيه بأخصر عبارة، فالمشبه به قد يكون بمثابة نموذج مشهود من نماذج الوسائل التّعليميّة، فيكفي في العبارة أن يقال: مثل هذا.

الغرض العاشر: إثارة تغطية المقصود من العبارة بالتّشبيه، تأدّباً في اللفظ واستحياءً. كتشبيه عملية التّزواج بوضع الميل في المكحلة.

الغرض الحادي عشر: بيان صفة للمشبه، عن طريق التّشبيه. فمنه بيان إمكان وجود الصّفة في المشبه، إذ هي في المشبه به ظاهرة لا نزاع في وجودها فيه، ويرى المتلقّي عدم إمكان

وجودها في المشبه. ومنه بيان حقيقة الصفة، إذا كانت أمرا غير معروف في المشبه، لخفائها، فيأتي التشبيه فيكشف حقيقة هذه الصفة المجهولة. ومنه بيان مقدار الصفة قوة وضعفا، إذا كانت حقيقتها معروفة، لكن مقدارها مجهول. إلى غير ذلك من أغراض.

### 3 - التشبيه والتّمثيل

عرّفنا من قبل التشبيه وهنا نعرّف التّمثيل، ونبيّن هل هناك فرق بينهما؟ أو أنّ بينهما علاقة؟ وإن كانت بينهما علاقة فهل هما شيء واحد أم أنّ التشبيه شيء غير التّمثيل؟

التّمثيل في اللغة اسم مفرد مصدر متلّ، متلّ بـ<sup>1</sup>. متلّ الشّيء بالشّيء: مثله به، شبهه به متلّ الشّيء لفلان: صورّه له بكتابة أو غيرها كأنّه ينظر إليه<sup>2</sup>. وعليه فمن حيث المعنى اللّغويّ فإنّ التشبيه هو التّمثيل، والتّمثيل هو التشبيه، فهما مترادفان في اللغة، معناهما واحد، وهو بيان وجود صفة أو أكثر في المشبه مشابهة لما يظهر من صفات في المشبه به.

أمّا المعنى الاصطلاحيّ للتّشبيه والتّمثيل فهو مطابق للمعنى اللّغويّ عند البيانين، وقالوا في تعريف التّمثيل أقوالا أحسنها: "الدّلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التّطابق أو التقارب لغرض ما"<sup>3</sup>.

وجاء في معجم اللغة العربيّة المعاصرة: "التّمثيل: تشبيه صورة مركّبة بأخرى مركّبة"<sup>4</sup>. هنا ركّز التعريف على الصّورة المركّبة؛ لأنّ التشبيه حين تكلمنا عنه رأيناه في الصّورة المفردة، فمن هذا التعريف وغيره ممّا يمثله يتبيّن أنّ البيانين لاحظوا تقسيما ناتجا عن كون التشبيه يأتي مفردا أو مركّبا، فظهر لهم ما يلي:

القسم الأوّل: التشبيه البسيط. وهو التشبيه المشتمل على التشبيه بمفرد، لأنّ المشبه يشابه المشبه به بوجه من الوجوه، أو جانب من الجوانب، كتشبيه الجاهل بالأعمى، والعالم بالبصير، والجهل بالظلمات، والعلم بالنور.

القسم الثّاني: التشبيه المركّب، وهو المسمّى "التّمثيل"<sup>5</sup>. ولهذا خصّ البيانين لفظ "التّمثيل" بالتّشبيه المركّب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدّد<sup>6</sup>.

1 - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، 2067/3.

2 - المرجع نفسه، 2066/3.

3 - حبّكة الميداني: البلاغة العربيّة، 161/2.

4 - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، 2067/3.

5 - ينظر حبّكة الميداني: البلاغة العربيّة، 186/2.

6 - ينظر المرجع نفسه، 127/2.

هذا هو مذهب جمهور البلاغيين في تعريفه، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبه حسيّة أو معنويّة. وكلّما كانت عناصر الصورة أو المركّب أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ<sup>1</sup>.

فمثال التشبيه في المفرد قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>2</sup>. فالتشبيه مفرداً، فقد شبّه قلوبهم بالحجارة، بجامع القساوة في كلّ منهما، لكن قساوة قلوبهم قساوة معنويّة اتّجاه الحقّ والخير والفضيلة، أمّا الحجارة فقساوتها ماديّة<sup>3</sup>.

وأما مثال التمثيل في المركّب فقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>4</sup>. فشبه الصورة المركّبة من عنصر الإنفاق، وعنصر كونه في سبيل الله عملاً ونية، وعنصر ثمرته عند الله، بالحبة التي تزرع فتنبت سبع سنابل، في كلّ سنبله مئة حبة. فوجه الشبه من هذا التشبيه منتزَع من متعدّد، فهو من قسم "التمثيل"<sup>5</sup>.

ولهذا فالفرق بين التشبيه والتمثيل أنّ التشبيه أعمّ من التمثيل، فكلّ تمثيل تشبيه دون عكس، إذ التمثيل مختصّ بما كان وجه الشبه فيه منتزَعاً من متعدّد<sup>6</sup>. يقول الجرجاني: "وإذ قد عرفت الفرقَ بين الضّرّيين، فاعلم أنّ التشبيه عامٌّ والتمثيل أخصّ منه، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كلّ تشبيه تمثيلاً"<sup>7</sup>.

وللتمثيل موقعان؛ منها أن يكون في مفتاح الكلام، فيكون قياساً موضحاً وبرهاناً مصاحباً، وهو كثير جداً في القرآن الكريم كما هو في الآية السالفة الذكر، أو يجيء بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذي تثبت به الدّعى، كقول أبي العتاهية:  
تَبْغِي النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكِي طَرِيقَهَا... إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

1 - عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البيان، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: 1405هـ - 1982م، ص: 86.

2 - البقرة: 74.

3 - ينظر حَبَبَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيّة، 128/2.

4 - البقرة: 261.

5 - ينظر حَبَبَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيّة، 128/2.

6 - ينظر أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 226.

7 - عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد أبو بكر الجرجاني (المتوفى: 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص: 95.

والتمثيل له تأثير عجيب على النفس، فإذا وقع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيدا بالبرهان، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان إما دليلا على إمكانها، أو تأييدا للمعنى الثابت، وهو في كلتا الحالين يكسب المعاني منقبة، ويرفع قدرها، ويجعل لها في القلوب هزة وارتياحا، فإنك إذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده ترى بونا شاسعا ومسافة الخلاف متسعة<sup>1</sup>.

خلاصة الكلام أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني يفرق بين التشبيه العام وتشبيه التمثيل على النحو الذي بسطناه، ويرى أن بين الاثنين عموما وخصوصا مطلقا، فكل تمثيل عنده تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا.

ولكن كثيرا من البلاغيين ينظرون إلى المعنى اللغوي للتشبيه، وهو التمثيل، فيجعلون التشبيه والتمثيل مترادفين، ومن هؤلاء البلاغيين ضياء الدين بن الأثير الذي يقول: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا، ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثّلته به. وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه"<sup>2</sup>.

وهذا قول الرّازي كذلك، حيث لا يرى - هو أيضا - فرقا بين التمثيل والتشبيه. كما أن الرّمخسري يرى أن التمثيل والتشبيه مترادفان، ويشهد لذلك كلام الكشاف حيث يستعمله استعمال التشبيه<sup>3</sup>، لذا فكل تشبيه عنده تمثيل ولو كان الوجه مفردا، فإذا أطلق "التمثيل" انصرف إلى الاستعارة التمثيلية، وإذا أريد التشبيه ذو الوجه المركّب، قيل: تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي.

وإذا أمعنا الفكر في المعنى اللغوي وجدنا التشبيه يسوي بين الشئيين في الصفات الظاهرة من جميع الوجوه حتى يلتبس، والتمثيل يسوي بينهما في المقدار فقط، وهكذا تجد أن سرّ التفريق بين بينهما يكمن في أن المعنيين - من حيث اللغة - مختلفان، على النحو الذي أسلفنا ذكره، ولهذا بدأ عبد القاهر الجرجاني حديثه عن التشبيه والتمثيل بالتفريق بينهما<sup>4</sup>.

- 1 - ينظر أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، دت، دط، 127.
- 2 - ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، 93/2.
- 3 - ينظر إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حقه وعلق عليه: عليه: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 198/2.
- 4 - ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجرجاني (المتوفى: 1429هـ): من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني، عام النشر: 1402هـ - 1981م، 111/1 - 112.

#### 4 - التّشبيه والتّخييل

هناك فرق بين التّشبيه والتّخييل، كما أنّ هناك فرقا واختلافا بين التّشبيه والتّمثيل.

فالتّخييل في اللّغة اسم مفرد، من باب التّفعل، فهو مصدر خَيَّلَ وَخَيَّلَ إِلَى/ خَيَّلَ لـ. ومنه تَخَيَّلَ الشّيءَ: تصوّره وتمثّله "تَخَيَّلَ الأشياءَ على غير ما هي عليه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ تَخَيَّلُوا إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾<sup>1</sup>. مبالغة في التّشبيه إلى حد الإيغال<sup>2</sup>.

فالتّخييل مصدر من قولك تَخَيَّلْتَ الأمر إذا ظننته على خلاف ما هو عليه، أو من قولك: خَيَّلْتَ فيك خيرا إذا ظننته فيه، فهو مصدر لهذين الفعلين كما ترى، ومنه الخيال، وهو خشبة توضع عليها ثياب سود تتصب للطيور والبهائم فنظّنه إنسانا فتبعد عنه وتهابه<sup>3</sup>.

أمّا في الاصطلاح، فالتّخييل، هو: "تصوير خيال الشّيء في النّفس، والتّخييل تصوّر ذلك"<sup>4</sup>. ولهذا فالتّشبيه التّخييلي ألا يكون الوجه قائمًا بالطرفين، أو بأحدهما إلا تخيلاً، وهو أن يثبته الخيال بجعل غير المحقّق محقّقًا، كقول الشّاعر:

يَا مَنْ لَهُ شَعْرٌ كَحَظِّي أَسْوَدَ ... جِسْمِي نَحِيلٌ مِنْ فِرَاقِكِ أَصْفَرَ

فوجه الشّبه بين الشّعْر والحظّ هو "السّواد" وليس موجودًا في المشبّه به حقيقة بل تخيلاً؛ لأنّ الحظّ ليس من ذوات الألوان، فإذا قيل: يا من له حظّ كحظّي أسود، كان مثلاً لما يكون فيه وجه الشّبه في الطرفين متخيلاً<sup>5</sup>. ومنه قول أمير الشعراء - في وصف الطّبيعة:

والياسمين: لطيفة ونقيّة ... كسريرة المنتزّه السّمّاح

فقد شبّه الشّاعر الياسمين في صفائه ونقائه، بسريرة المنزّه السّمّاح في صفائها ونقائها، بيد أنّ وجه الشّبه وهو: الصّفاء والنّقاء متحقّق في الياسمين متخيّل في السريرة<sup>6</sup>. بمعنى أنّ التّخييل تأليف صورة ذهنيّة تحاكي ظواهر الطّبيعة وإن لم تعبّر عن شيء حقيقيّ موجود<sup>7</sup>.

1 - طه: 66.

2 - أحمد مختار عمر: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، 714/1.

3 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ، 3/3.

4 - زين الدّين محمّد المدعو بعبد الرّؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفّى: 1031هـ): التّوقيف على مهمّات التّعريف، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطّبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، ص: 93.

5 - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، دت، دط، 59/1.

6 - المرجع نفسه، 59/1.

7 - الجناحي: البلاغة الصّافية، 714/1.

فنستخلص ممّا ذكرنا أنّ التّخييل يكون وجه الشّبه غير حقيقيّ في أحد أطراف التّشبيه، بمعنى أنّ التّخييل يُؤتى بلفظ مشترك بين عدّة معان بحيث يدلّ سياق الكلام على أحد المعاني، ويكون فيه مراعاة للنّظير، وبسبب طوق النّظير فالوهم يسبق إلى المعنى الثّاني الذي هو غير تامّ، وهذه الصّنعَة البديعيّة قريبة من الإيهام والخيال، إلّا أنّ ثمة فرقا وهو أنّ الخيال فيه مجاز مصطلح أو مشتمل على لطيفة أو ضرب مثل، وبذهب الظّنّ إلى المعنى الحقيقيّ. وفي الإيهام كلا المعنيتين تامّان، لكن أحدهما قريب والثّاني بعيد. والبعيد علّته سياق العبارة وإلّا فهو المراد. وهنا نفس ذلك المعنى تامّ إلّا أنّه بسبب طوق النّظير، فإنّ الظّنّ يسبق إلى المعنى الثّاني وهو غير ثابت<sup>1</sup>.

وقد قال علماءنا أنّ صناعة الشّعْر تعتمد على "التّخييل"، الذي يكون في الأسلوب، وهذا المبدأ يقوم على عمليّات عقلية واعية من جهة الشّاعر، فهو يختار الجهات والمضامين، ويختار الألفاظ والعبارات والأوزان المناسبة لها، ويختار الأدوات الجماليّة التي ترتقي بعمله من مجرد إبلاغ نفعيّ إلى رسالة فنيّة إبداعية تحركّ نفس الملقيّ بما فيها من تعجيب وخروج عن الأنماط المتعارف عليها عند النّاس.

ولأهمّيّته يقول صاحب الطّراز: "اعلم أنّ هذا النّوع من علم البديع من مرامي سهام البلاغة المسدّدة، وعقد من عقود لآليه وجمانه المبدّدة، كثير التّدوار في كتاب الله تعالى، والسّنة الشّريفة، لما فيه من الدقّة والرّموز، واستيلائه على إثارة المعادن والكنوز، ومن أجل ذلك ضلّ من ضلّ من الجبريّة بسبب آيات الهدى والضّلال، وعمل من أجله على الانسلاخ عن الحكمة والانسلال، وزلّ من زلّ من المشبّهة باعتقاد التّشبيه، وزال عن اعتقاد التّوحيد باعتقاد ظاهر الأعضاء والجوارح في الآي فارتطم في بحر التّمويه، فهو أحقّ علوم البلاغة بالإتقان، وأولاها بالفحص عن لطائفه والإمعان، ولو لم يكن في الإحاطة به إلّا السّلامة عمّا ذكرناه من زيغ الجهال، والخلاص عن ورط الزّيغ والضّلال، لكان ذلك بغية النّظار والضّالة التي يطلبها غاصة البحار، فضلا عمّا وراء ذلك من درر مكنونة، وأسرار مودعة فيه مخزونة، ومن ثمّ قال الشّيخ النّحير محمد بن عمر الرّمخسريّ نور الله حفرتة: ولا نرى بابا في علم البيان أدقّ ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع لي عوناً على تعاطي المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الأنبياء، ولعمري لقد قال حقّاً ونطق

1 - محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التّهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النّصّ الفارسي إلى العربيّة: د. عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيّة: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطّبعة: الأولى - 1996م، 400/1.

صدقا. ثم أقول: إنَّ السَّبب في حسن موقعه في البلاغة هو ما اختصَّ به هذا النوع من كونه موضوعا على تشبيه غير المحسوس بالمحسوس، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>1</sup>. وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>2</sup>. إلى غير ذلك وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، فلأجل ما ذكرناه كان واقعا في أرفع موضع، فلا جرم إن نحن خصصناه بازدياد بسط وتكثير أمثلة، وسببه ما نبهنا عليه من عظم قدره، وعلو شأنه، وظهور أمره<sup>3</sup>.

## 5 - التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوب

من أنواع التَّشْبِيهِ ما يسمِّيه البلاغيون "التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوب"، ويسمِّي كذلك "المنعكس"، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التَّشْبِيهِ، ووارد على سبل النَّدور وإنَّما يحسن في عكس المعنى المتعارف.

ولذا يشترط في استعمال التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوب ألا يرد إلا فيما جرى عليه العرف والإلف لدى العرب، وذلك حتَّى تظهر فيه بوضوح صورة القلب والانعكاس. على هذا الأساس يحسن التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوب ويقبل، أمَّا إذا ورد في غير المعهود المألوف فإنَّه يكون معيبا لأنَّ المبالغة فيه تصيبه بالغموض، وتودِّي إلى التَّدَاخُل بين طرفيه، فلا يعرف أيُّهما المشبَّه، وأيُّهما المشبَّه به<sup>4</sup>.

وقد لاحظ البيانوي أنَّ عاقد التَّشْبِيهِ قد يحلو له أحيانا أن يجعل المشبَّه في كلامه مشبَّها به، ويجعل المشبَّه به مشبَّها، ليدلَّ بصنيعه هذا على أنَّ وجود وجه الشبَّه في المشبَّه أقوى وأظهر من وجوده في المشبَّه به<sup>5</sup>.

ونجد أبا الفتح عثمان بن جنِّي في كتابه الخصائص يسمِّي هذا النوع من التَّشْبِيهِ «غلبة الفروع على الأصول» وقد بيَّن ابن جنِّي في بداية حديثه عن هذا الباب أنَّه فصل طريف من فصول العربيَّة؛ تجده في معاني العرب؛ كما تجده في معاني الإعراب؛ وأنَّ الغرض منه إنَّما هو المبالغة. وقد قصد بمعاني العرب، ما ضمَّنته العرب شعرها، ونثرها من المعاني، والأغراض التي تقصدها، أمَّا معاني الإعراب، فإنَّه قد قصد بها ما يهَمُّ النَّحْوِيِّين من المعاني الخاصَّة بإعراب الكلام<sup>6</sup>.

1 - المائدة: 64.

2 - القمر: 14.

3 - العلوي: الطراز، 3/3.

4 - عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص: 101.

5 - حَبَنَكَةُ الميداني: البلاغة العربيَّة، 201/2.

6 - ينظر الجناحي: خصائص النظم، ص: 110.

فما هو التشبيه المقلوب؟ التشبيه المقلوب هو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر<sup>1</sup>. وقد عرض له ابن الأثير أيضاً في كتابه المثل السائر، وسمّاه «الطرد والعكس»، وفي ذلك يقول: «واعلم أن من التشبيه ضرباً يسمّى الطرد والعكس، وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به، وبعضهم يسمّيه غلبة الفروع على الأصول ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة<sup>2</sup>. ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه الأصل، وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>3</sup>. فقد عدّ هذا الموضع من التشبيه المقلوب وأصله: أفمن لا يخلق كمن يخلق. وإنما كان الأصل كذلك في الآية لأنّ الكلام مسوق للإنكار. أي إنكار أن يسوّى ما لا يخلق بمن يخلق. فيكون إلزاماً لهم بالحجّة حيث عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وجعلوا غير الخالق مثل الخالق.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾<sup>4</sup>. والأصل: إنّما الربا مثل البيع. فهو كذلك من التشبيه المقلوب فقد نزلت في شأن أهل مكّة وكانوا يستحلّون الربا وبالغوا في حلّيته حتّى جعلوه أصلاً قاسوا عليه البيع، فأمر القلب فيها ظاهر والداعي إليه معلوم.

ومن ذلك قول البحريّ: كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لِيُصْبِحَهَا... تَبَسُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ  
لقد قلب التشبيه ليشعر بأنّه يرى تبسّم ممدوحه عيسى أكثر ضياء من برق السحابة التي استمرّ يتلامع طوال الليل، فتبسّمه حين يلفظ بالوعد ينبعث منه سنا معنويّ يسرّ القلوب سرورا لا يكون حين يتلامع سنا البرق<sup>5</sup>.

ومنه قول الشاعر: أحنُّ لهم ودونهم فلاة... كأنّ فسحها صدر الحليم  
فشبه اتساع الفلاة بصدر الحليم، على طريقة التشبيه المقلوب<sup>6</sup>. وإلا فالأصل تشبيه صدر الحليم باتساع الفلاة، لكنّ هذا متعارف عليه، فلا يكون له تأثير مثل إيراده مقلوبا، وفي هذا يخرج مخرج المبالغة.

وكذلك قول عبد الله بن المعتزّ في تشبيه الهلال:

1 - ابن الأثير: المثل السائر، 125/2.

2 - ينظر الجناحي: خصائص النظم، ص: 110.

3 - النحل: 17.

4 - البقرة: 275.

5 - حَبَنَكَةُ الميداني: البلاغة العربية، 201/2.

6 - المرجع نفسه، 201/2.

وَلَا حَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا ... مِثْلِ الْقَلَامَةِ قَدْ فُذَّتْ مِنَ الظُّفْرِ

وهكذا القول في تشبيهه عبد الله بن المعتز صورة الهلال بالقلام؛ لأن من العادة أن تشبه القلامه بالهلال، فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه.

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.  
أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، دت، دط.

- إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطبعة: سنة 2006م.

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني، عام النشر: 1402هـ - 1981م.

- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال (المتوفى: نحو 395هـ) الصناعتين: الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، عام النشر: 1419هـ.

- الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي أبو علي (المتوفى: 463هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م.

- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، دت، دط.

- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.

- عبد الرَّحْمَن بن حَسَن حَبَنكَة المِيدَانِي الدَّمشَقِي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر، جلال الدّين السيّوطي (المتوفى: 911هـ): الإِتقان في علوم القرآن، المحقّق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة: 1394هـ/1974م.
- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، تقديم وتحقيق: الدّكتور حفني محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة - المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، دت، دط.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البيان، دار النهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: 1405هـ - 1982م.
- عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن بن محمّد أبو بكر الجرجانيّ (المتوفى: 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- عبد المتعال الصّعيدي (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م.
- ضياء الدّين بن الأثير، نصر الله بن محمّد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقّق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة القاهرة.
- محمّد أحمد قاسم، ومحيي الدّين ديب: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، المؤسّسة الحديثيّة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م.
- محمّد بن علي ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التّهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النّصّ الفارسي إلى العربيّة: د. عبد الله الخالدي، التّرجمة الأجنبيّة: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطّبعة: الأولى - 1996م.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبي الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.

# المحاضرة الثالثة عشرة

## البدیع بین المتقدّمين والمتأخّرين

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - نبذة مختصرة عن مراحل تطوّر البدیع.
- 3 - أسباب تنوّع التّأليف في البدیع.
- 4 - التّأليف في البدیع عند المتقدّمين.
- 5 - التّأليف في البدیع عند المحدثين.
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

موضوع البدیع بین المتقدّمين والمتأخّرين من الموضوعات المهمّة في مجال الدّراسات البلاغيّة، وقد شغل تفكيري كثيرا، ومكنت اللّيالي ذوات العدد وأنا أقلب الصّفحات فيه، وأقرأ ما كتّب حوله، وقد استقرّ رأي حين كنت أحضر لمشروع الدّكتوراه أن يكون هو أحد موضوعاتي المقترحة، وكان بنفس العنوان المقرّر عليكم "البدیع بین المتقدّمين والمتأخّرين" ولهذا سأعطيكم فيه خلاصة ما قرأت وما استخلصت في الموضوع، ثمّ في آخر المحاضرة أزودكم بأهمّ المراجع التي تجدون فيها الكلام عن البدیع، ولا أقصد الكلام عن فنونه ولفظ، ولكن أقصد تعرّضت لهذا الموضوع ولو من زاوية من زواياه.

ويمكن ابتداء أن أقول: أنّ موضوع البدیع من الموضوعات التي ما تزال في أخذ وردّ، وبين موسّع ومضيق، وبين معمّم ومخصّص، وبين مقلّد ومجدّد، والعديد من موضوعاته ما تزال مادّة خامّا منذ أن أبدعها مبدعوها، لم يزد فيها شيء تقريبا، فهو لا يزال خاضعا للبحث والدّراسة في العديد من جزئياته وقضاياها، وللباحث أن يقول كلمته في هذا السّجال القائم حوله.

### 2 - نبذة مختصرة عن مراحل تطوّر البدیع

كان الأدب العربي منذ العصر الجاهليّ صورة حيّة لحياة العرب، حيث جاء معبرًا عن الطّبيعة التي يعيشونها، بعيدا عن التّكلّف والصّنع، فهو يصوّر البداوة وما فيها من خشونة وشظف ورعونة واضطراب، وما فيها من رقّة المشاعر وإرهاف الملكات ودقّة الحسّ، سالكين في

ذلك أقرب السبل، لا يتكفون ولا يتأثقون، بل يتكلمون بديهة وارتجالاً، دون معاناة أو مكابدة أو إجابة فكرة أو استعانة، وكانت فنون البديع تصدر من أفواههم مثل الدرر من حيث الجودة والندرة. ثم ظهرت طائفة من الشعراء عنوا بشعرهم وحرصوا على تجويده، فلا يخرج على الناس إلا بعد تنقيفه وتهذيبه، ومع ذلك فإن حرص هؤلاء وعنايتهم ليست إلا إعادة نظر في الشعر بعد إنشائه، حتى إنهم كانوا يدعون القصيدة تمكث عندهم حولاً كاملاً يرددون فيها النظر ويقبلون فيها الرأي، ولم يخرجوا بصنيعهم هذا عن دائرة الطبع والسليقة.

وهذا الانسياق مع الطبع ونبذ التكلف جعلهم لا يهتمون بالصنعة البديعية، فلم يتعمدوا جناساً ولم يقصدوا إلى تورية ولم يتكلفوا طباقاً ولم ينفبوا عن سجع، عدا طائفة من الكهان اشتهرت بحرصها على نوع من السجع أطلق عليه "سجع الكهان". ومع ذلك جاء في أدبهم الكثير من ألوان البديع التي جاءت عفو الخطر من غير أن يعرفوا لها أسماءها التي أطلقت عليها فيما بعد.

وظهر الإسلام بمصدرية القرآن والحديث فكان له أثره الذي لا يُجدد على عواطف العرب ومشاعرهم، حتى تجلّى ذلك في أدبهم، فجاء شعرهم مهذباً في لفظه وأساليبه، فرقت الألفاظ وأحكمت الأساليب، فضلاً عن المعاني والأغراض مع بقاء الطابع العام للأدب كما كان في العصر الجاهلي، فلم يبتكر شعراء الإسلام مذهباً جديداً في الشعر، ومع ذلك تناثرت فيه ألوان البديع التي جاءت على سجية القوم وفطرتهم، وبقيت الصناعة اللفظية كما هي دون تكلف، رغم ما اشتملت عليه آيات القرآن ونصوص الحديث من الألوان البديعية، التي جاءت في أعلى درجات الروعة والجمال.

ثم أخذت الحياة العربية تسير بخطى واسعة، وتقفز قفزات سريعة، فما أن جاءت الدولة العباسية حتى تعقدت الحياة العربية، وطغت عليها أساليب المدنية والتحضّر، فوجد العرب أمامهم أبواباً من الرفاهية والتّرف والحضارة صبغت حياتهم بصبغة جديدة، ووجدوا أمامهم علوم الأمم التي فتحوها وثقافات تلك الأمم، فانكبوا عليها يحصلونها جادين متلهقين، ومن الطبيعي أن يتأثر الأدب عموماً والشعر على سبيل الخصوص بهذه الحياة الجديدة فيلبس حُللاً من الزّخرف والزّينة والتنميق، ونظر الشعراء في شعر أسلافهم الأقدمين، فوجدوا أنّ الأقدمين صرفوا همهم إلى المعاني، وكان لهم بها فضل عناية، فمعاني الفخر والمديح والغزل والرّثاء وغيرها طرقت منذ قرون، كما وجدوا أنّ الأقدمين سبقوا إلى الألفاظ القويّة والعبارات الجزلة والأساليب المرضية، فصرفوا همهم إلى الصياغة ليلبسوها أبهى حلل البيان، وأسمى صفات الكلام، وذلك لا يتأتى إلا بالزّخرف والزّينة والبهرج والتوليد في المعاني، فكلفوا بها وتعمدوها.

فقصّوا إلى الشعر القديم يلتمسون منه هذه الألوان، ويتفنّنون فيها، فاجتمع لهم منها الكثير من طباق إلى جناس إلى تورية إلى مشاكلة وغير ذلك، فتكلّفوا الاحتذاء وأطلقوا على كلّ ذلك اسم البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط، وأصبح البديع بذلك صنعة لها روادها من أمثال بشّار بن برد ومسلم بن الوليد والعتابي ومنصور النّمري وأبي نوّاس وأبي تمام والبحثريّ، فوقع الافتراق بين هذه الألوان في شعر الأقدمين وشعر المحدثين، فقد جاءت في شعر الأقدمين تساير الطّبع وتقع موقعها دون قصد لها أو تكلف، بينما جاءت في شعر المحدثين عن تعمد وقصد وتكلف.

وقد أدّى هيام الشعراء بهذه الألوان وإفراطهم في تناولها إلى تركهم جانب المعاني، وعدم اكتراثهم بجزالة الألفاظ واستقامتها. ممّا حدّأ بكثير من علماء اللّغة والأدب أن ينتصروا للقديم، وأن يتعصّبوا له، وأن يقفوا في وجه كلّ جديد موقفاً متشدّداً، مقلّين من شأن ما يأتي به المحدثون، منكرين عليهم إكثارهم من ألوان البديع وكلفهم بها. وقد بالغ كثير من النقاد وعلماء اللّغة في التّعصب للقديم والميل إليه، حتّى إنّ بعضهم كان يستحسن القديم لقدمه، ويستهجّن المحدث لحدثه، دون نظر لعناصر الجمال أو الفُبح في هذا أو ذاك.

وإلى جانب هذه الطائفة التي تعصّبت للقديم، طائفة أخرى من الشعراء والنقاد تعصّبوا للمحدثين، وانتصروا للبديع وعدّوا الإكثار منه في الشعر تفنّناً في ضروب القول ودليلاً على شاعريّة الشّاعر.

ثمّ بعدها كثر التّأليف في علم البديع حتّى استقلّ وظهرت فنونه وأخذ موقعه كقسم من علوم البلاغة الثّلاث، ودبّ النّقل والاتباع ربحاً من الزّمن، ولا تَأليف يذكر إلّا في تنظيم القديم وترتيبه وإعادة صياغته أو الاجتهاد في بعض فنونه كما فعل القزويني بعد السّكاكيّ، حتّى جاء العصر الحديث لتطفوا المعركة من جديد بين أصحاب القديم والجديد في علم البديع.

وعلى أي حال فإنّ هذا السّجال بين أنصار القديم وأنصار الحديث، أو بين المجدّدين والمحافظين لم تذهب أدراج الرّياح، بل أثمرت ثمرة طيّبة كان لها قيمتها في تاريخ هذا الفنّ وما تزال، ومع هذا لا يمنع ذلك من إعادة النّظر فيما كُتب إن خُصّت الجهود وسلمت النّوايا في خدمة هذا الفنّ البلاغيّ المهمّ.

وعليه فنحن هنا - في هذه المحاضرة - نعرض الفكرة حول هذه القضية بعيداً عن تعصب المقلّدين وتطرّف المجدّدين، بحيث لا نُهمل جهود الأقدمين ولا نطمس رؤية المحدثين، سالكين في ذلك الطّريق الذي ينصف البديع قبل كلّ شيء ويعطيه حقّه من التّبجيل، ولعلّ هذه الفكرة عن

الموضوع ترفع عنه شيئاً من الغشاوة في ظلّ وطأة هذا السّجال القائم، فتجمع حوله النظرة المفيدة النّافعة.

### 3 - أسباب تنوّع التّأليف في البديع

من المهمّ في طيّات الحديث عن البديع بين المتقدّمين والمتأخّرين الإشارة إلى قضية جوهرية تكون كملخّص للدراسات في البديع، حيث تبيّن مجالها وتعطي تصوّراً عن موقف النّاس من البديع قديماً وحديثاً، وهي أنّه عندما نرجع لما كُتِبَ في موضوع البديع من مؤلّفات نجدها كثيرة، وهذه الكثرة راجعة لأسباب ثلاثة تعتبر في ذاتها اتّجاهات تمثّل نوعية الدّراسة فيه، وهي:

أ - أنّ البديع في فترته الأولى كان يطلق على البلاغة كلّها، لذا فهو يعبر عن كلّ الفنون وكلّ الإبداعات في البلاغة، ومن هنا كانت الدّراسات في بدايته تنصبّ في هذا السّبب، ويراد التّأليف لذلك، والغرض الأوّل منها لبيان البديع الذي كان عليه الأوائل وتمييزه عن غيره، والغرض الثّاني لبيان الجديد الذي يمكن أن يكون ضمن هذا البديع، أي ضمن فنون البلاغة، وهذا الأمر كان من البداية حين أشار له الجاحظ في كتبه، ثمّ مرورا بابن المعتزّ حين أفرد بالتّأليف في مصنّفه البديع إلى أن برز السّكاكيّ فأشار إليه وجعله قسماً من أقسام علوم البلاغة، وأشاد بأهمّيّته، وقد قسّمه لقسمين، ثمّ تركه لأقلام المبدعين ليكملوا مسيرته كونه يراه الباب الذي يمكن أن يبدع فيه من يبدع.

ب - والسّبب الثّاني هو تقلّص مجال البديع حين لم يعد يمثّل كلّ البلاغة، بل يمثّل علماً مستقلاً بذاته في جزء من فنون البلاغة سماتها تحسين الكلام وتزيينه، وهذا التّحسين والتّزيين في علم البديع عرضياً لا يراد لذاته، بل هو تابع ومكمّل، موازاة مع علم المعاني وعلم البيان اللّذين هما جوهر البلاغة والفصاحة، والتّحسين والتّزيين فيهما ذاتياً وليس عرضياً كما أشار لذلك السّكاكيّ في كتابه مفتاح العلوم.

وبهذا فقدّ البديع الصّلاحية الأولى في تمثيل كلّ البلاغة، مع الحفاظ على جزء منها يتمثّل في ضمّ الجديد المبتكر، ممّا هو عرضيّ في التّزيين والتّحسين، فأدى هذا السّبب إلى بروز اتّجاه جديد للتّأليف فيه بصبغة جديدة، وذلك قصد إثراءه بكلّ مبتكر وجديد يحقّق الهدف الجديد، فكان النّاس حوله بين مكثر ومقلّ، ومقلد ومتّبِع، ومعيد ومكرّر، ومرتبّ ومنظّم... انطلاقاً من السّكاكيّ حين قسّم علوم البلاغة وجعل البديع ثالثها ومكمّلاً لها، وجاء القزوينيّ بعده وترك لمسته فيه، وتتالت التّأليفات ولم تتوقّف وإلى أن جاء العصر الحديث.

ت - والسبب الثالث هو الاختلاف حوله، بين المتبّعين للقداى وبين المجدّدين القائلين بإعادة النّظر فيه، سواء من حيث تخصيصه الشّيء الذي أدّى لتضييقه وتقليصه، أم من حيث المبالغة فيه ممّا أدّى لكثرة فنونه وتداخلها أحيانا بتعدّد اصطلاحاته، أم من حيث تعقيده ممّا أدّى لكثرة فروعه وتقسيماته، أو من حيث عدم شموله للإبداعات الجديدة التي عرفت مؤخراً ممّا جعله منحاذا للصّور القديمة.

كلّ هذا وغيره ممّا هو مطروح على طاولة النّقاش بين أنصار القديم وأنصار الجديد، جعل البديع لحدّ السّاعة في أخذ وردّ بين الدّارسين في العديد من جوانبه، وبالتالي نحا التّأليف فيه منحى مغاير لسابقه، فتعدّدت فيه الدّراسات بذلك قصد إبراز وجهات النّظر سواء بالنّقد أم بالتأييد أم بالتّغيير أم التّجديد.

فبهذه النّبذة عن أسباب تنوّع التّأليف في البديع تبين لنا نوعيّات الدّراسة واتّجاهاتها التي كانت فيه، وذلك مدعاة لوضوح الرّؤية حول الموضوع، ويمكن أن تختزلها في نوعين هما: الوجهة التّقليديّة والوجهة التّجديديّة، أو اتّجاه القداى واتّجاه المحدثين، وحين نقول التّقليديّة لا يعني أنّها لم تجدد بالمفهوم العامّ للتّجديد، فقد جدّدت في طريقة الكتابة وملاءمتها للعصر من حيث اليسر والوضوح، وسلوكها الطّريقة التّعليميّة، بكثرة التّمثيل والتّمرين وتحديد المصطلحات و...، ولكن لم تتبنّ فكرة المجدّدين في الثّورة على التّراث البديعيّ بإعادة صياغته صياغة تختلف في جوهرها ومضمونها عمّا كان عليه البديع قبل هذا العصر.

والآن نخرج عن التّأليف بشيء من الذّكر مع الاختصار.

#### 4 - التّأليف في البديع عند المتقدّمين

بداية نشير إلى أنّ البلاغة في بدايتها كانت مشتركة غير مقسّمة إلى علومها الثلاثة، وكان يطلق عليها أحيانا اسم البلاغة، وأحيانا أخرى اسم البيان، ويطلق عليها كذلك اسم البديع، كما يطلق عليها الفصاحة أحيانا، وعندما بدأ التّأليف فيها كان علم البديع من أوّل علومها من حيث التّأليف البلاغيّ بحكم أنّه يشمل كلّ جديد مخترع، وما أن لبث على تلك الصّفة حتّى أُلّف في باقي علوم البلاغة، وقسمت بالتّالي بعدها إلى علومها الثلاثة المعروفة، وتأخّر البديع وتقلّص بعدما كان عامّاً وشاملاً، وأضحى في الرّتبة الثالثة عند علماء البلاغة المتأخّرين بعد علمي المعاني والبيان، وعليه اشتدّ الكلام حوله، واحتدم الخلاف عليه من القديم وإلى العصر الحديث، فكثر فيه التّأليف، وتعدّدت فنونه وتشعبت تقسيماته، وتباينت وجهات النّظر في العديد منها،

وتلوّنت بعض تسمياتها، وتداخلت أحيانا وافترقت في أحيان أخرى، حتّى قامت الدّعوة للتّجديد في العصر الحديث بعد عصر النّهضة.

وعندما نرجع للحديث عن التّأليف في البديع نجد بأنّ أوّل من كتب فيه كتاباً خاصّاً ومستقلاً هو عبد الله بن المعتزّ الخليفة العبّاسيّ (ت 296هـ)، وهو في ذلك متأثرّ بالجاحظ في كتابه البيان والتّبيين حين دافع عن البديع، فكانت خطوة ابن المعتزّ أن قفز به وأفرده بالتّأليف وجمع فيه سبعة عشر نوعاً ممّا اكتشفه في الشّعر من المحسّنات والفنون التي جاءت على لسان الأوائل، وحولها من أصباغ تتناثر في الشّعر ويهتمّ بها الشّعراء وحدهم إلى قواعد وأصول، يضمّها كتاب مستقلاً، ويعضّدها جامعها بالشّواهد والأمثلة التي توضّح معانيها، وتبيّن طرائقها.

وكان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو الدّفاع عن البديع، وأن يُثبت ابن المعتزّ للمحدثين في زمانه أنّ هذه الألوان معروفة في العربيّة منذ القديم، وأنّ الكثير منها ورد في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، وقد صرّح بهذا الهدف في مقدّمة كتابه، فقال: "قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللّغة وأحاديث رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - وكلام الصّحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدّمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون البديع؛ ليعلم أنّ بشّاراً ومسلماً وأبا نؤاس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفنّ؛ ولكنّه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتّى سُمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه، ثمّ إن حبيب بن أوس الطّائيّ من بعدهم شُعفَ به حتّى غلب عليه وتفرّع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف، وإنّما كان يقول الشّاعر من هذا الفنّ البيت والبيتين في القصيدة، وربّما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يُستحسن ذلك منهم إذا أتى نارداً، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل، وقد كان بعض العلماء يشبه الطّائيّ في البديع بصالح بن عبد القدوس في الأمثال، ويقول: لو أنّ صالحاً نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب على مدّ ميدانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى"<sup>1</sup>.

وعلى كلّ حال فقد كان تأليفه لكتاب البديع يمثّل البلاغة العربيّة كلّها وليس ممّا هو معروف اليوم بعلم البديع، حيث لم يجاوز في موضوعاته وفنونه دائرة البحث البلاغيّ بمفهومه الواسع لمعنى البلاغة.

1 - عبد الله بن محمّد المعتزّ بالله ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرّشيد أبو العبّاس، العبّاسيّ (المتوفّى: 296هـ): البديع في البديع، دار الجيل، الطّبعة: الأولى 1410هـ - 1990م، ص: 73.

وقد حصر ألوان البديع في خمسة، هي: الاستعارة - التّجنيس - المطابقة - ردّ للعجز على الصّدر - المذهب الكلامي. ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول أنّها كثيرة، ولا يرى حرباً في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع، وذكر من هذه المحاسن: الالتفات، الاعتراض، الرّجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذّم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجدّ، حسن التّضمنين، التّعريض والكنائية، الإفراط في الصّفة، حسن التّشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء<sup>1</sup>.

ثمّ جاء معاصره قدامة بن جعفر الكاتب أديب بغداد (ت 337هـ) فجمع منها عشرين لوناً في كتابه (نقد الشعر) وقد توارد مع ابن المعتزّ على سبعة منها، وسلّم له ثلاثة عشر، فتكامل لهما ثلاثون نوعاً، هي أقصى ما جمع في ذلك العصر.

وكذلك يحيى بن حمزة العلويّ اليمينيّ (ت 349هـ) له مصنّفات مختلفة، منها كتاب «الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» والذي يقع في ثلاثة أجزاء؛ وكان ما قدّمه يحيى بن حمزة عن علم البديع في هذا الكتاب مستوحى من كتاب «المصباح في المعاني والبيان والبديع» لبدر الدّين بن مالك. وقد قسم علم البديع إلى: الفصاحة اللفظيّة والفصاحة المعنويّة، حيث ساق عشرين محسناً لفظياً منها الجناس، والتّرصيع، والتّوشيح، والألغاز، والطّباق،.. مع أنّه من المحسّنات المعنويّة لا اللفظيّة. أمّا في الفصاحة المعنويّة فقد أورد خمسة وثلاثين محسناً معنوياً منها التّشبيه، والسّرقات الشعريّة مستوحياً ما قاله فيها من كلام ابن الأثير. ثمّ ختم حديثه عن البديع بتحديد معناه وبيان أقسامه إجمالاً.

ثمّ جاء العصر الذي بعد عبد الله بن المعتزّ وقدامة بن جعفر فاقتدى النّاس بهما في التّأليف في البديع، فأفرد أبو هلال العسكريّ (ت 395هـ)، جزءاً من كتابه (الصّناعتين) لألوان البديع، وكان غاية ما جمعه سبعة وثلاثين نوعاً.

ثمّ جاء ابن رشيق الحسن بن رشيق القيروانيّ، (ت 463هـ)، فجمع في كتابه (العمدة) مثلما جمع أبو هلال، قرابة سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع. وبقيت الحال كذلك لا يتعدّى الكلام فيه عن الحدود والتّعريفات والتّقسيمات والبحث عن الجديد من الفنون حتّى جاء أبو بكر عبد القاهر الجرجانيّ، (ت 471هـ)، صاحب دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، فأخذ البحث في البديع شكلاً مغايراً، ونحا به الجرجانيّ منحى جديداً، وهو النّظر إلى تآلف معاني الكلمات داخل النّظم، أي تلاؤم معاني الألفاظ داخل النّظم وشدّة ارتباط بعضها ببعض؛ فنظر فيه إلى مكنى المزيّة،

1 - ينظر ابن المعتزّ: البديع في البديع، ص: 22.

وبيان أسبابها، واستنباط المعاني التي نهضت بها الفنون البديعية، وهذا الصنيع جعله يصرف نظره إلى علاقة كلّ شاهد بما حوله في السياق من كلمات وجمل ومواقف، ولم ينظر إلى الشاهد على أنّه دليل للفنّ البديعيّ، أو تحقّق جديد له، أو على أنّه قسم من أقسامه، بينما حرص غيره ممّن سبقه على التعرّف والتقسيم وابتداع الألوان الجديدة دون تعليق يشير إلى مواضع المزيّة فيه. وكلّ هذا التّأليف كان البديع فيه يُعبر به عن البلاغة، ولم تتميز تلك الفنون التي جمعت على شكل علوم، فتنوّب وتفصّل وترتّب إلّا حين جاء دور أبي يعقوب يوسف السّكاكيّ (ت 626هـ)، فبسط هذه العلوم في كتابه "المفتاح" وهذّب مسائلها ورتّب أبوابها، وحينها انتهى تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة، وكان الثّالث منها هو علم البديع الذي جعله تابعا لعلمي المعاني والبيان، ولهذا فإنّه بعد أن انتهى من علمي المعاني والبيان، قال: "وإذ قد تقرّر أنّ البلاغة بمرجعيتها، وأنّ الفصاحة بنوعيتها ممّا يكسو الكلام حلّة التزيين ويرقيه أعلى درجات التّحسين، فما هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى وقسم يرجع على اللفظ"<sup>1</sup>.

لذلك لم يعن السّكاكيّ بالبديع اهتمامه بالمعاني والبيان، فأختصر الحديث عن فنونه، وعدّه مما يُحسن الكلام فقط، وأصبح كلّ من جاء بعده عيالا عليه، وبالتالي تحوّل التّأليف في البديع فصار مستقلاً عن المسمّى الشّامل للبلاغة بفروعها الثلاثة تحت لفظ البديع؛ بل أضحي البديع يختصّ بعلم وحده موازاة مع علمي المعاني والبيان.

ثمّ تلاه شرف الدّين أحمد بن يوسف القيسيّ التّيفاشي، (ت 651هـ) من أهل "تيفاش" وهي إحدى قرى "قفصة" بتونس، ولد فيها، وتعلّم بمصر، وولّى القضاء في بلده، ألّف في البديع وبلغ بألوانه السّبعين نوعا من المحسنات البديعيّة<sup>2</sup>. يقول عنه ابن أبي الإصبع: "وبديع شرف الدّين التّيفاشي، وهو آخر من ألّف فيه تأليفاً في غالب ظنّي، وجمع ما لم يجمعه غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النّظر فيها، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه"<sup>3</sup>.

1 - يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ) : مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م، ص: 423.

2 - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، عام النّشر: بدون، ص: 51.

3 - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثمّ المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، تقديم وتحقيق: الدّكتور حفني محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتحدّة - المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة - لجنة إحياء الثّراث الإسلاميّ، دت، دط، ص: 91.

ثم تصدّى للبدیع الشیخ زکی الدین بن أبی الإصبع العدوانی البغدادی ثمّ المصريّ، (ت654هـ) فأوصلها إلى التسعين، وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين، سلم له فيها عشرون، وبقاها مسبوق إليه أو متداخل عليه، ومن مؤلفاته كتابه "بدیع القرآن" جمع فيه في أنواع البدیع الواردة في القرآن، وله كتاب (تحرير التّحبير) أصحّ كتاب ألف في هذا العلم؛ لأنّه لا يتّكل على التّقل دون التّقد، فقد كان كثير النّظر والتّعليق لكلّ ما جمعه في كتابه من ألوان البدیع.

ثمّ جاء صفیّ الدین عبد العزيز بن سرايا السنّبي الطّائيّ الحلّيّ، (ت750هـ) وهو معروف باسم "صفیّ الدین الحلّيّ"، فأوصلها إلى مائة وأربعين نوعا، يمكن جمع بعضها في بعض، ونظّم قصيدة ميميّة في مديح المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذكر في كلّ بيت من أبيات هذه المنظومة اسم نوع من أنواع المحسنات. وتقع قصيدته في مئة وخمسة وأربعين بيتا، وقد سمّاها «الكافية البديعيّة في المدائح النبويّة» وألف عليها شرحا سمّاه «التّناجح الإلهيّة في شرح الكافية البديعيّة»، وفي مقدّمة الشّرح نبذة عمّن سبقه إلى التّأليف في البدیع<sup>1</sup>.

ومن بعده جاء عزّ الدین علي بن الحسين الموصليّ، من أهل الموصل، سكن دمشق (ت789هـ) فنظّم بديعيّة مساوية لبديعيّة الحلّيّ في عدد أبياتها، سمّاها "بديعيّة" وشرحها، فذكر فيها مثلما ذكره صفیّ الدین الحلّيّ، مع زيادة بعض الأنواع من ابتكاره.

وهكذا ارتقت المؤلفات في البدیع وصارت قدما بألوان مختلفة وتفنّن في التّأليف وجمع للألوان والتّمثيل لها، وزيدت الأنواع، وكثرت البديعيّات، ولعلّ بديعيّة ابن حجّة الحمويّ (ت837هـ) تُعدّ أشهر هذه البديعيّات، وقد نظّمها في مئة واثنين وأربعين بيتا، وشرحها في مؤلّف كبير سمّاه (خزانة الأدب)<sup>2</sup>.

ثمّ جاء دور جلال الدین السيّوطيّ، (ت911هـ) فقد ابتكر في البدیع عدّة ألوان أوردها في كتابه (عقود الجمان)، وألف الشیخ عبد الرّحمن الحميديّ، (ت1005هـ) بديعيّة أسماها (تمليح البدیع بمدح الشّفيّع) وله عليها شرح ومختصر، وقال: لقد زدت والحمد لله في بديعيّتي أنواعا لم يسبقن الحلّيّ فيها ومتابعوه، ولا السيّوطي ومتابعوه. وكذلك بديعيّة متأخّرة عنهم لعبد الغني النّابلسيّ (ت1143هـ)، وقد جاوز بها المائة والستّين نوعا<sup>3</sup>.

1 - عبد العزيز عتيق: علم البدیع، ص: 59.

2 - محمّد أحمد قاسم، ومحيي الدین ديب: علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني»، المؤسّسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطّبعة: الأولى، 2003م، ص: 60.

3 - أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة البيان، المعاني، البدیع، دت، دط، ص: 319.

وقد سماها «الجوهر السنّي في شرح بديعيّة الصّفّي» أي شرح بديعيّة صفيّ الدين الحلّي التي سبق ذكرها.

ومن أبرز أصحاب البديعيّات في العصر الحديث بديعيّة محمود السّاعاتي، (ت1298هـ) وعبد الهادي الأبياري، (ت1305هـ)، والشّيخ عبد القاهر الطّرابلسي، (ت1309هـ) والشّيخ طاهر الجزائري، (ت1341هـ)، وغيرهم كثير ممّن كتبوا في ألوان البديع وبالغوا في جمعها واستقصائها. وكلّ هذه المصنّفات من السّكّائي - كما رأينا - لم تخرج عن البحث في فنون البديع كعلم مستقلّ، وحتّى من كتب من المعاصرين في البلاغة ومنها البديع، أو التّأليف في البديع منفردا، كان مقلدا للسّابقين ومعيدا فيما كتبه ولكن بلغة العصر.

### 5 - التّأليف في البديع عند المحدثين

وفي ذات الوقت رأينا مؤلّفات أخرى في البديع من المحدثين تحمل نظرات أخرى نحو البديع، وهي نظرة النّقد والتّجديد، وإن اختلفت في حدّتها وفي نبرتها وفي وجهتها وكيفيّتها، من ذلك: دراسة لأحمد محمّد علي، بعنوان: (دراسات في علم البديع) التي بيّن فيها هدفه بأنّه سيقوم بغرلة مسائل البديع السّابقة من ابن المعتزّ إلى القزوينيّ حتّى يجلّي عنها الرّزان والجمود الذي علق بها، فهكذا كانت نظرتة، وهو إعادة النّظر في القديم وإعادة صياغته، وقد غلب عليه التّكرار والنّقل أكثر ممّا رسم لنفسه في الهدف الذي وضعه.

وهناك دراسة أخرى شبيهة بها هي دراسة عبده زايد، بعنوان: (نظرات في المحسّنات البديعيّة)، وكانت مثل سابقتها، كلّها نقل وتكرار ولا تكاد تعثر على تلك النّظرات.

وأیضا من الدّراسات التّجديديّة دراسة لعبد الفتّاح لاشين، بعنوان: (البديع في ضوء أساليب القرآن) التي انتقد فيها النّقاد والبلاغيين العرب بأنهم تكفّوا في إدراج بعض الفنون في البديع، والاشتغال بالتّعريفات والتّقسيمات عن الوقوف أمام المحسّن البديعيّ للكشف عن الجمال والأسرار، ممّا جعل دراسة البديع جافّة لا تؤثر في النّفس، كما انتقد العصور التي أصبح فيها البديع صنعة وهدفا للشّعراء ما جعلهم يسرفون فيه، ويؤدّي إلى زهاد النّاس فيه.

كما أنّ من الدّراسات التي تناولت البديع تحت مسمّى التّجديد؛ دراسة مصطفى الجوينيّ، بعنوان: (البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد) التي تناول فيها البديع في قسمين، القسم الأوّل في التّأصيل، والقسم الثّاني تناول فيه مباحث في التّجديد، وفي الجزء الخاص بـ: (نقد جمالي جديد في دراسة البديع) اقترح موضوعات للدّراسة في مجال البديع، تمثل دراسة البديع دراسة تاريخية مع دراسة المصطلحات ودراسة البديع في مجالات الإبداع الأدبيّ والدّرس النّقديّ.

ومن الدراسات التي حاول صاحبها التّطرق للتّأصيل والتّجديد في البديع، دراسة منير سلطان، بعنوان: (البديع تأصيل وتجديد)، وهي تأتي في قسمين، القسم الأوّل لمصطلحات الوفاء بالمعنى والإيقاع، وقد اشتمل هذا القسم على الفنون الثّالثة: السّجع، والازدواج، والجناس، والمشاكلة. والقسم الثّاني خصّصه لمصطلحات الوفاء بالمعنى ثمّ الإيقاع، وقد درس في هذا القسم الفنون الآتية: الطّباق، والمقابلة، والمبالغة، والتّعليل، وطرائق التّعليل، والثّورية.

ومن الدراسات التي بالغ صاحبها في التّجديد، دراسة بكرى شيخ أمين التي بعنوان: (البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد: علم البديع). ركّز فيها عن الجانب الجماليّ الذي لم يتطرّق له علماء البديع أثناء حديثهم عن فنون البديع، وكانت هذه الدّراسة في قسمين، القسم الأوّل للجماليّات في النّظم والمعنى، والقسم الثّاني للجماليّات في الشّكل والأسلوب.

وهناك دراسات أخرى وأراء موزّعة لمؤلّفين آخرين جاءت في مقالات لهم، وجاءت في عرض الحديث العامّ عن البلاغة العربيّة دون تخصيص الحديث عن البديع، ونحن هنا لا يتّسع المقام لذكرها ونكتفي بما ذكرنا؛ لأنّ هذه هي أهمّ الدّراسات التّجديدية في البديع، وكما رأينا كلّها في الغالب تدرس في القديم ولا تخرج عن إطارها مع الاختلاف في نوعيّة الدّراسة من تأصيل أو إعادة تقسيم، أو إعادة تكييف، وما شابه ذلك.

ويمكننا القول - بعد كلّ ما ذكرنا - أنّ دعوات التّجديد الحديثة لم تخرج من فراغ، بل هناك دواعي دفعت بالمحدثين للقول بتجديد البديع، منها:

- الدّعوة للتّهضة والتّجديد بعد الانفتاح عن الغرب، حيث عمّت هذه الحركة كلّ تراثنا العربيّ والإسلاميّ، بل وكلّ مناحي الحياة، وعليه فليس غريباً أن يدعى إلى تجديد البديع. وكما يقول شوقي ضيف: "وهذا التّطور الواسع لأدبنا في شكله ومضمونه وأساليبه وفنونه حري أن يقابله تطوّر في بلاغتنا بحيث تصوّر فنوننا الشّعريّة والنثريّة وأساليبها المتنوّعة"<sup>1</sup>.

- الشكوى من جفاف علم البديع وانفصاله عن الابداع والتّجديد الذي كان يحظى به.

- وأيضاً انفصاله عن علم المعاني والبيان وجعله كأنّه ثانويّ يعتمد عليه في التّحسين لا البناء، رغم أنّ البلاغة كلّها في نظرهم بقيت حبيسة الجملة ولم تتعدّها للنّصّ.

- إقحام مسائل الفلسفة والمنطق في علوم البلاغة ما جعل فيها الحشو والتّقسيم والتّفريع والتّطويل والتّعقيد والجمود ومنها علم البديع، ولذا يقولون بإعادة هيكلة علم البديع وتقليص محتواه.

1 - أحمد شوقي عبد السّلام ضيف، الشّهير بشوقي ضيف (المتوفّى: 1426هـ): البلاغة تطور وتاريخ، دار المعرف، مصر،

- الدّعوة للبساطة والتّيسير والوضوح والتّخفيف من حدّة ما كُتب في البديع من القديم، وصياغتها في أسلوب جديد يميلُ إلى روح العصر.

- إعادة تنظيم البديع على أسس تتّصل بالدّوق والفنّ، والجمال الأدبيّ والتأثير في المتلقّي.

- كما أنّ حاملي لواء الدّعوة إلى التّجديد في البديع يقولون أنّ هذه الدّعوة ليست شيئاً حديثاً ابتدعناه، فمنذ القرن الثالث الهجري دعا ابن قتيبة إلى التّجديد، وقال قولته المأثورة: "ولم يقصر الله العلم والشّعْر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كلّ دهر، وجعل كلّ قديم حديثا في عصره، وكلّ شرف خارجيّة في أوّله"<sup>1</sup>.

كما أنّ في نهاية القرن التاسع عشر قام الشّيخ محمّد عبده بتدريس كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجانيّ، وهو بذلك يكون قد بدأ طريق التّجديد؛ إذ فتح الأذهان إلى ضرورة إحياء البلاغة العربيّة وعدم الوقوف عند منهج شرح المتن الذي كان سائدا في المدارس والمعاهد العربيّة إبان هذه الفترة، كما أنّ ذلك قد قوى العزم عند طلبة الأزهر من أجل القيام ببحوث وأعمال تتدرج في سياق التّجديد وإحياء التّراث وفق أسس جديدة مستوحاة من التّواصل مع الغرب، وما استحدثه من علوم ومناهج، ثمّ قامت محاولات في هذا العصر لإعادة الحياة للبلاغة وربطها بالأدب الحديث<sup>2</sup>.

وقد حاول مجموعة من الكتاب وضع معالم لهذا التّجديد، من هؤلاء أمين الخولي، وعبدالعزیز البشري، وأحمد الشّايب، وأحمد حسن الزّيّات، وأنيس المقدسي، وأحمد بدوي، وعليّ العماري، وعبد الرزّاق محيي الدّين، وأحمد ضيف، وأحمد مطلوب، وعليّ عبد الرزّاق، وبدوي طبانة، وحفني شرف، ومحمّد نايل، وكامل الخولي وغيرهم، ثمّ اختلفوا بعد ذلك في كيفة التّجديد على اتّجاهات مختلفة، منها ما يبقي على التّراث البلاغيّ، ومنها ما يريد تغييره أو تعديله، إلى غير ذلك.

- فبعضهم يرى الاعتماد على تراثنا في البديعيّ، وجعله أساساً للتّجديد، وأنّ التّجديد يجب أن يكون نابعا من روحنا ومجتمعنا، وتكويننا وفطرتنا ودوّقنا، كما هو رأي أحمد حسن الزّيّات وغيره.

- وبعض آخر يرى أنّ الكتب القديمة يجب أن تُلغى، ويُلقَى بها في بحر الظُّلمات، ويحل محلّها كُتب أخرى مؤلّفة على منهج حديث مستقلّ، ومصطلحات جديدة، وأسس مبتكرة، ومفاهيم

1 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمّد الدّينوري (المتوفّى: 276هـ): الشّعْر والشّعراء، دار الحديث، القاهرة، عام النّشر: 1423هـ، 1/64.

2 - صالح مرحباوي: دعوات تجديد البلاغة العربيّة في العصر الحديث - قراءة في الأسباب والدوافع والأهداف، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، المجلد: 15، العدد: 1، (2002)، ص ص: 183 - 208، ص: 190.

مغايرة، كل ذلك مبني على أساس من الدراسات الغربية الحديثة، ومن القائلين بهذا سلامي موسى الذي زعم أنّ فنون البلاغة العربية غير صالح اليوم.

- وفريق ثالث يرى مزج البديع بأصول الدراسات البلاغية الحديثة في شتى اللغات الأوروبية، وأنه من الخير الجمع بين ما يصلح من تراثنا، وما يصلح من بلاغة الغرب، وأنّ التعايش بين القديم والحديث أفضل نتائجاً، وأقوى أثراً، كما ذكر ذلك منير محمد خليل ندا في رسالته "التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث".

ونختم بقولنا: أنّ كلّ هذه الدراسات التي رأيناها وبمختلف المراحل التي مرّت بها وصولاً إلى الكتابات التعليمية المعاصرة، مثل كتابه أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت1362هـ) في جواهر البلاغة، أو كتابه علي الجارم ومصطفى أمين في البلاغة الواضحة وغيره، فقد درست البديع بإحدى الوجهتين:

أولاً - إمّا بجانب تقليديّ يكشف فنونه، وتأصيلها، وبيان حدّها، والاستشهاد لها، وضمّها إليه، والبحث عن مزيّتها في النظم بغض النظر عن كون البديع علماً مستقلاً أو عامّاً يمثل كلّ البلاغة.

ثانياً - وإمّا درست البديع بنظرة نقدية تجديديّة، سواء بإعادة النظر في فنونه وتقسيماتها، أم بإعادة تشكيله بتقسيمات جديدة تتعلّق بالجمال والشكل، أو محاولة إرجاعه لما كان عليه في بداياته دون تخصيصه... مع التفاوت الملحوظ في تلك المحاولات والاختلاف في وجهات النظر، لكنّها تشترك في هدف واحد هو التّقد والتّجديد للدراسات التقليديّة للبديع.

## 6 - مصادر ومراجع المحاضرة

- أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط/1، سنة: 1393هـ - 1973م.

- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، دت، دط.

- أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ): البلاغة تطور وتاريخ، دار المعرف، مصر، الطبعة التاسعة، دت.

- الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط/1، سنة: 1992م.

- إنعام فوّل عكاوي: المعجم المفصّل في علوم البلاغة، مراجعة أحمد شمس الدّين، دار الكتاب العّلمة، بيروت، ط/2، 1417هـ - 1996م.
- بدوي طبّانة: البيان العربيّ دراسة تاريخيّة فنيّة في أصول البلاغة العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط/2، سنة: 1377هـ - 1958م.
- بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخيّة وفنيّة لأصول البلاغة ومساائل البديع، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، مصر الجديدة، ودار المعالم النّقائيّة الأحساء للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط/2، 1418هـ - 1998م.
- حمادي صمود: التّفكير البلاغيّ عند العرب أسّسه وتطوّره إلى القرن السّادس، مشروع مذكّرة لنيل درجة الدّكتوراه، منشورات الجامعة التّونسيّة، سنة: 1981م.
- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، سنة: 1988م.
- دخيل بن محمّد الصحفي: البديع في القرآن عند المتأخّرين وأثره في الدّراسات البلاغيّة، رسالة لنيل درجة الماجستير في البلاغة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، إشراف إبراهيم أحمد الحارذلو، سنة: 1410هـ - 1990م.
- رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التّفنّيّة والتّطور، دار المعارف، الإسكندريّة، ط/2.
- سلامة موسى: البلاغة العصريّة واللّغة العربيّة، سلامة موسى للنّشر والتّوزيع، ط/1، سنة: 1945هـ، والطّبعة المزيّدة، 1953م - 1964م.
- الشّحات محمّد أو سنّيت: دراسات منهجيّة في علم البديع، ط/1، سنة: 1414هـ - 1994م.
- شفيع السّيد: البحث البلاغيّ عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، سنة: 1405هـ - 1987م.
- شوقي ضيف: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط/9.
- عبد الرّحمان حبّنة الميدانيّ، البلاغة العربيّة أسّسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ودار الشّاميّة، بيروت، ط/1، سنة: 1416هـ - 1996م.
- عبد العاطي غريب علام: دراسات في البلاغة العربيّة، منشورات جامعة تونس، ط/1، سنة: 1997م.
- عبد القادر حسين: فنّ البديع، دار الشّروق، ط: 1، سنة: 1403هـ، 1983م.

- عبده عبد العزيز قليقطة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/3، سنة: 1412هـ - 1992م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (المتوفى: 276هـ): الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423هـ.
- عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد أبو العباس، العباسي (المتوفى: 296هـ): البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة: الأولى 1410هـ - 1990م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: بدون، عام النشر: بدون.
- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، دت، دط.
- فضل حسين عباس: البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتّبعية، دار الفرقان، فلسطين، سنة: 1420هـ، 1999م.
- صالح مرحباوي: دعوات تجديد البلاغة العربية في العصر الحديث - قراءة في الأسباب والدوافع والأهداف، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: 15، العدد: 1، (2002)، ص ص: 183 - 208.
- مازن المبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، القاهرة.
- محمد بركات حمدي أبو علي: البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان، ط/1، سنة: 1412هـ - 1992م.
- محمد بركات حمدي أبو علي: فصول في البلاغة، دار الفكر، عمّان، ط/1، 1403هـ - 1983م.
- محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتّجديد، الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط/1، 2006م.
- محمد أحمد قاسم، ومحبي الدين ديب: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطبعة: الأولى، 2003م.

- مصطفى الصّاوي الجويني: البلاغة العربيّة تأصيل وتجديد، دار المعارف، الإسكندريّة، سنة: 1975م.
- مليكة بن عطا الله: علوم البلاغة عند العلوي اليمني بين التقليد والتّيسير والتّجديد، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير تخصّص بلاغة وأسلوبية، إشراف: أحمد بلخضر، جامعة ورقلة، سنة: 2010م.
- منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، دار المعارف، الإسكندرية، سنة: 1986م.
- منير محمد خليل ندا: التّجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه، إشراف: علي العماري، جامعة الملك فهد بن عبد العزيز بمكة.
- يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكّاكّي أبو يعقوب (المتوفّى: 626هـ) : مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م.

# المحاضرة الرابعة عشرة

## الفنون البديعية ودورها في تصوير المعنى

### عناصر المحاضرة

في هذه المحاضرة نتناول العناصر التالية:

- 1 - توطئة.
- 2 - اللف والنشر.
- 3 - المزوجة.
- 4 - التصدير.
- 5 - الجمع مع التقسيم.
- 6 - حسن الابتداء.
- 7 - مصادر ومراجع المحاضرة.

### 1 - توطئة

البلاغة ليست علم المعاني فقط، ولا علم البيان وكفى، بل هناك ما يتبعهما وله وجوه كثيرة لا علاقة لها بمطابقة مقتضى الحال، كما هو في علم المعاني؛ لأنها تكون بعد رعاية المطابقة، ولا ترجع إلى الفصاحة كما هو مبين في ضوابطها؛ لأنها تكون بعد مراعاة شروطها، ولا إلى وضوح المعنى على نحو ما يجب في علم البيان؛ لأنها تأتي بعد تصوير المعنى بجلاء ووضوح، ولكن تكون مع كل ذلك، بحيث تلمع المعنى وتزينه، وتورث الكلام حسنا وقبولا، ألا وهي المحسنات البديعية.

ولأهمية المحسنات البديعية في الكلام فقد فُتِنَ بها بعض البلغاء فبالغوا في توظيفها، كما تفنن فيها بعض الشعراء والخطباء فتكلفوا في استعمالها، الشيء الذي دفع بالإمام عبد القاهر الجرجاني في ردّها لنصابها، وقد اجتهد في وضع ضوابط توظيفها، وبيان متى تحسن، ومتى تقبح؛ وأنكر المغالاة والإسراف في استعمالها حتى لا تطغى عليها الصنعة والتكلف.

ولهذا اتفق علماء البلاغة على أنّ المحسنات البديعية - لا سيما اللفظية منها - لا تقع موقعها من الحسن، إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر أو الناثر مندوحة عنها؛ لذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها لأن المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين.

وقد جمع البلاغيون المحسنات - وهي كثيرة - وجعلوها كلها في علم البديع، والمناسبة بين معنى البديع في لغة العرب وبين إطلاقه على المحسنات البديعية المخصوصة مناسبة واضحة ظاهرة ودقيقة؛ لأنّ الشيء المبدع المبتكر لا يخلو من الحسن والرّوعة والانبهار والطرافة، كما أنّ ألوان الكلام التي أُطلق عليها اسم البديع تكسب الكلام حسناً وجمالاً، وتخلع عليه بهجةً وجلالاً. والبلاغيون حين قسموا المحسنات البديعية إلى: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية، فرّقوا بينهما بأنّ المحسن المعنوي: ما كان التحسين فيه راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، واللفظي: ما كان التحسين فيه راجعاً إلى اللفظ أولاً وبالذات، وضعوا مع ذلك ضابطاً يفرّقون به بين النوعين، فضايط المعنوي أنّك إذا غيرت بعض الألفاظ الدالة عليه بما يرادفه لا يتخلف التحسين، وضايط اللفظي على عكس ذلك، فلو غيرت اللفظ بما يرادفه لذهب التحسين واختفى المحسن. ونحن في هذه المحاضرة سنتكلّم عن بعض المحسنات فقط نظراً لكثرتها، ونحاول اختيار بعض المحسنات المعنوية التي ليست مألوفة كثيراً في البرامج الدراسية، قصد الإفادة ولبيان بلاغة فنون البديع، وأنها ليست مجرد تحسين، بل تُسهم في بناء الكلام، وتشارك مع باقي علوم البلاغة في عملية الفهم والإفهام.

## 2 - اللف والنشر

اللف والنشر لفظان متقابلان، ويسميه بعض البديعيين الطيّ والنشر، وهو من المحسنات المعنوية، وهذا الفنّ البديعي له علاقة وطيدة بالتركيب، ويشتهر مع بعض الفنون البديعية الأخرى، كفنّ الإجمال والتفصيل، أو الجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، كونها جميعاً تتشابه في تركيب الكلام على جزأين، لكنّها تختلف في مضمونها وخصائصها، ومع ذلك لها علاقة بالمعنى حسناً أو قبحاً.

واللف في اللغة اسم مفرد، جمعه لفوف وألفاف، وهو من مادّة (ل ف ف). مصدره لَفَّ. لَفَّ الشّيء: ضمّه وجمعه، عكسه نشره<sup>1</sup> والتّفّ الشّيء: تجمّع وتكاثف<sup>2</sup>. والنشر في اللغة اسم مفرد، وهو من مادّة (ن ش ر)، مصدره. نشر، نشر الثوب والكتاب ونحوهما: نشره؛ بسطه ومدّه<sup>3</sup>.

1 - أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، 2023/3.

2 - محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، 318/9.

3 - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 2211/3.

ولهذا فالنشر: خلاف الطّي. يقول ابن فارس: " (نشر) النون والشين والراء أصل صحيح يدلّ على فتح شيء وتشعبه. ومنه نشرت الكتاب. خلاف طويته. والنشر: أن تنتشر الغنم بالليل فترعى، ولذلك يقال لمن جمع أمره: "قد ضمّ نشره"<sup>1</sup>.

أما في اصطلاح البلاغيين فيقول عنه السكاكي: "وهي أن تلفّ بين شيئين في الذكر ثمّ تتبعهما كلاما مشتقلا على متعلّق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يردّ كلاّ منهما على ما هو له"<sup>2</sup>.

بمعنى هو ذكر متعدّد سواء أكان مفصّلا أم مجملا، ثمّ ذكر ما لكلّ من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أنّ السامع يردّ إلى كلّ ما يليق به لوضوح الحال، لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

فهو فنّ في المتعدّات التي يتعلّق بكلّ واحد منها أمر لاحق، فاللفّ يشار به إلى المتعدّد الذي يؤتى به أولا، والنشر يشار به إلى المتعدّد اللاحق الذي يتعلّق كلّ واحد منه بواحد من السابّاق دون تعيين، أما ذكر المتعدّات مع تعيين ما يتعلّق بكلّ واحد منها فهو التّقسيم. فإذا أتى المتكلّم بمتعدّد، وبعده جاء بمتعدّد آخر يتعلّق كلّ فرد من أفرادها بفرد من أفراد السابّاق بالتّفصيل ودون تعيين سمّي صنيعة هذا "لفا ونشرا"<sup>3</sup>.

واللفّ والنشر على أنواع منها، المفصّل؛ ويكون النشر فيه على ترتيب اللفّ ويكون غير مرتّب بأن يجيء على غير ترتيب اللفّ، ومنها المجمل، وأرباب البديعيّات لم ينظّموا إلاّ اللفّ والنشر المرتّب، لأنّه هو أشهر أقسامه وأعلاها رتبة عند علماء البديع.

ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>4</sup>. فقد جاء اللفّ بعبارة (جعل لكم الليل والنهار) إذ جمع الليل والنهار بحرف العطف. وجاء النشر وفق توزيع مرتّب، فعبارة: (لتسكنوا فيه) تتعلّق بالليل، وعبارة: (ولتبتغوا من فضله) أي: كسب أرزاقكم، تتعلّق بالنهار، مع الإشارة بهذا الجمع إلى احتمال أن

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الزازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقّق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، 430/5.

2 - يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السكاكي الخوارزمي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م، ص: 425.

3 - ينظر عبد الرحمن بن حسن حبّنة الميدانيّ الدمشقيّ (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدار الشاميّة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م، 403/2.

4 - القصص: 73.

يسكن بعض النَّاس في النَّهار وبيتغي كسب رزقه من فضل الله في اللَّيل، لكن هذا خلاف ما هو الأصلح للنَّاس بمقتضى تكوينهم الفطري<sup>1</sup>.

ومن الثَّاني قول الله عزَّ وجلَّ لرسوله محمدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾<sup>2</sup>. هذه الجمل الثلاث تضمَّنت أفكارا ثلاثة مفصَّلة، فهي لف مفصَّل، وجاء بعدها نشر غير مرتَّب على وفق ما جاء في هذا اللَّف:  
فجملته: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾<sup>3</sup>. ملائمة للجمل الأولى ومتعلِّقة بها.  
وجملته: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾<sup>4</sup>. ملائمة للجمل الثالثة ومتعلِّقة بها.  
وجملته: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>5</sup>. ملائمة للجمل الثانية ومتعلِّقة بها، لأنَّ معنى: (ووجدك ضالًّا فهدي) ووجدك جاهلا فعلمك مسائل الدِّين، وهي النِّعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليه وعلى النَّاس، وأتمَّها يوم أنزل على رسوله فالتَّحديث بنعمة الله هو تبليغ هذا الدِّين وهداية النَّاس إليه وتعليمهم إياه.

والحكمة في التَّرتيب الذي جاء في اللَّف موافقة التَّرتيب الذي حصل في حياة الرِّسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: فالإيواء من اليتيم كان أولا، والهداية جاءت ثانيا قبل النَّبوة وبعدها، والغنى جاء ثالثا. والحكمة في التَّرتيب الذي جاء في النَّشر على خلاف التَّرتيب الذي جاء في اللَّف: أنَّه جاء بتكاليف يحسن فيها قرن النَّظائر بعضها مع بعض، فالنَّهي عن قهر اليتيم يلائمه النَّهي عن نهر السَّائل، وبعد ذلك يحسن الختم بالأمر بتبليغ الدِّين والتَّحديث بما أنعم الله به على رسوله من علم وهدي<sup>6</sup>.

وحسن هذا النَّوع من البديع يتملُّ في أن يكون خاليا من الحشو والتَّعقيد جامعا بين سهولة اللَّفظ والمعاني المخترعة. ولكن المبالغة والإسراف في كثرة المتعدِّد منه تخرج به عن دائرة البديع وتجردّه من نعوت الحسن، وتردّه إلى نوع من العبث يدعو إلى العجب منه بدل الإعجاب به<sup>7</sup>.

1 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيَّة، 402/2.

2 - الضَّحَى: 6 - 8.

3 - الضَّحَى: 9.

4 - الضَّحَى: 10.

5 - الضَّحَى: 11.

6 - ينظر حَبْنَكَةُ المِيدَانِي: البلاغة العربيَّة، 406/2.

7 - ينظر عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار النَّهضة العربيَّة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت - لبنان،

الطبعة: بدون، عام النَّشر: بدون، ص: 177.

### 3 - المزوجة

المزوجة وهي من المحسنات المعنوية، وفي اللغة اسم مفرد من مادة (ز و ج) مصدر زَوَجَ. وزواج بين الشئيين قرن بينهما، يقول ابن فارس: "(زوج) الزاء والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء"<sup>1</sup>. ويقال: التزواج والازدواج كلها بمعنى واحد<sup>2</sup>. ومنه قوله تعالى: (أَوْ يُرَوِّجُهُمْ) من المزوجة وهي الجمع، أي: أو يجمع لهم من الذكران والإناث. ولهذا فالمزوجة في اللغة: جعل شيء قرينا لشيء آخر<sup>3</sup>. وأما في الاصطلاح فهي: "أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء"<sup>4</sup>. وذلك بأن يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين ويرتّب على كلّ منهما معنى، رتّب على الآخر. بمعنى آخر المزوجة هي ترتيب فعل واحد ذي تعلّقين مختلفين على شرط وجزائه، لكنّه إذ يرتّب على الشرط يكون مقرونا بأحدهما، وإذ يرتّب على الجزاء يكون مقرونا بالآخر منهما<sup>5</sup>. ومن أمثلتها قول البحتريّ:

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى ... أَصَاخَتْ إِلَى الْوَأْشِيِّ فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ

الشاعر زواج بين نهي الناهي، وأصاقتها إلى الواشي، الواقعين في الشرط والجزاء، حيث رتّب عليهما لجاح شيء، نقول: إذا كان الغرض من هذا البيت هو: تصوير حاله مع معشوقته، من أنّه لا يزيد، نهي الناهي عن حبّها إلا تمكيناً في الهوى وثباتاً في الحبّ، أمّا هي فسرعان ما يزعزعها الوشاة، فتمعن في الهجر وتسرف في القطيعة فستان ما بين اللّاجين<sup>6</sup>. ومثله قوله أيضاً:

إِذَا احْتَرَبْتُ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا ... تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

1 - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، 35/3.

2 - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الزّازي (المتوفى: 666هـ): مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشّيب محمد، المكتبة العصرية - الدّار التّمودجية، بيروت - صيدا، الطّبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، ص: 138.

3 - عبد النّبى بن عبد الرّسول الأحمد نكري القاضي (المتوفى: ق 12هـ): دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الفنون، عربّ عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة - لبنان / بيروت، الطّبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، 4/119.

4 - السّكّاكي: مفتاح العلوم، ص: 425.

5 - ينظر حبّنة الميداني: البلاغة العربيّة، 2/436.

6 - ينظر حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرّازق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): من قضايا البلاغة والنّقد عند عبد القادر الجرجاني، دط، عام النشر: 1402هـ - 1981م، 1/196.

لقد زواج بين الاحتراب الواقع في كلامه شرطاً، وبين تذكّر القربى الواقع في كلامه جزاءً، في أن رتب على كلّ منهما فيضاً، لكن الفيض المرتب على الاحتراب هو فيض دماء، أمّا الفيض المرتب على تذكّر القربى فهو فيض دموع.

وهكذا نلاحظ ما في هذا الفنّ من التناصب بين المعاني، والترابط والتشابك بين الدلالات، ولا ريب أنّ مثل هذا له علاقة بالتركيب، حيث يرتبط بمكوّن من مكوّناته وهو الشّرط والجزاء، فنرى كيف أنّ المزوجة فنّ بليغ يتحدّ فيها الأسلوب الجامع بين الشّيئين، فتجمع بين الإيجاز وتعدّد المعنى واختلافه، ومثل هذا يستقرّ حفيظة المتلقّي ويثير دهشته.

#### 4 - التّصدير

وهو من المحسنات المعنويّة، وفي أصله ردّ الأعجاز على الصّدور، وقد سمّاه المتأخرون التّصدير، ومن هؤلاء ابن رشيق في العمدة، كما يسمّونه التّرديد<sup>1</sup>، فابن المعتزّ جعل التّرديد والتّصدير باباً واحداً ولم يفرّق بينهما. وفرّق بينهما ابن خلف، فعنده التّرديد تعود فيه اللفظة متعلّقة بغير المعنى الذي دلّت عليه أولاً، وأمّا التّصدير: فتعود فيه اللفظة وهي متعلّقة بالمعنى بعينه.

التّصدير في اللّغة مفرد من مادّة (ص د ر) مصدر صدّر، صدرّ يصدّر، تصديراً، فهو مُصدّر، والمفعول مُصدّر<sup>2</sup>. يقول ابن فارس: "الصّاد والدّال والرّاء أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره. فالأوّل قولهم: صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان وردها ثمّ شخص عنها. وأمّا الآخر فالصدر للإنسان، والجمع: صدور"<sup>3</sup>.

قال اللّيث: التّصدير: حَبْلٌ يُصَدَّرُ بِهِ البعيرُ إذا جرَّ حِمْلَهُ إِلَى حَلْفٍ. والحبلُ اسمُ التّصدير، وَالْفِعْلُ التّصْدِيرُ<sup>4</sup>. ومنه صَدَّرَ كِتَابَهُ: أي جعل له صَدْرًا. وَصَدَّرَ الفرسُ: إذا سَبَقَ بصدْرِهِ خَيْلَ الحلبَةِ<sup>5</sup>، والتّصَدُّرُ نَصْبُ الصّدْرِ في الجُلوس.

1 - ينظر مجد الدّين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانيّ الكلبيّ أبو المظفر مؤيّد الدّولة الشّيزريّ (المتوفّى: 584هـ): البديع في نقد الشّعْر، بتحقيق: الدّكتور أحمد أحمد بدوي، الدّكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ

إبراهيم مصطفى، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامّة للثقافة، ص: 51.

2 - أحمد مختار عمر: معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، 1277/2.

3 - ابن فارس: مقاييس اللّغة، 337/3.

4 - محمّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (المتوفّى: 370هـ) تهذيب اللّغة، المحقّق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء إحياء الثّراث العربيّ - بيروت، الطّبعة: الأولى، 2001م، 95/12.

5 - نشوان بن سعيد الحميريّ اليمنيّ (المتوفّى: 573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقّق: د حسين بن عبد الله العمريّ - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمّد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورّيّة)، الطّبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م، 3704/6.

أما من حيث الاصطلاح فهو أن يأتي الشاعر بلفظه في صدر البيت ثم يعيدها في عجزه أو نصفه الأول ثم يردها في نصفه الآخر وأن ذلك ليسهل الطريقة إلى معرفة قوافي الشعر قبل مرورها إلى الاسماع.

وقد قسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أقسام ومثل له نثرا وشعرا للدلالة على أنه يرد في الكلام بنوعيه. وأقسامه عنده هي<sup>1</sup>:

أ - ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه، مثل قول الشاعر شجاع بن القاسم:

تَلَقَى إِذْ مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا . . فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُقَلُّ عَرْمَوْمٌ

العرمرم: الجيش الكبير، والمراد أن الأمر شديد. وفلّ الجيش: هزمه. حيث وافقت كلمة عرموما في الصدر كلمة عرمرم في العجز وهذا هو المقصود من قوله آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه.

ب - ما يوافق آخر كلمة فيه أول كلمة في نصفه الأول، كقول الشاعر:

سَرِيحٌ إِلَى ابْنِ الْعَنَمِ يَشْتُمُّ عِرْضَهُ . . وَلَيْسَ إِلَى دَاعِ النَّدَى بِسَرِيحٍ

ت - ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه، كقول الشاعر:

عَمِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدَتْهُ . . سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامٌ

وهو تارة يكون في النظم، وتارة يكون في النثر، ففي النثر هو عبارة عن جعلك أحد اللفظين المتكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، أي بالمتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها، فخرج العكس<sup>2</sup>. ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾<sup>3</sup>. وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>4</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾<sup>5</sup>. وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾<sup>6</sup>.

1 - عبد الله بن محمد المعتز بالله، أبو العباس، ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ): البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م، ص: 140.

2 - ينظر أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773 هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م، 2/293.

3 - الإسراء: 21.

4 - الأنعام: 10.

5 - الأحزاب: 27.

6 - نوح: 10.

## 5 - الجمع مع التقسيم

وهو من المحسنات المعنوية، وهو قريب من الإجمال والتفصيل، ويراد به في اصطلاح البيانين: "أن تجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم تقسم، أو تقسم ثم تجمع"<sup>1</sup>. بمعنى أن يكون المعنى الكلّي الذي دلّ عليه المتكلم له حكم واحد ويجمع أمورا، لكنّه قد يقسم أولا ويجمع ثانيا، أو يجمع أولا ويقسم ثانيا.

مثال ذلك قول أبي الطيّب المتنبّي من قصيدة يصف فيها موقعة دارت بين الروم والعرب بقيادة سيف الدولة بالقرب من بحيرة الحدث:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أُرْبَاضِ خَرَشْنَةَ ... تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ

لِلسَّبِي مَا نَكْحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا ... وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا

يقول: لم يزل يسير في بلاد الروم حتى انتهى إلى خرشنة، ونزل على أرباضها، يغير على نواحيها ويكسر صلبانها ويهدم بيعها، لذا نراه في البيت الأول جمع أرض العدو وما فيها من كونها خالصة له على جهة الإجمال من غير إشارة فيه إلى تفصيل حالها، ثم إنّه قسم حالها في البيت الثاني إلى ما يكون منها للسبي، وما يكون للقتل، وما يكون للنهب والنار جميعا<sup>2</sup>.

ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>3</sup>. جاء الجمع في هذه الآية ببيان أنّ أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة التي اصطفاها الله وأورثها الكتاب الجامع للكتب الرّبانيّة السابقة وهو القرآن. وجاء بعدها التقسيم ببيان أنّ هذه الأمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظالم لنفسه بالمعاصي مع صدق الإيمان والإسلام. وقسم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات دون توسّع في النوافل والقربات، وهذه درجة سقف التقوى. وقسم سابق في الخيرات بإذن الله وهو أفضلهم.

الحالة الثّانية أن يقسم أولا ثم يجمع ثانيا، ومثاله ما قاله حسان:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ ... إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاغْلَمَ! شَرُّهَا الْبِدَعُ!

1 - السّكّاي: مفتاح العلوم، ص: 426.

2 - ينظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 3/79.

3 - فاطر: 32.

قسّم في البيت الأوّل صفة الممدوحين إلى ضرّ الأعداء ونفع الأولياء، ثمّ جمعهما في البيت الثاني حيث قال: "سجّية تلك". معنى ذلك أنّه جاء في البيت الأوّل تقسيم صفات من يمدحهم حسّان، فهم بالنسبة إلى عدوّهم يضرّونهم إذا حاربوهم، وبالنسبة إلى أشياعهم ينفعونهم إذا حاولوا نفعهم. وجاء في البيت الثاني جمع الوصفين بأنّهما سجّية ثابتة من سجاياهم الأصليّة غير المتكلّفة تكلفاً مصطنعاً لأمر عارض، إذ هو يرى أنّ الخلائق المبتدعة المحدثّة التي لا تكون ثمرة سجايا ثابتة هي شرّ الخلائق، إذ تكون مدفوعة بأغراض غير شريفة، ومنها النفاق<sup>1</sup>.

## 6 - حسن الابتداء

حسن الابتداء من المحسنات المعنويّة، ويسمّى حسن المطلع أو براعة المطلع<sup>2</sup> ويسمّى أيضاً براعة الاستهلال وهو أن يتألّق المتكلّم في أوّل كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحتّها مبنيّاً، وأوضحها معنيّاً وأخلاها من الحشو، والرّكة والتّعقيد، والتّقديم والتّأخير الملبس والذي لا يناسب.

الابتداء أوّل ما يقرع السّمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السّامع على الكلام، فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان في غاية الحسن<sup>3</sup>. قال ابن رشيق: "أنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح؛ ومطية النّجاح"<sup>4</sup>. ولذا ينبغي للمتكلّم أن يجتنب في بدء كلامه المواجهة بما يسوء، أو بما يتطيّر به، أو بما يستكره لفظه أو معناه.

وأحسن براعة الاستهلال موقعاً، وأبلغها معنيّاً، فواتح صور كلام الله تعالى، سيما حروف التّهجي، فإنّها توقظ السّامعين للإصغاء إلى ما يرد بعدها، لأنّهم إذا سمعوها من النّبّي الأمّيّ علموا أنّها والملتوّ بعدها من جهة الوحي. وفيها تنبيه على أنّ الملتوّ عليهم من جنس ما ينظمون منه كلامهم، مع عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

ومن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس:

قفا نَبِكْ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ... بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

1 - ينظر حَبْنَكَةَ الميداني: البلاغة العربيّة، 436/2.

2 - ينظر حمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، لمكتبة العصريّة، بيروت، ص: 343.

3 - ينظر عبد المتعال الصّعيديّ (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطّبعة: السّابعة عشر: 1426هـ-2005م، 705/4.

4 - الحسن بن رشيق أبو علي القيروانيّ الأزدي (المتوفى: 463 هـ): العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، المحقّق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، الطّبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م، 217/1.

والسَّقَط: منقطع الرَّمَل حيث يَدِقُّ، واللَّوى: الرَّمَل المَعوجَّ المَلتوي، والدَّخول وحومل: موضعان، وإِنَّمَا حَسَن هَذَا المَطْلَع؛ لِأَنَّهُ وَقَف فِيهِ وَاسْتَوْقَف، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى، وَذَكَرَ الحَبِيبَ وَالمَنْزَلَ، بَلْفَظِ مَسْبُوكٍ لَا تَعْقِيدَ فِيهِ وَلَا تَتَأَفَّرَ.

ومنها حسن الابتداءات، قول النَّابِغَةِ الذَّبِيانِيَّ:

كَلِيبِنِي لِهَمِّ يَا أُمِيمَةَ ناصِبٍ ... وَلَيْلٍ أَقاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

كَلِيبِنِي: مَنْ وَكَلَهُ إِلى نَفْسِهِ يَكُلُهُ وَكَوَلاً مِنْ بابِ وَعَد. وَالمَهَمَّ: الحَزْنَ. أُمِيمَةَ: اسمُ مَحْبُوبَتِهِ. ناصِبٍ: شَدِيدِ أَي: ذُو ناصِبٍ؛ لِأَنَّهُ يَنصَبُ فِيهِ وَيَتَعَبُ.

وَقَدْ فَضَّلَ هَذَا المَطْلَعُ عَلى السَّابِقِ وَإِنْ كانَ أَقَلَّ مِنْهُ مَعانِي؛ بَأَنَّ شَطْرِيهِ مَتَناسِبانَ وَألفاظَهُ مَتلائِمَةً. وَلِذا قالوا: إِنَّهُ أَحسَنُ ابْتِداءاتِ الجاهليَّةِ<sup>1</sup>؛ وَذلكَ لِأَنَّهُ دَلَّ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ عَلى حالِ الشَّاعِرِ عَندما غَضِبَ عَليه النِّعمانُ وَتَوَعَّدَهُ، وَصَوَّرَ ما يَتعلَّجُ فِي قَلْبِهِ مِنْ هَمِّ أَعْياءِهِ؛ وَأَقضَّ مَضجِعَهُ، وَحَرَمَهُ النُّومَ الهَنِيءَ؛ فَالَمَّ بِهِ أَرَقَ جَعَلَ ليلَهُ طَويلًا وَكَلَّ ذلكَ وَضَعُ فِي أُسْلُوبِ بَيِّنٍ وَاضِحٍ، وَارتباطِ قَوِيٍّ بَينَ شَطْرِي البَيتِ وَتَناسِبِ فِي القُوَّةِ وَالجِزالةِ<sup>2</sup>.

## 7 - مَصادرُ وَمراجِعُ المَحاضِرَةِ.

- أَحمدُ بنُ عَليِّ بنِ عبدِ الكافيِّ، أبو حامدٍ، بهاءُ الدِّينِ السَّبْكيِّ (المَتوفى: 773هـ): عروسُ الأفرَاحِ فِي شَرَحِ تَلخِيسِ المَفْتاحِ، المَحَقِّقُ: الدَّكْتُورُ عبدُ الحَميدِ هَنداوي، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ لِلطَّباعةِ وَالنَّشْرِ، بَيرُوتَ - لَبْنا، الطَّباعةُ: الأوَّلَى، 1423هـ - 2003م.

- أَحمدُ بنُ فارَسِ بنِ زَكْرياءِ القَزوينيِّ الرَّازيِّ، أبو الحَسينِ (المَتوفى: 395هـ): مَقاييسُ اللُّغَةِ، المَحَقِّقُ: عبدُ السَّلامِ مُحَمَّدُ هارونُ، دارُ الفِكرِ، عامُ النِّشْرِ: 1399هـ - 1979م.

- أَحمدُ مَخْتارُ عبدِ الحَميدِ عَمَرَ (المَتوفى: 1424هـ): مَعجمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المَعاصِرَةِ، عالمُ الكُتُبِ، الطَّباعةُ: الأوَّلَى، 1429هـ - 2008م.

- حَسَنُ بنُ إِسماعيلِ بنِ حَسَنِ بنِ عبدِ الرَّازِقِ الجَناجيِّ (المَتوفى: 1429هـ): مِنْ قَضاياِ البِلاغَةِ وَالنَّقْدِ عَندَ عبدِ القادرِ الجَرجانيِّ، دَط، عامُ النِّشْرِ: 1402هـ - 1981م.

1 - يَنْظُرُ الحَسَنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سَهْلِ بنِ سَعِيدِ بنِ يَحْيَى بنِ مَهْرانِ، أَبِي هلالِ العَسْكَريِّ (المَتوفى: نَحو 395هـ): الصَّناعتينِ، المَحَقِّقُ: عَليُّ مُحَمَّدُ البِجاويِّ وَمُحَمَّدُ أبو الفَضْلِ إِبراهيمِ، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ - بَيرُوتَ، عامُ النِّشْرِ: 1419هـ، ص 433.

2 - يَنْظُرُ حَسَنُ بنُ إِسماعيلِ بنِ حَسَنِ بنِ عبدِ الرَّازِقِ الجَناجيِّ (المَتوفى: 1429هـ): البِلاغَةُ الصَّافِيَّةُ فِي المَعانِي وَالبَيانِ وَالبَدِيعِ، المَكْتَبَةُ الأَزْهَرِيَّةُ لِلتَّراثِ القاهِرَةِ - مِصرَ، الطَّباعةُ: سَنَةُ 2006م، ص: 278.

- حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرزاق الجناحي (المتوفى: 1429هـ): البلاغة الصّافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، الطبعة: سنة 2006م.
- حمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، لمكتبة العصرية، بيروت.
- الحسن بن رشيق أبو علي القيرواني الأزدي (المتوفى: 463هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401هـ - 1981م.
- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراّن، أبو هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): الصّناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، عام النّشر: 1419هـ.
- زين الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي (المتوفى: 666هـ): مختار الصّاح، المحقق: يوسف الشّيش محمد، المكتبة العصرية - الدّار النّمونجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
- عبد الرّحمن بن حسن حبّنة الميداني الدّمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ): علم البديع، دار التّهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: بدون، عام النّشر: بدون.
- عبد النّبّي بن عبد الرّسول الأحمد نكري القاضي (المتوفى: ق 12هـ): دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عربّ عباراته الفارسيّة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- عبد الله بن محمد المعتزّ بالله، أبو العبّاس، ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرّشيد العبّاسي (المتوفى: 296هـ): البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
- عبد المتعال الصّعيدي (المتوفى: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة: السّابعة عشر: 1426هـ - 2005م.

- محمّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، أبو منصور (المتوفّى: 370هـ) تهذيب اللّغة، المحقّق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربيّ - بيروت، الطّبعة: الأولى، 2001م.
- مجد الدّين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانيّ الكلبيّ أبو المظفر مؤيّد الدّولة الشّيزريّ (المتوفّى: 584هـ): البديع في نقد الشّعْر، بتحقيق: الدّكتور أحمد أحمد بدوي، الدّكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، وزارة النّقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامّة للنّقافة.
- نشوان بن سعيد الحميريّ اليمنيّ (المتوفّى: 573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقّق: د حسين بن عبد الله العمريّ - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمّد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورّيّة)، الطّبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطّالبيّ الملقّب بالمؤيّد بالله (المتوفّى: 745هـ): الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة - بيروت، الطّبعة: الأولى، 1423هـ.
- يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكيّ الخوارزميّ أبو يعقوب (المتوفّى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطّبعة: الثّانية، 1407هـ - 1987م.

## فهرس الموضوعات

### المحاضرة الأولى

مفاهيم البلاغة قديما وحديثا

ص 1 - 17

- 1 - توطئة..... 01
- 2 - وصف البلاغة عند العرب..... 02
- 3 - مصطلح البلاغة في تراثنا البلاغي..... 04
- 4 - تعريف البلاغة في اللّغة والاصطلاح..... 07
- 5 - رؤية المحدثين للبلاغة العربية..... 10
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة..... 15

### المحاضرة الثانية

مراحل نشأة البلاغة العربية وتطور مباحثها

ص 18 - 34

- 1 - توطئة..... 18
- 2 - البلاغة في العصر الجاهلي..... 18
- 3 - البلاغة في صدر الاسلام..... 23
- 4 - البلاغة في عصر بني أمية..... 26
- 5 - البلاغة في العصر العباسي..... 29
- 6 - مصادر ومراجع المحاضرة..... 33

### المحاضرة الثالثة

مصادر البلاغة العربية

ص 35 - 58

- 1 - توطئة..... 35
- 2 - مصدر كلام العرب وملحوظاتهم..... 36
- 3 - مصدر الإعجاز القرآني..... 41
- 4 - مصدر النّقد والأدب..... 48
- 5 - مصدر النّحو العربي..... 52

52.....	6 - مصدر تفسير القرآن العظيم.....
54.....	7 - مصدر البحث البلاغي المتخصّص.....
55.....	8 - مصادر ومراجع المحاضرة.....
<b>المحاضرة الرابعة</b> <b>الدّرس البلاغيّ أقسامه ومباحثه وأهدافه</b> <b>ص 59 - 73</b>	
59.....	1 - توطئة.....
59.....	2 - شروط الفصاحة.....
66.....	3 - شروط البلاغة.....
68.....	4 - أقسام علوم البلاغة ومباحثها.....
71.....	5 - أغراض وأهداف علوم البلاغة.....
72.....	6 - مصادر ومراجع المحاضرة.....
<b>المحاضرة الخامسة</b> <b>نشأة علم المعاني وتطوره</b> <b>ص 87 - 74</b>	
74.....	1 - توطئة.....
74.....	2 - تمهيد حول مصطلح علم المعاني.....
76.....	3 - علم المعاني في اللّغة والاصطلاح.....
81.....	4 - نشأة وتطوّر علم المعاني.....
83.....	5 - مباحث علم المعاني.....
85.....	6 - مصادر ومراجع المحاضرة.....
<b>المحاضرة السادسة</b> <b>الخروج على خلاف مقتضى الظاهر في البلاغة العربيّة</b> <b>ص 99 - 88</b>	
88.....	1 - توطئة.....
88.....	2 - المراد بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر.....
89.....	3 - أنواع الخروج على خلاف مقتضى الظاهر.....
99.....	4 - مصادر ومراجع المحاضرة.....

المحاضرة السابعة  
القرينة في البلاغة العربية  
ص 100 - 118

- 1 - توطئة.....100
- 2 - تعريف القرينة.....103
- 3 - أنواع القرينة.....105
- 4 - وظيفة القرينة.....109
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.....116

المحاضرة الثامنة  
أسلوب القصر (الجزء الأول)  
ص 119 - 126

- 1 - توطئة.....119
- 2 - تعريف القصر لغة واصطلاحاً.....120
- 3 - أركان القصر.....121
- 4 - طرق القصر.....122
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.....126

المحاضرة التاسعة  
أسلوب القصر (الجزء الثاني)  
ص 127 - 134

- 1 - توطئة.....127
- 2 - تقسيم القصر باعتبار حال المقصور.....127
- 3 - تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب.....130
- 4 - مواقع القصر.....131
- 5 - مصادر ومراجع المحاضرة.....133

المحاضرة العاشرة  
الفصل والوصل (الجزء الأول)  
ص 135 - 145

- 1 - توطئة.....135

136.....	2 - تعريف الفصل والوصل
138.....	3 - تركيز البلاغيين على الجمل والعطف بالواو
139.....	4 - مواضع الفصل
144.....	5 - مصادر ومراجع المحاضرة
<b>المحاضرة الحادية عشرة</b> <b>الفصل والوصل (الجزء الثاني)</b> <b>ص 146 - 152</b>	
146.....	1 - توطئة
147.....	2 - مواضع الوصل
151.....	3 - مصادر ومراجع المحاضرة
<b>المحاضرة الثانية عشرة</b> <b>بلاغة التشبيه في البلاغة العربيّة</b> <b>ص 153 - 169</b>	
153.....	1 - توطئة
153.....	2 - المعنى البلاغيّ في التشبيه
161.....	3 - التشبيه والتّمثيل
164.....	4 - التشبيه والتّخييل
166.....	5 - التشبيه المقلوب
168.....	6 - مصادر ومراجع المحاضرة
<b>المحاضرة الثالثة عشرة</b> <b>البدیع بين المتقدّمين والمتأخّرين</b> <b>ص 170 - 185</b>	
170.....	1 - توطئة
170.....	2 - نبذة مختصرة عن مراحل تطوّر البديع
173.....	3 - أسباب تنوّع التّأليف في البديع
174.....	4 - التّأليف في البديع عند المتقدّمين
179.....	5 - التّأليف في البديع عند المحدثين
182.....	6 - مصادر ومراجع المحاضرة

المحاضرة الرابعة عشرة

الفنون البديعية ودورها في تصوير المعنى

ص 186 - 197

1 - توطئة..... 186

2 - اللف والنثر..... 187

3 - المزوجة..... 190

4 - التصدير..... 191

5 - الجمع مع التقسيم..... 193

6 - حسن الابتداء..... 194

7 - مصادر ومراجع المحاضرة..... 195

فهرس الموضوعات..... 198 - 202